



# دَرْسَاتٌ إِسْلَامِيَّةٌ



شَيْلَ قَطْبٌ

دار الشروق

دِرْسَاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ

الطبعة السابعة

١٤١٥-١٩٨٧ م

الطبعة الثامنة

١٤١٢-١٩٩٢ م

الطبعة التاسعة

١٤١٣-١٩٩٣ م

الطبعة العاشرة

١٤٢٢-٢٠٠٢ م

الطبعة الحادية عشرة

١٤٢٧-٢٠٠٦ م

جامعة جنوب الوادي

## دار الشروق ©

شارع سببورة المصري

مدينة نصر - القاهرة - مصر

تلفون: ٤٠٢٣٣٩٩

فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

email: dar@shorouk.com

[www.shorouk.com](http://www.shorouk.com)

سید قطب

دراستیات اسلامیة

دارالشروق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الفهرس

محطم الطاغيت . . . . .	١١
انتصار محمد بن عبد الله . . . . .	٢٤
الإسلام يكافح . . . . .	٣١
طبيعة الفتح الإسلامي . . . . .	٣٧
التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي . . . . .	٤٨
نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام . . . . .	٦٢
كيف ندعو الناس إلى الإسلام . . . . .	٧٣
نحن ندعو إلى عالم أفضل . . . . .	٨٠
خلوا الإسلام جملة أو دعوه . . . . .	٨٦
تحت راية الإسلام . . . . .	٩٣

طريق واحد	99
مصر أولاً... نعم ، ولكن !	107
إلى النائبين في العالم الإسلامي	113
إسلام أمير كاني	119
فضريبة الذل	124
العبيد	129
قوة الكلمة	134
إتها العقيدة في الله	141
أدب الانحلال	147
مواكب الفارغات	152
مبادئ العالم الحر !	159
مشكلاتنا في ضوء الإسلام	165
الإسلام والاستعمار	179

فرنسا أم الحرية ! . . . . .	١٧٥
يا بجراحات الوطن الإسلامي ! . . . . .	١٨١
ال المسلمين متغصبو (١) . . . . .	١٨٧
ال المسلمين متغصبو (٢) . . . . .	١٩٤
ال المسلمين متغصبو (٣) . . . . .	٢٠٠
ال المسلمين متغصبو (٤) . . . . .	٢٠٨
ال المسلمين متغصبو (٥) . . . . .	٢١٢
كلمة الإسلام في الحرب والسلام . . . . .	٢١٩
حسن البناء وعقرية البناء . . . . .	٢٢٥
عدالة الأرض ودم الشهيد حسن البناء . . . . .	٢٣١
دعوتنا . . . . .	٢٣٧
عقيدة وكفاح . . . . .	٢٤٣
يا شباب . . . . .	٢٤٧

# دراسات اسلامیة

## محطم الطواغيت

لقد عاش محمد بن عبد الله - عليه صوات الله وسلامه -  
محطم الطواغيت ، الطواغيت كلها ، سواء كانت في عالم الضمير  
أم في عالم الواقع ، ولم تعرف البشرية في تاريخها الطويل رجلاً  
آخر غير محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - حطم من  
الطواغيت قدر ما حطم هذا الرجل ، وفي فترة من الزمان  
قصيرة شديدة القصر ... مما يقطع بأن هنالك قوة أكبر من  
طاقة البشر كانت تؤيد هذا الرجل ؟ وأنه كان يستمد من هذه  
القوة ، وكان على اتصال بها وثيق .

وحيث نستعرض الثورة التحريرية الكبرى التي قادها محمد بن  
عبد الله ، خلال ثلاثة وعشرين عاماً ؛ ونستعرض الانقلابات  
الروحية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والادبية ، التي  
تلت في هذه الفترة القصيرة ... ندرك انه ما لم تصل قوة البشر  
القائمة المحدودة ، بقوة الازل والايد المطلقة الخالدة ، فان هذه  
الخوارق كلها لم تكن لتها ، وهي خوارق أعظم من نقل الجبال  
وتحجيف البحار ، وتحويم العناصر من حال الى حال .

لقد كانت رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - ثورة تحريرية  
كاملة للإنسانية ؟ ثورة شملت كل جوانب الحياة الإنسانية ،

وَحَطَمَتِ الْطَّوَاغِيْتُ عَلَى اخْتِلَافِ اسْمَائِهَا فِي هَذِهِ الْجَوَافِيْنِ جِمِيعاً.

كانت ثورة على طاغوت الشرك باهـ في عالم المقيدة ، تزـهـت الذات الإلهية تزـيـجاً مطلقاً في عالم التصور ، تزـهـت عن أن يكون له شـرـكـاء . وطاغوت الشرك باهـ على نحو من الاتـهـاء . طاغوت ضـخمـ ، عـيـقـ الجـذـورـ في مـارـبـ الشـعـورـ الـأـنـسـافـيـ . وما تـزالـ البشرـيـةـ تـعـاـيـنـ مـنـهـ بـعـدـ كـلـ رسـالـاتـ التـوـحـيدـ السـابـوـرـيـ ، وـبـعـدـ كـلـ حـكـمـ الـرـسـلـ ، وـبـعـدـ كـلـ شـرـوحـ الـفـاهـيـنـ لـتـلـكـ الـدـيـنـاتـ . وـكـلـهاـ حـرـفـ الـجـاهـيـرـ عن الـإـدـرـاكـ الصـحـيـحـ لـدـيـنـ اـهـدـيـهـ الـحـالـدـ الـذـيـ تـعـدـتـ صـورـهـ فـيـ الرـسـالـاتـ الإـلـهـيـةـ ، وـتـوـحـدـ جـوـهـرـهـ . كـلـهاـ اـخـرـفـ الـجـاهـيـرـ عن الـإـدـرـاكـ الصـحـيـحـ التـقـتـ بـطـاغـوتـ الشرـكـ ، فـيـ صـورـهـ الـكـثـيـرـةـ . وـمـاـ التـسـعـ بـأـعـنـابـ الـأـوـلـيـاءـ وـالـقـدـيـسـينـ فـيـ صـورـتـهـ الـقـيـزـاـوـهـاـ الـعـوـامـ ، إـلـاـ صـورـةـ مـنـ صـورـ ذـلـكـ الطـاغـوتـ ، تـقـاتـلـتـ بـزـيـ الـدـيـنـ ؟ وـدـيـنـ اـهـدـيـهـ ؟ دـيـنـ اـهـدـيـهـ ؟

وكانَتْ ثُورَةً عَلَى طَاغِيَّةِ التَّعْصِبِ: التَّعْصِبُ فِي كُلِّ صُورَهُ  
وَأَلْوَانِهِ، وَفِي مَقْدِمَتِهِ التَّعْصِبُ الْدِينِيُّ.

كانت ثورة على طاغوت التعصب ضد الجنس واللون ، فأعلنت وحدة الأصل الإنساني ، ووحدة النوع الإنساني ؛ وحطمت طاغوت العنصرية البغيضة ، وقررت أن هنالك مقياساً واحداً للأفضلية ، لا يرجم إلى لون البشرة ، ولا إلى أصل المولد ،

ولَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّمَا يُرَجِّعُ الْقِوَى إِلَيْهِ وَمَا أَعْمَلُ  
الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ أُمُورٌ شَخْصِيَّةٌ بَعْدَهُ، لَا عَلَاقَةَ لَهَا بِالْأَجْنَاسِ  
وَالْأَكْوَانِ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ  
شَعُونِيًّا وَقَبَائِلَ لِتَعْرِفُوهُ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصُكُمْ »<sup>(١)</sup>، « يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ إِنَّمَا يُرِيكُمُ اللَّهُ الْكِبِيرُ مِمَّا يَنْهَا، وَخَلَقَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةً،  
زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً »<sup>(٢)</sup> .. « لَيْسَ مَنْ مِنْ  
دُعَا إِلَى عَصْبَيْهِ، وَلَيْسَ مَنْ مِنْ قَاتَلَ عَلَى عَصْبَيْهِ، وَلَيْسَ مَنْ مِنْ  
مَاتَ عَلَى عَصْبَيْهِ »<sup>(٣)</sup> .

وهذا الطاغوت - طاغوت التعصب المنكري - ما تزال  
ال المجتمعات الإنسانية التي لم تسترشد برسالة محمد - صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - تعاني منه . لما تزال مشكلة الزنوج والهندود المحرقة  
في الولايات المتحدة ، وما تزال مشكلة الملونين قائمة في جنوب  
إفريقيا . ومنذ سنوات كانت فلسفة النازي القاتمة على امتداد  
الجنس الآري تذيق البشرية الوبيلات . واليوم تقوم إسرائيل  
كالشوكة في جنب الأمة العربية ، معتمدة على أسطورة الشعب  
المختار ١

• • •

وكانَتْ ثُورَةُ عَلِي طاغوت التعصب الدينِيِّ، وَذَلِكَ مِنْذَ إِعلَانِ  
حُرْبَةِ الاعْتِقَادِ في صُورَتِهِ الْكَبِيرِيِّ: « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ . قَدْ  
تَبَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ . فَنَّ يَكْفُرُ بِالْطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ

(١) سورة الحجرات : ٤٤ .

(٢) سورة النساء : ٤ .

(٣) أخرجه أبو داود .

استمك بالعروة الوثقى لا انقسام لها <sup>(١)</sup> . « ولو شاء ربك  
لآمن من في الأرض كلهم جميعاً . أقانت تكره الناس حقاً  
يكونوا مؤمنين » <sup>(٢)</sup> .

لقد تحطم طاغوت التحصّب الديني ، لتحول عالم الساحة  
المطلقة ، بل لتصبح حياة حرية العقيدة وحرية العبادة واجباً  
مفروضاً على المسلم لأصحاب الديانات الأخرى في الوطن  
الإسلامي . وحيثما شرع القتال في الإسلام وعرض القرآن حكمة  
القتال قال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم  
لقدير » ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا ربنا  
الله ، ولو لا دفع الله الناس بعضهم بعضهم لدمت صوامع وبسع  
وصلاوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً <sup>(٣)</sup> .

والصومامع معابد الرهبان ، والبيع كنائس النصارى ،  
والصلوات معابد اليهود ، والمساجد مصليات المسلمين . وقد قدم  
الصومامع والبيع والصلوات في النص على المساجد ، توكيداً لدفع  
العدوان عنها ، ووقفير الحياة لها .

لا بل بلفت الساحة حد توقف الحياة والأمن للشرك ،  
الذى لا يدين بدين حماوى ، ما دام ضعيفاً لا يقدر على إيهام  
المسلمين وفتنتهم عن دينهم . ذلك تقديرأً لعذرها ، وعذرها جعله :  
« وإن أحد من الشركين استجراك فأجره حق يسمع كلام الله ،  
ثم أبلغه مأنته ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » <sup>(٤)</sup> وهي قمة في

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ . (٢) سورة يونس : ٩٩ .

(٣) سورة الحج : ٤٠ و ٤١ . (٤) سورة التوبية : ٦ .

الساحة ما زال البشرية تتطلع إليها في كثير من الأوطان .  
ويكفي أن نعرف أنه لا مكان في الرقة الشيوعية كلهـا من  
لا يدين بالشيوعية – وهي مجرد فكرة اجتماعية وليس عقيدة  
دينية – وأن منافي سibiria ، وأعماق السجون ، ومذابح التطهير  
كـهـا في انتظار من لا يؤمنون بكارل ماركس ولينين وستالين .  
وهم بـهـم من خلق الله !

• • •

وـكـانت ثـورـة عـلـى طـاغـوت التـقـرـقة الـاجـتـاعـية والنـظـام الـطـبـقـي .  
وـكـلـ شـيـء كـانـ يـوـنـ عـلـى سـادـة قـرـيشـ إـلـا تـحـطـمـ الفـقـرـ بـالـأـنـسـابـ ،  
وـالـاعـتـازـ بـالـأـبـاءـ وـالـأـجـدـادـ ، وـمـا كـانـ يـخـفـيـ عـلـى ذـكـاءـ هـؤـلـاءـ السـادـةـ  
مـا فيـ عـقـائـدـمـ منـ سـخـفـ ، وـمـا فيـ اـصـنـامـهـمـ منـ سـذـاجـةـ ، وـمـا  
كـانـ يـخـفـيـ عـلـيـهـمـ أـنـ مـا يـدـعـوـهـمـ إـلـيـهـ مـحـمـدـ خـيـرـ عـاـلـيـاـ لـاـ يـقـاسـ مـاـ هـمـ عـلـيـهـ  
مـنـ عـقـيـدـةـ . وـلـكـنـهـمـ كـانـوا يـدـفـوـنـهـمـ بـكـلـ مـا يـلـكـونـ مـنـ قـوـةـ . . . .  
لـمـذـاـ ؟ لـأـنـ مـا يـدـعـوـهـمـ إـلـيـهـ هـوـ تـحـطـمـ سـيـادـتـهـمـ وـفـوـارـقـهـمـ وـاعـتـازـهـمـ  
بـأـنـسـاـيـهـمـ ، وـمـقـوـمـاـيـهـمـ الـمـوـرـوـتـةـ الـقـيـ تـقـلـ الطـبـقـيـةـ بـأـعـنـفـ مـعـانـيـهـاـ .  
كـانـتـ جـهـرـةـ الـحـجـيجـ تـقـفـ بـعـرـفـاتـ وـتـقـيـضـ مـنـهـاـ . أـمـا  
قـرـيشـ فـكـانـتـ تـقـفـ بـالـزـدـلـفـةـ وـمـنـهـاـ تـقـيـضـ . فـجـاهـ مـحـمـدـ – وـهـوـ  
مـنـ ذـرـوـةـ قـرـيشـ – يـقـفـ بـعـرـفـاتـ . وـالـقـرـآنـ يـأـمـرـ قـرـيشـاـ  
فـيـقـولـ : « ثـمـ اـفـيـضـوا مـنـ حـيـثـ أـفـاضـ النـاسـ <sup>(11)</sup> ، تـحـقـيقـاـ  
لـمـسـاـوـةـ الـمـطـلـقـةـ بـيـنـ جـيـعـ النـاسـ .

(11) سورة البقرة : ١٩٩ .

وكان الرجل من أشراف قريش يأنف أن يزوج ابنته أو اخته من الرجل العربي من عامة الناس . فجاء محمد - وهو من ذرية قريش - ليزوج ابنة عميه زينب بنت جحش من مولاه زيد .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أهمل شأن المرأة المهزومية التي سرقت . فقالوا : من يكلم فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : ومن يختاره عليه إلا أسامي بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلمه أسامي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتشغف في حد من حدود الله ؟ » ثم قام فاختطب . ثم قال : « إنما أهلك الدين من قبلكم أنتم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه . وإذا سرق فيهم الضييف اقاموا عليه الحد . واجم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطمت يدها »<sup>(١)</sup> .

وبعد محمد بـ ألف واربعين عام ، ما تزال البشرية تتطلع وهي تحاول في هذا المرقق الصعب ان تبلغ الى الآفاق ، التي بلغ اليها في عالم الحقيقة والواقع ، لا في المثال والخيال .

• • •

وكان ثورة على طاغوت الظلم والبني والطفيان . ثورة جردت الحكام والسلطانين من كل امتياز ، ومن كل سلطان ، لأنها ردت الأمر كله في التشريع ، ورددت الأمر كله الى الأمة في اختيار من يقوم على تنفيذ التشريع ...

---

(١) رواه الشیخان .

وهنا لا يبد من وقفة دقيقة تكشف عن عمق ما في هذا النظام من ضمادات لا يتحققها أي نظام ... إن انقراض حتى التشريع من البشر ورده إلى الله وحده سبحانه ، لم يبق لواحد من البشر أو جماعة ، أو طبقة ، أي مجال للتحكم في الآخرين ، ولا أي منفذ يعلو به فرد على فرد أو فرد على جماعة ، أو طبقة على طبقة . إن الحاكمة كله لله سبحانه ، وليس لغيره ان يشرع إلا استمداداً من شريعته ، والله رب الجميع . وإن ذلن تكون في تشرعه عبادة لفرد أو جماعة أو طبقة ، ولن يحسن أحد أنه حين ينفذ القانون خاضع لمشيئة أحد . إنما هو خاضع لله رب الجميع . ومن ثم تتساوى الرؤوس ، وترتفع الهمامات جميعاً ، لأنها لا تعنو جيماً إلا الله وحده .

وأما من يقوم على تنفيذ التشريع ، فإنه لا يشرع ، بل ينفذ ، وهو يستمد حقه في القيام على التنفيذ من اختيار الأمة له . والطاعة المفروضة له ليست طاعة لشخصه ، إنما هي طاعة لشريعة الله التي يقوم على تنفيذها ، ولا حق له في الطاعة حين يتعداها . فإن وقع خلاف على أمر من أمور التنفيذ ، فالحكم فيه هو الشريعة ذاتها : « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » (١) .

وبذلك يقف النظام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فريداً بين جميع أنواع النظم التي عرفتها البشرية قديماً وحديثاً .

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .

يقف فريداً في تحقيق المساواة المطلقة في نظام الحكم ، وفي تحطيم كل ظلل لطاغوت السلطان الفردي ، او السلطان الطبيعي ، في عالم التشريع .

أما العدل في التنفيذ ، فقد بلغ إلى قمة لا تكاد البشرية حق اللحظة تتطلع إليها ، فضلاً عن أن تجاوها وترقاها : « وَإِذَا قَلَمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى » <sup>(١)</sup> ... « وَلَا يَحْمِرْ مِنْكُمْ شَنَآنَ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدُلُوا . إِعْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِتَقْوِيَةِ وَاقْتُوْا إِلَهٗ » <sup>(٢)</sup> .

« فهو العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه للحب أو البغض ، ولا تغير قواعده المودة والشأن . العدل الذي لا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ، ولا بالبغض بين الأقوام ، فيتمتع به أفراد الأمة الإسلامية جميعاً ، لا يفرق بينهم حسب ولا نسب ، ولا مال ولا جاه ، كما تتمتع به الأقوام الأخرى ولو كان بينها وبين المسلمين شأن . وتلك قمة في العدل لا يبلغها أي قانون دولي إلى هذه اللحظة ، ولا أي قانون داخلي كذلك .

« والذين يعارضون في هذا ، عليهم أن يراجعوا عدالة الأقواء للضعفاء بين الأمم ، وعدالة المتعارفين بعضهم بالقياس إلى بعض . ثم عليهم أن يراجعوا عدالة البعض للحمر والسود في الولايات المتحدة ، وعدالة البعض للملونين في جنوب إفريقية . وفي الإشارة ما يعني فهي أحوال معاصرة يعلمها كل إنسان .

« والمهم في عدالة الإسلام أنها لم تكن مجرد نظريات ، بل

---

(١) سورة الانعام : ٢ . (٢) سورة المائدة : ٨ .

أخذت طرقها إلى واقع الحياة ، فحفظت الواقع التاريخي منها أمثلة متواترة <sup>(١)</sup> .

وكان نوره على طاغوت الرق . نوره رفعت الرقيق من مرتبة الشيء أو مرتبة الحيوان ، إلى مرتبة الإنسان . وهذا هو البيان :

« وكان الرق نظاماً عالياً . وكان العبيد في الدولة الرومانية يعاملون معاملة طابعها القسوة ، فهم يعاملون نهاراً في الإقطاعيات . فإذا ما جنَّ الليل 'كَبَلُوا بِالسَّلَسِلِ' ، وألقى بهم في الكهوف التي يتضمنون فيها الليل ، ويقوم عليهم حراس أشدَّهُ غلاظ القلوب ، وكانت العقوبات التي توقع عليهم تتراوح بين الجلد والصلب ، وهذا خلاف استخدامهم كوسيلة لتسليمة الاحرار ، وذلك باقامة المبارزات الوحشية ، أو بجعلهم على مقاتلة الأسود ، وكان ذلك كله يجري في حفلات يقبل عليها الاحرار في شفَّ » <sup>(٢)</sup> .

وجاء محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ليقول : « من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه ، ومن أخضى عبده أخضناه <sup>(٣)</sup> » ، وليرد : « إخوانكم خوالكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل الله أخاه تحت يديه فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه من العمل مما يقبله ، فإن كلفه مما يقبله فليعنته

(١) عن كتاب « المذلة الاجتماعية في الإسلام » من ٩٥ و ٩٦ .

(٢) عن كتاب « النظام الاشتراكي » للدكتور راشد البراري ص ١٨ .

(٣) رواه الشیخان .

عليه <sup>١١</sup> ... وعن أبي مسعود الانصاري - رضي الله عنه - قال : « كنت أضرب غلاماً لي ، فسمعت من خلفي صوتاً : إعلم أبا مسعود ، الله أقدر عليك منك عليه . فالتفت فإذا رسول الله - صل الله عليه وسلم - فقلت : يا رسول الله هو حرٌ لوجه الله . فقال : أما لو لم تفعل لفتحت النار ، أو لم تستك النار <sup>١٢</sup> . »

أما لماذا لم يبطل محمد الرق كلياً ، ولأول وهلة ، فقد كان الأمر أمر وضع اجتماعي وعرف دولي ، في استرقاق الاسرى ، وفي استخدام الرقيق . والآوضاع الاجتماعية تحتاج إلى تعديل شامل لقوماتها وارتباطاتها ، والعرف الدولي يحتاج إلى اتفاقيات دولية ومعاهدات جماعية . ولم يأمر الاسلام بالرق فقط ، ولم يرد في القرآن نص على استرقاق الاسرى عرفاً دولياً . فلم يكن بد أن يتيث في علاج هذا الوضع الاجتماعي القائم ، والنظام الدولي الشامل ...

وقد اختار أن يحلف متابيع الرق وموارده <sup>٤</sup> حق ينتهي بهذا النظام كله مع الزمن إلى الإلقاء ، دون إحداث هزة اجتماعية لا يمكن ضبطها ولا قيادتها .. بدأ بتجفيف موارد الرق ومتابعه كلها ، فيما عدا أسري الحرب الشرعية ، ذلك أن المجتمعات المعادية للإسلام كانت تسرق أسري المسلمين حسب العرف الدولي العام في ذلك الزمان ، وما كان الإسلام قادرًا يومئذ على

(١) رواه صاحب مصايد السنة من الصحاح .

(٢) المصدر السابق ، من الصحاح .

أن يجبر هذه المجتمعات على خالفة ذلك المعرف الدولي . ولأنه قرر إبطال استرقاق الأسرى لكان هذا اجراءً مقصوراً على الأسرى الذين يقعون في أيدي المسلمين . بينما الأسرى المسلمين يلاقون مصيرهم السيء في عالم الرق هناك . وفي ذلك إطاع للعادين للإسلام في أهل الإسلام . لهذا الوضع الاجتماعي القائم لم ينص القرآن على استرقاق الأسرى **بل قال :** « فَامَّا مَنْ بَعْدَ وَإِمَّا فَدَاءٌ حَقٌّ تَضَعُّفُ الْحَرْبَ أَوْ زَارَهَا » . ولكنه كذلك لم ينص على عدم استرقاقهم . وترك الدولة المسلمة تعامل أسرابها حسب ما تتفق عليه مع عاربيها . فتفادي من تفادي من الأسرى من الجانبيين **وتبادل الأسرى بين الفريقين** ، وتسرق من يسترقون المسلمين . كي لا يصبح الأسرى من المسلمين أرقاء . والأسرى من الكفار طلقاء . وذلك إلى أن يتتسق تنظيم هذا المعرف بالاتفاق . ويتجذب موارد الرق كلها فيما بعداً هذا المورد الذي لا اختيار للإسلام فيه ، يقل العدد .. وهذا العدد القليل أخذ يعمل على تحريره **يجبره أن يتضمن إلى الأمة الإسلامية** وينقطع صلته بالكفار العاربيين . فجعل للرقيق حقه كاملاً في طلب الجزية يدفع فدية عنه يكتتب عليها سيده . ومنذ هذه اللحظة يملك حرية العمل وحرية الكسب والتملك ، فيصبح أجر عمله له ، وله أن يعمل في غير خدمة سيده ليحصل على فدبيته ، ثم له نصيحة من بيت المال في الزكاة . والملعون مكلفون فوق هذا أن يساعدوه بالمال على استرداد حرريته .. وذلك غير الكفارات التي لا تتعفي إلا بعتق رقبة كالقتل الخطأ

والظهور وما إليه .. وبذلك ينتهي وضع الرق نهاية طبيعية مع الزمن، لأن عبiq المذكور في التنظيم الاجتماعي والعرف الدولي»<sup>(١)</sup>

• • •

وكانَ ثُورَةً عَلَى طاغُوتِ «الرَّجُلِ» . أَجَلِ ، طاغُوتِ الرَّجُلِ وطُفْيَانَه عَلَى الْمَرْأَةِ ثُورَةً قَرَرَتْ لِلْمَرْأَةِ حُقُوقَهَا الْإِنْسَانِيَّةِ فِي صُورَةِ شَرِيعَةٍ لَا رَجْعَةَ فِيهَا وَلَا نَكَةَ . وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ بَعْضُ الْحَلْقَاتِ فِي رُوْمَةِ تَبَعُثُ فِيهَا إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةِ ذَاتِ رُوحٍ ، كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَقُولُ : «فَاسْتَجِابَ لَهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَلَى عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكْرٍ أَوْ اتْشِي بِعَضْكُمْ مِّنْ بَعْضٍ»<sup>(٢)</sup> . «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ» ، وَلِلْمَنَاءِ نَصِيبٌ مَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ»<sup>(٣)</sup> .. «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مَا أَكْسِبُوا» ، وَلِلْمَنَاءِ نَصِيبٌ مَا أَكْسِبُوا»<sup>(٤)</sup> .. وَبِذَلِكَ يَقْرِرُ حَقَّ الْمَرْأَةِ فِي الْحَيَاةِ الْرُّوْحِيَّةِ وَفِي الْحَيَاةِ الْمَادِيَّةِ ، عَلَى قَدْمَ الْمَسَاوَةِ مَعَ الرَّجُلِ ، دُونَ تَلْعُمٍ وَلَا تَرْدَدٍ وَلَا جُدَالٍ

وَكَانَ – رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ . «لَا تَتَكَحُّثِيْبُ حَتَّى تَسْأَمِرْ ، وَلَا تَتَكَحُّبِكْرُ حَتَّى تَسْتَأْذِنْ . وَأَذْنَهَا صَمْتَهَا»<sup>(٥)</sup> ..

(١) عَنْ كِتَابٍ : «فِي ظَلَالِ الْقُرْآنِ» ، الْجَزْءُ الثَّانِي صِ ٥٩ وَ ٦٠ .

(٢) سُورَةُ آلِ عِرَانَ : ١٩٥ . (٣) سُورَةُ النِّسَاءِ : ٧ .

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ : ٣٣ .

(٥) رِوَايَةُ الشِّيْخَانَ .

وبذلك يقرر حررتها في حياتها الشخصية ، وحرية اختيارها  
في شركة الحياة .

لقد عاش محمد بن عبد الله - عليه صلوات الله وسلامه -  
بحطم الطواغيت : الطواغيت كلها ، سواء كانت في عالم الضمير  
أم عالم الواقع ، ولم تعرف البشرية في تاريخها الطوويل ، رجلاً  
آخر غير محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - حطم من  
الطواغيت قدر ما حطم هذا الرجل ، وفي فترة من الزمان  
قصيرة ، شديدة القصر ..



## انتصار محمد بن عبد الله

إن انطلاق ملابس الأصوات ، في مشارق الأرض وغارتها  
تردد آناء الليل وأطراف النهار ، : لا إله إلا الله محمد رسول الله .  
إن انطلاق هذه الأصوات طوال أربعة عشر قرناً ،  
لاتنضب ولا تختف ، ولا تموت . تتبدل الدول ، وتتغير  
الاحوال ، ولا تتبدل الصيحة الخالدة ، التي انطاعت في  
غير الزمان .

إن انطلاق هذه الأصوات ، هو الدليل الحي الناطق على  
انتصار محمد بن عبد الله .

إنه ليس انتصاراً في غزوة ، ولا انتصاراً في معركة . إنه  
ليس فتح مكة ، ولا فتح جزيرة العرب ، ولا اخضاع مملكتي  
كرى وقىصر . إنما هو النصر الكوفي الذي يدخل في بنية  
الحياة ، وينغير مجرى التاريخ ، ويصرف اقدار العالم ، وينطبع  
في ضمير الزمان .

إنه النصر الذي لا يذهب به ضعف طارى على الأمة المسلمة

في وقت من الاوقات ، ولا ينفع من قيمته بروز مذاهب جديدة  
وفلسفات ، ولا يطفىء من نوره غلبة فريق على فريق في رقعة  
من الأرض ، لأن جذوره ضاربة في أعماق الكون ، متأصلة في  
ضمير البشر ، ذاهبة في مسارب الحياة .

إنه النصر الذي يحمل دليلا في ذاته لا يحتاج إلى دليل  
أو برهان .

فلتحاول أذن أن تدرك أسبابه ووسائله ، لتحاول نحن  
الوسائل ، ولنأخذ اليوم **بالأسباب** .

انه ما من شك ان الله كان يريد محمد بن عبد الله ان ينتصر ،  
وكان يريد لهذا الدين القويم أن يسيطر . ولكن الله لم يرد أن  
يجعل النصر هيناً ليناً سهلاً ميسوراً ، ولم يرد أن يجعله معجزة  
لا يد فيها للجهد البشري ولا وسيلة ، إنما جعله ثرة طبيعية للجهد  
الرسول - **عليه السلام** - وجهاده ، ونتيجة منطقية لتضحياته  
وتضحيات أصحابه .

فن شاء أن يعرف كيف انتصر الرسول ، وكيف انتصر  
الاسلام ، فليدر من ذلك في شخصه وسلوكه وسيرته وجهاده .  
ليعلم أن طريق النصر مرسوم ، وإن وسائله حاضرة ، وأن  
أسبابه قائمة ، وإن على من أراد النصر في أي زمان وفي أي مكان .  
ان يجعل قدوته في الرسول نفسه - عليه الصلاة والسلام .

لقد انتصر محمد بن عبد الله ، وكان لنصره مقومات ثلاثة  
فيها تكمن سائر المقدمات .

الثصر محمد بن عبد الله ، يوم ان جاء وجوه فريش بمحاجون  
عنه ابا طالب ، يطلبون إليه أن يعرض على ابن أخيه الذي أفلقهم  
في دينهم ، وأزعجهم في تقاليدهم ، وهزّهم في معتقداتهم ان  
يُشكّ عنهم وعن أهليهم ، وله في ذلك ما يشاء ، ان كان يريد  
مالاً أعطوه ، وإن كان يريد سعادة سودوه وله فيهم بعد  
ذلك ما يريد .

لقد انتصر محمد بن عبد الله ، وهو يلتقي في اجتماعهم واسع  
الزمان ، بقوله الحالدة المتباقة من بنابيع الابياء ، واشهياع  
لو وضعوا الشمس في عيني والقمر في ياري على أن أترك هذا  
الامر ما فعلت حق يظيره اهلاً أو أهلك دونه .

يا الله ! يا للروعه المزلازله . يا للصورة الكونية الهائمه . لو  
وضمعوا الشمس في عيني والقمر في ياري . إنها صورة منتزعه  
من ضمير الكون لا من خيال انسان . إنها الصورة التي يبعثها  
الإيان المطلق من قراره الوجودان .

لقد انتصر من يومها محمد بن عبد الله ، ولقد هزَّ وجдан قريش هزة لم تهلك بعدها أبداً . إنه الإعان ، القوة التي لا يغلبها شيء في الأرض ، مقي استقرت في وجدان إنسان .

وانتصر محمد بن عبد الله يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله - صوراً حية من إيانه، تأكل الطعام وتشي في الأسواق . يوم صاغ من كل منهم قرآن حياً يدب على الأرض . يوم جعل من كل فرد نوذجاً بجسماً للإسلام ، يراه الناس فيرون الإسلام .

ان النصوص وحدها لا تصنع شيئاً ، وإن المصحف وحده لا يفعل حق يكمن رجلاً ، وإن المبادىء وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً .

ومن ثم جعل محمد هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يلقي مواعظاً ، وان يصوغ ضمائر لا ان يدعي خطباً ، وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة . أما الفكره ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم ، وكان عمل محمد - عليه السلام - أن يحول الفكره المجردة الى رجال تلسمهم الأيدي وترامهم العيون .

فلا انطلق هؤلاء الرجال في مشارق الأرض ومحاربها ، رأى الناس فيهم خلقاً جديداً لا عهد للبشرية به ، لأنهم كانوا ترجمة حية للفكرة لا عهد للبشرية بها . عندئذ آمن الناس بالفكرة لأنهم آمنوا بالرجل الذي تتمثل فيه ، واندفعوا يحققونها في ذواتهم بالقدرة ، فيسلكون نفس الطريق .

وما كانت الأفكار المجردة وحدها لتعيش ، وإن عاشت ، فما كان لها أن تدفع بالبشرية خطوة واحدة الى الأمام . كل فكرة عاشت قد تثلت بشرأ سوياً . وكل فكرة علت قد تحولت حرفة إنسانية .

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ، يوم صاغ من فكرة الإسلام شخصاً ، وحول إيمانهم بالإسلام علا ، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات وألوفاً . ولم يكتبه لم يطبعها بالسداد على صحائف الورق ، إنما طبعها بالنور على صحائف من القاروب .

وأطلقتها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي وتقول بالفعل والعمل  
ما هو الاسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله من عند الله .

وأخيراً فقد انتصر محمد بن عبد الله ، يوم أن جعل شريعة  
الاسلام نظاماً يحكم الحياة ، وبصرف المجتمع ، وينظم علاقات  
الناس ، ويسطير على أقدار الرجال والأشياء سواه .

إذ الاسلام عقيدة تبثق منها شريعة ، فيقوم على هذه  
الشريعة نظام . ومن العقيدة والشريعة والنظام تكون شجرة  
الاسلام ، كما تكون كل شجرة ، من جذر وساق وثمرة .

فلا ساق ولا ثمار بلا جذور ضاربة في الأعماق . ولا قيمة  
لجذور لا تنبت ساقاً . ولا جدوى في ساق لا تعطي أكها للحياة .  
لذلك حرص الاسلام على أن يكون الحكم شريعته في الحياة:  
« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

ولذلك اختفت من الاسلام أسطورة فصل الدين عن الدولة  
لأن لا دولة بلا دين ، ولا دين بلا شريعة ونظام .

ومنذ اليوم الأول لبناء الدولة الاسلامية كانت شريعة  
الاسلام هي التي تحكم هذه الدولة ، وكان صاحب الشريعة هو  
الذي يتولاها .

ولقد بدأت الدولة الاسلامية منذ أن كان المسئول حفنة  
من الناس ، يعلكون ان يدفعوا عن أنفسهم العذوان ، وأن  
يحموا أنفسهم من الفتنة عن دين الله ؛ وأن يتعيذوا في رقعة من

الأرض يظللها علم الاسلام .

عندئذ تحول الاسلام الى نظام اجتماعي ، ينظم العلاقات بين المسلمين . و الى نظام دولي يعاملون على أساسه سوادم من الناس .

ثم انساح الاسلام في جنبات الأرض يحمل معه حيناً حلًّا عقيدته وشرعيته ونظامه . فمن شاء أن يدخل في عقيدته دخل . ومن لم يثأر فإنه : « لا اكراه في الدين » ، ولكن شريعة الاسلام ونظامه يظللان كل أرض دخل اليها الاسلام ، فيجد الناس فيها عدلاً لم تعرفه البشرية من قبل وبرأً لم تطعمه البشرية من قبل . وعندئذ يدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وعندئذ يتحقق وعد الله رسوله :

« اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواماً » .

لقد انتصر الاسلام لأن العقيدة الاسلامية « ترجت الى شريعة » ، فأووجدت هذه الشريعة نظاماً تهفو اليه مشاعر الناس ، وتطمئن اليه قلوب العالمين .

عندئذ انتصر محمد بن عبد الله ، لأنه تأسد شريعة الله كما ارادها الله .

تلك كانت مقومات ذلك النصر الحاصل في ضمير الكون ، الضارب في جذور الحياة ، الذي ترتفع به ملايين الأصوات في مشارق الأرض وغارتها ، وتترنم به ملايين الشفاه .

وهي مقومات طبيعية منطقية واقعية . مقومات غلوكها  
لمن المسلمين في كل جيل وفي كل زمان . مقومات حاضرة في  
أيديتنا غلوك ان نخاولها وان نخبرها وان نصل بها الى النصر الذي  
قدّره الله من ينصره الله :

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لغوي عزيز . الدين انت  
مكتنام في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف  
ونهوا عن المأكرون . والله عاقبة الأمور » .

صدق الله العظيم .



# الاسلام يكافح

الذين يفهمون أن مبدأ ما من المبادئ التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل ، يمكن أن يكافح المظالم بأنواعها كما يكافحها الاسلام ، أو يمكن أن يقف بجانب المظلومين جميعاً كما يقف الاسلام ، أو يمكن أن يصرخ في وجوه الطفافة والتجبرين كما يصرخ الاسلام ... الذين يفهمون هذا خطئون كل الخطأ ، أو مفرون كل الفرض ، أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة .

والذين يفهمون انهم مسلدون ، ثم لا يكافحون المظالم بأنواعها كفاحاً ، ولا يدافعون عن المظلومين كلهم دفاعاً ، ولا يصرخون في وجه الطفافة والتجبرين صراخاً ... الذين يفهمون هذا خطئون كل الخطأ ، أو منافقون كل النفاق ، أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة ...

وهذه أخرى .

إن الاسلام في صيغة حركة تحريرية ، تبدأ في ضمير الفرد وتنتهي في عيادة الجماعة . وما يعمر الاسلام قلباً ، ثم يدعه مستلماً خاضعاً خانعاً لسلطان على وجه الأرض ، الا سلطان الواحد القهار . وما يعمر الاسلام قلباً ثم يدعه صابراً ساكتاً على

الظلم في صورة من صوره جيماً ، سواء وقع هذا الظلم على شخصه أو وقع على الجماعة الإنسانية في أية أرض وفي ظل أي سلطان .

فإذا رأيت المظالم تقع ، وإذا سمعت المظلومين يصرخون ، ثم لم تجد الأمة الإسلامية حاضرة لدفع الظلم ، وتحطيم الظالم ، فلكل أن تشك" مباشرة في وجود الأمة الإسلامية . فما يمكن أن تحمل القلوب الإسلام عقيدة ، ثم ترضى بالظلم نظاماً ، وبالسجن شريعة .

إنه إسلام أو لا إسلام ... إسلام ، فهو كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة . أو لا إسلام ، فهو إذن مهمة بالأدعية ، وقطعة بالسابق ، وتنمية بالتعاونية ، واتكال على أن تنظر السماء على الأرض صلاحاً وخيراً ، وحرية وعدلاً . وما كانت السماء تنظر شيئاً من هذا كله ، وما كان الله لينصر قوماً لا ينصرون أنفسهم ، ولا يتقدون بأهليهم ، ولا ينفذون شريعة في الجهاد والكفاح : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن الإسلام عقيدة ثورية حر كية، يعني انه ما يكاد يمس القلب الإنساني مأساً صحيحاً حق يحدث فيه إنقلاباً : إنقلاباً في التصورات ، وإنقلاباً في المشاعر ، وإنقلاباً في تغيير الحياة ، وعلاقات الأفراد والجماعات ... إنقلاباً يقوم على المساواة المطلقة بين بني الإنسان جيماً ، لا فضل لأحد فيهم على أحد

الا بالتفويى ، ويقوم على الكرامة الانسانية التي لا تترك مخلوق  
في الارض ، ولا حدث من أحدانها ، ولا قيمة من قيمها .  
ويقوم على العدالة المطلقة التي لا تطبق البغي من أحد ، ولا  
ترضى بالبغي على احد ... ثم ما يحس الانسان حرارة هذه  
المقيدة حق يندفع الى تحقيقها في الواقع العلبي بكل نفسه .  
فا يطبق صبرا ولا سكونا ولا سكونا الا أن يتم له تحقيقها  
فعلا ... ذلك تأويلي ان الاسلام عقيدة ثورية حركية .

فالذين يؤمنون بالله حق الاعيان ، هم الذين يجاهدون في الله  
حق جهاده ، ثم هم الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا .  
وكلمة الله في هذه الارض لا تتحقق الا أن يُرفع البغي والظلم  
منها وإلا ... أن يصبح الناس ساوية كأسنان المطرد لا فضل  
لأحد على أحد إلا بالتفويى .

والذين يبصرون بالظلم في كل طريق ، ويلتقطون بالبغي في كل  
ثنية ، لا يجر كون يداً ولا لساناً ، وهم قادرون على تحريك اليد  
والسان ، أولئك لم يعمر الاسلام قلوبهم . فلو عمرها لانقلبوا  
مجاهدين مكافحين منذ أن تس الشملة المقدسة تلك القلوب العاقلة  
فتشعلها وتدفعها إلى المعركة دفما .

وإذا كانت الروح القومية تلك أن تدفع بنا اليوم إلى كفاح  
الاستعمار الباغي البغيض .

وإذا كانت الروح الاجتماعية تلك أن تدفع بنا اليوم الى كفاح  
الإقطاع الفاجر والرأسمالية الطاغية .

وإذا كانت روح الحرية الفردية تلك أن تدفع بنا اليوم الى  
كفاح الطغيان الباغي والعنف المتجبر .

فروح الاسلام تجمع الاستعمار والاقطاع والطغيان كلها في  
عنوان : البغي ... وتدفع بنا جميعا الى كفاحها جميعا بلا تلغم  
ولا تردد ، وبلا جدال ولا تفرق . وتلك مزية الاسلام الكبيرة  
في ميدان الكفاح البشري للحرية وللعدل وللكرامة .

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام ، يمكن أن يهد  
إلى المستعمر بيدأ ، أو يقدم لهم عونا ، أو يعادهم يوما ، أو  
يكف عن حربهم خفية وجها ، وإن خائن لدينه ، قبل أن  
يكون خائناً لوطنه أو خائناً لقومه أو خائناً لشرفه – كل رجل  
لا يحس <sup>1</sup> للمستعمر العداوة والبغضاء ولا يشن <sup>2</sup> عليهم الحرب  
فيما استطاع . فكيف بن يعقد معهم معاهدات الصداقة ؟  
وكيف بن يخالفهم حلف الأبد ؟ وكيف بن يقدم لهم العون في  
السلم ، وفي الحرب ؟ وكيف بن يهدهم بالطعام وقومه جياع ؟  
وكيف بن يقف دونهم ردها لهم وسترا ؟

وإنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام يمكن أن يدع  
الاقطاع الفاجر والرأسمالية الطاغية في أمن وطمأنينة لا يكشف  
خازتها ، ولا يبين شناعتها ، ولا يصرخ في وجهها الكالح ، ولا  
يماهدها باليد والسان والقلب ما استطاع إلى ذلك سيلما ...  
وكل يوم يمر دون جهاد ، وكل ساعة تمر دون كفاح ، وكل لحظة  
تمر دون عمل ... إنتم يستشعره هم بغيره ، ووزر <sup>3</sup> بنوه به

شعره ، وخطبته لا يكفر عنها إلا الجهاد الدافق الحار الفوار .  
وإنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام يمكن أن يبدع  
الطفيان الظالم والمسف السافر يدب على هذه الارض ، ويستبعد  
الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرازا . إنما يندفع المسلم بروحه وماله  
ليلي دعوة الخالق الرازق : « وما لك لا تقاتلون في سبيل الله  
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا  
آخر بمن من هذه القرية الظالم أهلاها واجعل لنا من لدنك ولينا  
واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

كن ملماً فحسب .. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك الى  
كافح الاستعمار في شجاعة واستهانة وتضحية واستبسال . فإن  
لم تفعل فتحسّن قلبك ، عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة  
إيانك . وإلاً فما صبرك عن كفاح الاستعمار ؟

كن ملماً فحسب .. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك الى  
كافح المظالم الاجتماعية جمعياً ... كفاحاً جاهراً دافقاً فائراً .  
فإن لم تفعل فتحسّن قلبك عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة  
إيانك . وإلاً فما صبرك عن كفاح العدوان ؟

كن ملماً فحسب .. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك الى  
كافح الطفيان ، في صلابة واستهانة بقوى الذباب الذي يحبه  
الضعاف من العقابان ! . فإن لم تفعل فتحسّن قلبك عسى أن  
تكون مخدوعاً في حقيقة إيانك . وإلاً فما صبرك عن  
كافح الطفيان ؟

إن مبادئ الأرض جيئاً، وإن مذاهب الأرض جيئاً  
لتفرق ليختار كلّ منها ميدانه ، لتحقيق العدل والحق  
والحرية . . فاما الاسلام فيكافح في الميادين جيئاً . ويختضن  
الحركات التحررية جيئاً . ويخندّ المكافعين لها جيئاً .

وحيثما يستند أصحاب المبادىء والمذاهب إلى قوتهنـ من قوى الأرض  
الثالثة ، يستند الإسلام إلى قوـة الأزل والأبد ، ويختوضون المعركة  
ومـلء قلوبهم شـوق إلى الاستشهاد في الأرض لـينالوا حـياتهم  
في السـماء :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ  
الْجَنَّةَ، يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ حَقًّا فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ . وَمَنْ أَوْفَى بِعِهْدِهِ  
مِنَ اللَّهِ؟ » .



## طبيعة الفتوح الإسلامي

ينتقل إلى "أحياناً أن طبيعة الفتوح الإسلامية وبراعتها وأهدافها الحقيقة ليست مجهولة من الفربين فحسب - من يحبون المد" الإسلامي كان حركة سيف ، وهجرة جنس ، ودفعه اطهاع - بل إنها مجهولة كذلك من كثرة المسلمين ، الذين يحبون مجرد التوسيع في الفتوحات العسكرية كباً للإسلام ، وتأثيره للفاتحين في جميع العصور .

هؤلاء وهؤلاء سواء ، في البعد عن إدراك طبيعة الفتوح الإسلامية ، وبراعتها وأهدافها الحقيقة . وانه ليحسن أن نصحح تلك الصورة المزوررة او المشوهة للفتوح الإسلامية ، بل للحقيقة الإسلامية ذاتها في النهاية .

قال تعالى : « لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي » .  
وقال تعالى : « يا أهلا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

وُسْتَلَ رسول الله ﷺ : الرجل يقاتل للغنم ، والرجل يقاتل للذِّكْر ، والرجل يقاتل لبرى . فمن في سبيل الله ؟  
قال : « من قاتل لتكون كلة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

هذه النصوص الثلاثة من القرآن والحديث تكشف لنا عن طبيعة الحروب الإسلامية وطبيعة الفتوح الإسلامية أجمعًا.

ان الاسلام يستبعد من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح ، بقصد اكراه أحد على الدخول في الاسلام . وبذلك يستبعد جميع الحروب والفتوحات التي تثيرها العصبية الدينية بهذا المعنى ؛ والتي ذاق العالم من ويلاتها لا في الحروب الصليبية المعروفة فحسب ، ولا في الاضطهاد الاسباني للمسلمين في الأندلس فحسب ، بل في كثير من بقاع الأرض ، وفي كثير من أدوار التاريخ ؛ والتي ما زالت البشرية الى يومنا هذا تتجرع مراراتها ، وإن كانت تخفي تحت عنوانات أخرى غير عنوان التحصّب الديني ।

والاسلام يستبعد من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح بقصد سيادة عنصر أو تغليب جنس ، فالناس قد جعلوا شعوبًا وقبائل ليتعارفوا ؛ لا ليستنزل بعضهم رقاب بعض ، ولا ليسود جنس او شعب . وبذلك يستبعد جميع الحروب والفتوحات التي تثيرها عصبية الجنس او اللون او اللغة . والتي ذاق العالم وما زال يذوق ثراثها المرة «حق في العصور الحديثة» التي يزعم الزاعمون أنها تحضرت ، وارتقت على دوافع القبيحة ।

كذلك يستبعد الاسلام من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح ، بقصد جر المفاسد . وبذلك يستبعد كافة الفتوح الاستعمارية ، التي تكمن وراءها مطامع اقتصادية ، كفتح

الأسواق واستجلاب الخامات ، واستغلال الموارد ؟ او الحصول على مراكز استراتيجية ، وميزات عسكرية ؟ تلك الفتوحات التي عانت البشرية وما تزال تعاني من ويلاتها ، والتي تقوم الحضارة الغربية الراهنة على أساسها ، لأنها مقوم أساسى من مقوماتها .

وأخيراً يستبعد الاسلام من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح ؟ بقصد اكتساب أعياد شخصية للحاكم والقائد ، أو إرضاء نزعات الاستعلاء والسيطرة والبروز ، التي تهيمن على أولئك الرجال ، فيخرجون من أجلها الشعوب ، بالإضافة شارة إلى تاج ، أو وسام إلى رداء ا

ومن ثم يتمين باعث واحد ، وهدف واحد للفتح الاسلامي ، هو الذي يقول عنه الرسول ﷺ : « من قاتل ل تكون كامة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

إنها اذن فكرة هي التي يراد تشرها ويراد تحقيقها : أن تكون كلمة الله هي العليا . فما هي « كلمة الله » المعنية في هذا الحديث ؟ ما طبيعتها ؟ وما حدودها ؟ إنه لا بد لنا أن ندرك طبيعة هذه الفكرة وحدودها لكي ندرك طبيعة الفتح الاسلامي ، ولكي ندرك الفارق بينه وبين الفتوح العسكرية الأخرى . ثم لندرك أن الفتوح الاسلامية كانت في حدود الفكرة الاسلامية ؛ وأيها لم يكن ولو أنه تم على أيدي المسلمين .

قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ، « ومن يبتغ

غير الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه » .

فتحقيق كلمة الله وجعلها هي العليا يتضمن أن يصبح الإسلام الله هو دين البشرية كافة . الإسلام الله على إطلاعه بمعنى إخلاص القلب الله دون سواه . والنظرية الإسلامية تعتبر أن جميع الرسالات قد قد جاءوا بالاسلام على هذا المعنى ، وأن جميع الرسالات قد قدمت على أساسه ، وأن محمدًا عليه السلام : إنما جاء بالاسلام في صورته الأخيرة التي ارتضاهما الله البشرية كافة ؛ وأن القرآن إنما جاء « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب وميماناً عليه » ، ومن ثم ينفي أن يفي الناس كلهم إليه ، فتحتحقق كلمة الله في الأرض ، وتتحقق كلمة الله هي العليا . وهذه إحدى معانٍ كلمة الله في هذا السياق .

إلا أن الطريقة لأن يفي الناس إلى هذا الدين الأخير لا يحوز أن تخرج على القاعدة الكلية التي قررها : « لا إكراه في الدين » ، والطلوب من رسول الإسلام ومحنته أن يحاولوا هداية الناس إليه بالدعوة اللينة والوعظة الحسنة : « أدعُ إلى سبيل ربكم بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بما هي أحسن » .

فإذا وقفت قوة مادية في وجه الدعوة السليمة ، فهنا فقط يحوز حل السلاح ، لتقرير حرية الدعوة . كذلك إذا تعرضت هذه القوة للذين استجابتوا للدعوة كي تفتنهم عن دينهم الذي ارتبوا بيل ، حررتهم . وذلك لتقرير حرية العقيدة : « وقاتلهم حق لا تكون فتنة » .

وفي مثل هذه الحالة يبدو واضحًا معنى القتال لتكون كلمة الله هي العليا . فكلمة الله هنا تعني كذلك حرية الدعوة وحرية الاعتقاد . وكل قوة مادية تقوم في وجه هاتين الحرفيتين أو إحداهما هي قوة معتدية مضادة لكلمة الله الذي كرم الإنسان ، وجعله على نفسه بصيرة ، وجعل عقده هو الحكم ، وإرادته هي مناط التكليف ؟ واعتبر الوقوف بالقوة في وجه الدعوة ، او استخدام القوة للإكراه على العقيدة ، معطلًا لكلمة الله . فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

وفي هذا السبيل كانت الحروب والفتحات الإسلامية في عهدها الأول ، الذي شرر الإسلام وقرر في مواطنه الرئيسية في داخل الجزيرة او خارجها . وقد سبقت الدعوة إلى الإسلام تلك الحروب والفتحات جيماً ، ولم تقرر الحرب إلا في حالة من حالتين : الوقوف بالقوة المادية في وجه الدعوة السنية ، او الاعتداء على حرية العقيدة وفتنة المسلمين عن دينهم أفراداً او جماعات .

وإن كان هذا لا ينفي أن بعض من خرجوا في هذه الفتوح كانت الفنائين والأسلاب والفيء حافزاً من حواجزهم ، ولكن العبرة في هذه الحالة ليست بذوافع بعض الأفراد ، إنما العبرة بأهداف القيادة . فأنما لا أحاسب دولة دخلت الحرب بطبع أفراد من جيوشها في مقام وأسلاب ، او مغامرات ومتاع ، إنما أحاسبها على الفكره التي من أجلها دخلت الحرب ، والهدف

الرسوم من ورائها ،

وما من شك أن القيادة الإسلامية في فتوحها الأولى على وجه التحديد ، وفي كثير من فتوحاتها التأخرية كذلك ، ما كانت تهدف إلى أكثر من أن تكون كلمة الله هي العليا ؛ وأن يكون الإسلام هو دين البشرية كافة ؛ لا عن طريق الإكراه ، ولكن عن طريق الدعوة . وضماناً لحرية الدعوة ، ولحرية العقيدة ، ساقت الجيوش وخافت المراكب ، وفتحت البلاد بعد أن قدمت الدعوة بين يديها ، وأعلنت أنها نهاية الأولى والأخيرة.

ومن ثم تهافت جميع الأباطيل والفتراء ، التي تقوّلها الفربون على الفتوحات الإسلامية : طبعتها وبراعتها ، والتي نشأ بعضها عن التعصب الديني ضد الإسلام والمسلمين ؛ ونشأ البعض الآخر عن سوء التفسير ، بسبب قيام المؤرخين الفربون لفتوات الإسلام على فتوحاتهم هم ، وقياس بواعث الفتوحات الإسلامية على الفتوحات الإمبراطورية الاستعمارية عندما في القديم والحديث !

وثلث مفهوم ثالث يجعل كلمة الله هي العليا ، مشتق من المفهومين السابقين ومكمل لها :

إن الإسلام عقيدة وجدانية تتبثق منها شريعة قانونية ، ويقوم عليها نظام اجتماعي : نظام متغير عن سائر النظم الاجتماعية التي عرفتها البشرية ، ذو مقومات خاصة به ، قد تشارك معه في بعضها بعض النظم الأخرى ، ولكنه في جموعه

يبدو متيناً عن سائر النظم بكل تأكيد .

من هذه الخصائص أنه نظام عالمي مبدأً من العصبية العنصرية ومن التعصب الديني . ومن ثم فهو يسمح لكل إنسان أن ينضم إلى موكبه في يسر ، وأن يتمتع فور انضمامه إليه بكافة الحقوق التي يتمتع بها أول مسلم من أي جنس ومن أي قبيلة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأخرى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ومنها أنه نظام عادل يضمن لمجتمع الأفراد حقوقاً متساوية ، ولا يجعل للحاكم أو لأمرأة أو لطبقة أي حق زائد عن حقوق الفرد العادي . ويفضي العدالة المطلقة في علاقات الطوائف والأمم ، فلا يقيم وزناً للعداوة والشأن ، كما أنه لا يقسم وزناً للصادقة والقريبي : « ولا يحير منكم شأن قوم على ألاّ تعدلوا . إعدلوا هو أقرب للتقوى » ، « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » .

وحق ما يسمونه في العصر الحديث باسم « مصلحة الدولة » فإنه لا يبرر في عرف الاسلام أن تجيد الدولة عن العدل المطلق في معاملتها مع الأفراد أو الجماعات أو الأمم . ففرد الأمر كله إلى تحقيق شريعة الاسلام لتكون كلمة الله هي العليا .

ومن ثم يدعى الاسلام أهله أن يكونوا أمناء على تحقيق العدل في الارض كلها ، ومنع الجلوز ، ورد الطفيان ، تحقيقاً لكلمة الله . فحيثما كان ظلم وكان بني ، فالملسوون متدينون

لدفعه ورفعه ، دون نظر الى من وقع منه الظلم والبني ، او الى من وقع عليه الظلم والبني ، في آية صورة ، وتحت أي عنوان ، سواء أكان ظلم فرد لفرد ، أم ظلم فرد جماعة ، أم ظلم جماعة لفرد ، أم ظلم جماعة جماعة . كله سواء ، لأن الناس كلهم سواء : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتاوا فأصلحوا بينها ؛ فإن بنت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبني حق تبني » إلى أمر الله ، فإن فاوت فأصلحوا بينها بالعدل وأفسلوا . إن الله يحب « المقطفين » .

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنماء واللدان الذين يقولون ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولينا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

ومن رفع الظلم وتحقيق العدل ، كل ما يتعلق بتحقيق العدالة الاجتماعية . والاسلام فوق أنه يعد العدالة الاجتماعية في أدق صورها شريعة من شرائعه ، وتکلیفها من تکالیفه ؛ يعدّها في الوقت نفسه عبادة من عباداته ينبع منها الفرد المسلم ؛ وتتپس بها الدولة المسلمة ، ابتهاءً لثواب الله وتجنبًا لعقابه ، ومن ثم يریطها بالدين فوق كفالتها بالقانون ؛ ويفرض القتال لتحقيقها اذا لم تکن ممّة وسيلة أخرى سوى القتال .

والنتيجة التي تخلص من هذه القدّمات كلها ، أن الحروب الاسلامية والفتح ملحوظ فيها أن تتحقق الى جانب حرية الدّعوة وحرية العقيدة العدالة المطلقة لجميع الناس ، فإذا هي لم

تحمل هذه المقدمات معها أهلها والبلاد المفتوحة كذلك ، لم تكن حرباً إسلامية ولا فتحاً إسلامياً . ولم تردد ثورتها على ضم رقعة من الأرض إلى العَلَمِ الْإِسْلَامِيِّ . وزيادة رقعة الأرض لم تكن يوماً ماذات قيمة في حساب الإسلام . إنما القيمة كلها لتحقيق النظام العادل الكامل الذي يقوم على الشريعة الإسلامية المتبنّة من العقيدة الإسلامية . وهذا هو الذي كان يضيّف إلى الإسلام قلوب وأشوعيّاً . وهذه هي غاية الفتح الإسلامي لا الأرض ، ولا الفي ، ولا الفتنية ، ولا الفلبة على البلاد والعباد .

جاء في كتاب « الدعوة إلى الإسلام » ، تأليف . ت . و . أرنولد » وترجمة حسن إبراهيم حسن وزميله في ص ٥٣ وما يمدها : « وقد استطاع ميشيل الأكبر بطريق انتهاكية يعقوبي أن يجذب – فيما كتبه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر – ما كتبه إخوانه في الدين ، وأن يرى إصبع الله في الفتوح العربية ، حقاً بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامي خمسة قرون . وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات هرقل :

( وهذا هو السبب في أن إله الانتقام – الذي تفرد بالقوة والجلبروت ، والذي يدبّل دولة البشر كايشه ، فيؤتيها من يشه ، ويرفع الوضيع – لما رأى شرور الروم الذين جلأوا إلى القوة ، فنهبوا كنائسنا ، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم ، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة ، أرسل أبناء اسماعيل من بلاد الجنوب لتخلصنا على أيديهم من قبضة الروم . وفي

الحق إننا إذا كنا قد تحملنا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا ، واعطانها لأهل خليعية ، فقد استمرت هذه الكنائس في حوزتهم . ولما أسلت المدن العرب خصص لكل طائفة الكنائس التي في حوزتها ( وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منها كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حرمان ) . ومع ذلك فلم يكن كباً هيناً أنت تتخلص من قسوة الروم وأذاهم ، وتحققهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام .

« ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الاردن ، وعسكر أبو عبيدة في فحل ، كتب الأهالي الميسugin في هذه البلاد إلى العرب يقولون : ( يا معاشر المسلمين . أنتم أحب اليانا من الروم ، وان كانوا على ديننا . أنتم أوفي لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنكم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا ) .

وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعددهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتصفهم .

لقد كان الفتح الإسلامي فتحاً فريداً في تاريخ البشرية كلها ، لم تعرف له من قبل ولا من بعد نظيراً ، انه لم يتحقق فتحاً للأرض وكتوزها ، إنما كان فتحاً لقلوب ساكني الأرض ، وغرس بذرة العدل والتسامح والمساواة والأخاء فيها .

وإن أي انسان علمنا للإنسانية ، يعرف طبيعة الفتح

الاسلامي ويدرك أهدافه ويراعي ليمتمنى أن لو كان مد الاسلام  
الأول قد غمر الارض جيماً ، وألقى فيها تلك البندرة الطيبة  
الخيرية ، وان الرجاء ملعقود - بعون الله - على مد الاسلام  
الثاني ، الذي أخذت بوادره تظهر في يقظة العالم الاسلامي ،  
وابعاث الفكرة الاسلامية أن يشعر الارض ومن عليها .

٤٧

# التربية الخلقية

## كوسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي

- محاضرة في حلقة الدراسات الاجتماعية -

إخواني :

يسريني أن أجدد من « حلقة الدراسات الاجتماعية » هذه الفتنة إلى « التربية الخلقية » واحتسبها « وسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي »، وذلك في عصر تقهقرت فيه « القيم الأخلاقية » عن المكان الذي يجب أن تشهده في الحياة الاجتماعية « تحت تأثير نظريات ومذاهب مختلفة » تعمل على إغفال الآثار العلية لتلك القيم ؛ ومن ثم تدعو إلى إغفال تلك القيم ذاتها، ونفيها من الميدان الواقعي للحياة .

ونظراً إلى تأثير تلك النظريات والمذاهب ، التي تعمل على إغفال الآثار الإيجابية للقيم الأخلاقية في حياة المجتمع ، نظراً إلى تأثيرها في الجلو الفكري والاجتماعي في هذا العصر - فإنني أسمح لنفسي ، قبل الدخول مباشرة في الموضوع الذي كلفت دراسته : موضوع التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكافل

الاجتماعي - أن أتفق بضعة سطور في الكلام عن «القيم الأخلاقية» ذاتها ، وتأثيرها في المجتمع البشري . فيجب أن يكون إعانتنا وثيقاً بهذه القيم ، قبل أن نخاول أية حاولة في حقل «التربية الأخلاقية» ، ذلك أن وظيفة التربية الأخلاقية هي : حاولة تحقيق قيم أخلاقية معينة ، تصطاحل الجماعة على ضرورة تحقيقها ، وترؤمن بجديتها وأهميتها . فهذا الإيمان أدنى يجب أن يسبق تلك المحاولة .

إننا مضطرون اضطراراً إلى الاعتقاد بأن الحالة الأخلاقية ، او الاحساس الخلقي ، فطرة في الإنسان ، بعض النظر عن نوع القيم الأخلاقية التي تسود مجتمعاً من المجتمعات ، ولم يقع إلا في فترات شاذة في حياة البشرية ، او في نفوس شاذة ، استحسان عام للرذيلة واستهجان عام للفضيلة . إنما كان الاختلاف يقع غالباً حول ما يعد رذيلة وما يعد فضيلة .

ونحن مضطرون اضطراراً كذلك ، إلى الاعتقاد بأن العنصر الأخلاقي في حياة الناس ، لم يفرض على الأفراد فرضاً ، لا من المجتمع ، ولا من الدين .. فالحالة الأخلاقية عبقة في فطرة الإنسان . ووظيفة الدين هي تنظيمها وتجيئها ، ووضع المعايير الثابتة لها ، فلا تغى مع الموى والمنفعة وأغراض الطبيعة ، إنما ترجع دائماً إلى معيار ثابت ، لا يتغير بالآهواه ، أما المجتمع فوظيفته هي حياة الفضائل التي يتتفق عليها ، لا فرضها فرضاً ضد ارادة الأفراد ، فالأخلاق لا يمكن فرضها من المجتمع مالم

يُكَنُّ هُنْ أَسَاسٌ عَيْقَنِي فِي الْفَطْرَةِ . ذَلِكَ أَنَّ الْجَمَعَةَ هُوَ كُتْبَةُ الْأَفْرَادِ ، مِهَا قِيلُ فِي التَّطَوُّرَاتِ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى عَقْلِيَّةِ الْأَفْرَادِ وَمِنْشَاعِرِهِمْ حِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي جَمَاعَةٍ . وَلَا بُدُّ أَنْ يَكُونَ الْقَانُونُ الَّذِي يَحْكُمُ حَيَاةَ الْجَمَاعَةِ مُتَسَقًا فِي طَبِيعَتِهِ مَعَ الْقَانُونِ الَّذِي يَحْكُمُ فَطْرَةَ الْفَرْدِ ، لِيُكَنْ قِيَامُ مجَمِعٍ مِنْ هُؤُلَاءِ الْأَفْرَادِ ، وَيُكَنْ قِيَامُ مَصْلَحَةٍ مُشَارِكَةٍ بَيْنَهُمْ ، عَلَى أَسَاسٍ مَا يَتَوَاضَعُونَ عَلَيْهِ مِنْ نَظَمٍ وَتَقَالِيدٍ .

وَأَخِيرًا فَنَحْنُ مُضطَرُّونَ اضْطَرَارًا إِلَى نَفْيِ فَكْرَةِ الْمُنْفَعَةِ كَأَسَاسٍ لِلْأَخْلَاقِ ، اَللَّهُمَّ إِنَّا إِذَا اعْتَدْنَا أَنْ مَدْلُولَ كَلْمَةِ الْمُنْفَعَةِ هُوَ الْمَصْلَحَةُ الْمُلْبِرُ لِلإِنْسَانِيَّةِ – وَهُوَ مَا لَا يَعْنِيهِ أَصْحَابُ نَظَرِيَّةِ الْمُنْفَعَةِ فِي عَالَمِ الْأَخْلَاقِ – وَكَذَلِكَ إِلَى نَفْيِ فَكْرَةِ الْلَّذَّةِ .. فَالْوَاقِعُ أَنَّ الْمُنْصَرُ الْأَخْلَاقِيُّ كَثِيرًا مَا يَقُولُ عَلَى مَقْوِمَةِ الْلَّذَّةِ ، وَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ضَرُورَةً لِحَفْظِ كَيَانِ الْفَرْدِ – فَضْلًا عَنْ حَفْظِ كَيَانِ الْجَمَاعَةِ – إِلَى حَدِّ أَنْ مُخَالَفَتِهِ قَدْ تَحْطِمَ الْفَرْدَ ذَاهِهً . فَهُوَ مَفْرُوضٌ إِذْنَ حَلَابَةِ الْأَنْسَانِ مِنْ ذَاهِهِ كَذَلِكَ ، وَلِصِيَانَةِ هَذِهِ الْذَّاتِ ، وَهُوَ يَقْبَلُ ضَوَابِطَ الْفَرِيزَةِ فِي الْحَيَاةِ . هَذِهِ الضَّوَابِطُ الَّتِي تَحْدُدُ فَقَرَاتِ الْأَخْصَابِ مُثُلًا ، فَلَا يَعْلِمُ الْحَيَاةِ إِلَّا عَلَيْهِ الْأَخْصَابُ إِلَّا فِي فَقْرَةِ مُعِينَةٍ . أَمَّا الْأَنْسَانُ فَتَضْبِطُهُ ضَوَابِطُ أُخْرَى ، مِنَ الْقَانُونِ الْأَخْلَاقِيِّ ! وَلَوْ تَرَكَ بِفَيْرِ ضَابِطٍ قَدْ يَحْطِمُ نَفْهُ ، فَضْلًا عَنْ تَحْطِيمِ سَوَاهُ .

عَلَى أَيَّةِ حَالٍ ، نَنْتَهِي إِلَى اعْتِبَارِ الْمُنْصَرِ الْأَخْلَاقِيِّ أَصْبَلًا فِي فَطْرَةِ الْفَرْدِ ، إِلَى حَدِّ أَنَّهُ دَخْلُ ضَمِّنِ الْوَسَائِلِ الْفَطَرِيَّةِ لِحَفْظِ

الذات . وان وظيفة الدين هي مجرد تنظيم هذا العنصر الفطري ، وتجيئه ووضع المعايير الثابتة له . وان وظيفة المجتمع هي حراسة القوانين الأخلاقية التي تصطلح عليها .. كما ننتهي الى اعتبار « القيم الأخلاقية » ضرورة في حياة المجتمع ، فليس أبداً من المجتمع ، المتفعة القريبة واللذة الشخصية هما عرضاً للفرد فيه ؛ بدون عاصم من هدف أعلى ، وبدون تطلع الى أفق ثابت .. ان صورة من هذا المجتمع البائس تعيش الآن بيننا ، وترتؤدي الى ذلك التفكك الواضح في مجتمعات كثيرة .

• • •

لا بد إذن من قيم أخلاقية في حياة المجتمع ، ولا بد إذن من تربية خلقية تحاول تحقيق هذه القيم .. هذا بصفة عامة ... وهذا نجبي ، الى موضوعنا الخاص : « التربية الأخلاقية كوسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي » .

ان التكافل الاجتماعي عمل ايجابي في محيط المجتمع ، لا يتحقق الا أن يبقيه شعور دافع في عالم الضمير ، وسلوك واقع في حياة الجماعة .

والتربية الأخلاقية هي التي توقف ذلك الشعور الدافع ، وتحقق هذا السلوك الواقع . حيث لا تحكمي القوانين والتشريعات وحدها لإحداث ذلك الأثر . ومن ثم ، فال التربية الخلقية تعد وسيلة ايجابية وواقعية لتحقيق التكافل الاجتماعي ، وليس مجرد تطلع مثالي في آفاق الاحلام ।

إن مشاعر كثيرة ، وعادات كثيرة ، يجب أن توقف وتنمى وتنظم في ضمير الفرد وفي سلوكه ، ليقوم التكافل الاجتماعي على أساسها ، بل لينبعث التكافل الاجتماعي منها ، والتربية الخلقية هي الن�طة بتحقيق هذا كل في الحقيقة .

وأحب أننا لنخرج عن الموضوع ، حين نجعل الاسلام إمامنا في هذا الميدان ، فلقد حقق الاسلام في فجره الأول مجتمعاً قائماً على التكافل الاجتماعي ، مجتمعاً يمد نوراً ذهبياً في تاريخ المجتمعات التي اخذت التكافل أساساً للحياة ، الى حد ان يكفل الانصار المهاجرين ، ويقاسمهم أموالهم ودورهم ومتاعهم ... ثم قامت نظم المجتمع الاسلامي كلها ، كاً قامت تقاليده الشعبية على أساس التكافل الاجتماعي . فنظام الزكاة ، ونظام الميراث ، ونظام الوقف الخيري ، ونظام الجهاد ، ونظام الحرية ، ونظام المعاملات الاقتصادية غير الربوية ، كلها نظم تقوم على أساس التكافل الاجتماعي . وكذلك تقاليد الصدقة والبر والاحسان وحياة الضعيف ، والتجدة والفتوة ، كلها تقاليد تقوم على نفس الأساس . لن نخرج إذن عن الموضوع حين نبحث مسألة اعتماد الاسلام في إقامة مجتمع متكافل على التربية الخلقية ، وحين نجعله إمامنا في هذه التجربة ، التي تجح فيها كل النجاح . فإن ذلك يعيدنا في تحديد حقوق هذه التربية ، ومعرفة وسائلها على السواء ، وينير لنا الطريق التي يمكن أن نسلكها اليوم كذلك لتحقيق مثل هذا النجاح .

لقد اعتمد الإسلام في تحقيق ذلك المجتمع التكافل على ت規劃ات نظامية معينة ، ولكنها لم يدع هذه التشریعات تعمل وحدها بجردة من الدوافع الشعورية في عالم الضمير . لقد استجاش هذا الضمير ، بالتوجيه تارة وبالقدوة تارة ، وكانت وظيفة التوجيه هي ايقاظ الوجدان في عالم الشعور ، ووظيفة القدوة هي تأصيل العادة في عالم الواقع ... وبهذا وذاك تمت التربية الأخلاقية التي أرادها للأفراد والمجتمعات .

لقد بدأ الإسلام بناء المجتمع في خصائص الأفراد ووجداداتهم ، فهناك في أعماق الروح غرس بذرة الحب ، ونسمة الرحمة ... الحب الإنساني الخالص ، والرحمة الإنسانية المبرأة . لقد ردد الناس إلى ذكرى نشأتهم الأولى من نفس واحدة ، وأيقظ في وجداتهم شعور النسب والقربى ، وذكرهم أخوتهم في الله ، وفي المنشأ والمصير ، حتى إذا رقت جوانحهم بهذه المشاعر اللطيفة كانوا أقرب إلى التعاون ، وأدنى إلى الإخاء :

« يا أيها الناس انقوا ريشكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبيث منها رجالاً كثيراً ونساء . وانقوا الله الذي تساملون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ... » مثل المؤمنين <sup>في تواضعهم وتراحهم وتماطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسر والهوى » .</sup>

وفي ظل الحب والرحمة دعا الناس إلى الإيثار ، وإلى التضحية بما هو عزيز على النفوس في سبيل اسعاد الآخرين . فلا

بد للتكلف من قوم يؤثرون على أنفسهم ، ويضطجعون بالفالى والعزيز عليهم ، فال المجتمع فيه الواجبون والمحرومون ، وإذا لم يؤثر الواجبون على أنفسهم ، وإذا لم يضطجعوا ، بما يملكون لم يقم التكافل ، ولم يتم التعاون .

ولقد رسم القرآن الكريم صورة جميلة للإيثار في نفوس أهل المدينة ، الذين استقبلوا المهاجرين فأوّلهم وشاركهم مالهم وديارهم في رحابة صدر وسماحة نفس :

« والذين تبّوا الدار والإيغان من قبلهم ، يحبّثون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ، ويؤثرون على أنفسهم – ولو كان لهم خاصة – ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » :

وهي صورة للإنسانية العليا في أجمل صورها وأبديعها . وهنالك صورة أخرى لا تقل عنها جمالاً ورقّة وانعطافاً بلجاعة من المؤمنين :

« يوفون بالندى ، ويختلفون يوماً كأن شره مستطيراً ، ويطعمون الطعام – على حبه – مسكيناً ويتيمماً وأسيراً . إنما نطعمك لوجه الله لا تزيد منك جزاء ولا شكوراً . إنما تختلف من ربّنا يوماً عبواً قطريراً » .

ثم قال لهم : إن كل ما ينزلون عنه من مال أو جهد لتحقيق التكافل الاجتماعي إنما هو فرض شهلاً يضيع ، وان الكف عن بذلك تهلكة في الدنيا والآخرة ، فأطعمهم في التواب ، وخذّهم

من العقاب ، وها وسائلان من وسائل التربية للضمير :

« من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له ، وله أجر كريم » .. « وأنفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوها بآيديكم إلى التلذكرة » .

وتحثهم على التكافل الاجتماعي لا في دائرة المال فقط ، بل في كل شأن من شؤون الحياة ، وناظ هذا بضمائرهم ، وملا هذه الضمائر بخشية الله وتقواه . والتقوى في النفس هي أقوى عوامل التربية الشعورية وأعمقها .

قال تعالى : « ولتكن منك أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وقال رسول الله ﷺ : كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته . الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤوله عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، والولد راعٍ في مال أبيه ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته » .

ولم يقف الإسلام عند مجرد استجاشة المشاعر الوجدانية - وهو يحاول التربية الخلقية - بل حمل إلى تكوين عادات وآداب اجتماعية ، تعاون على التآخي وعلى التعاون والتكافل في محيط الحياة العملية .

ومن هذه الآداب والعادات الاجتماعية التي رأس الإسلام

المسلمين عليها حسن القول ولطف الحديث وإفشاء السلام : « وقل لعبادتي يقولوا التي هي أحسن » .. « ادفع بالتي هي أحسن » فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولـي حـمـم .. « وـاـذـاـ حـيـيـتـ بـتـحـيـةـ فـحـيـيـوـ بـأـحـسـنـ مـنـهـ اوـ رـدـوـهـاـ » .

ومنها احترام الآخرين ، وحسن الظن بهم ، وحفظ غيبيهم ، وتجنب إغتيابهم ، واتقاء الله فيهم : « يا أهـلـ الـدـيـنـ آـمـنـواـ لـاـ يـخـرـ قـوـمـ مـنـ قـوـمـ ، عـسـىـ أـنـ يـكـوـنـواـ خـيـرـاـ مـنـهـمـ ، وـلـاـ نـسـاءـ مـنـ نـسـاءـ عـسـىـ أـنـ يـكـنـ خـيـرـاـ مـنـهـنـ » ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تتابزوا بالألقاب . بـشـنـ الـأـسـمـ : الـفـوـقـ بـعـدـ الـإـعـارـاتـ . وـمـنـ لـمـ يـتـبـ فـأـوـلـتـكـ هـمـ الـظـالـمـونـ يـأـهـلـ الـدـيـنـ آـمـنـواـ اـجـتـبـواـ كـثـيـرـاـ مـنـ الـظـنـ ، أـنـ بـعـضـ الـظـنـ إـثـمـ ، وـلـاـ تـحـسـواـ ، وـلـاـ يـقـتـبـ بـعـضـ بـعـضـاـ . أـيـحـبـ أـحـدـكـ أـنـ يـأـكـلـ لـحـمـ أـخـيـهـ مـيـتـاـ فـكـرـهـتـمـهـ . وـأـنـقـواـ اللهـ أـنـ اللهـ تـوـابـ رـحـمـ » .

وهكذا سار الإسلام في تهذيب المـشـاعـرـ الـإـنـسـانـيـةـ ، وـتـكـوـنـ الـآـدـابـ وـالـعـادـاتـ الـاجـمـاعـيـةـ ، الـقـيـكـنـ أـنـ يـلـقـيـ النـاسـ عـلـىـ أـسـاسـهـ ، وـاـنـ يـتـعـاـونـ فـيـ يـسـرـ ، وـيـتـكـافـلـوـ فـيـ طـوـاعـيـةـ . لـأـنـ أـبـابـ هـذـاـ التـكـافـلـ نـابـعـةـ مـنـ خـيـارـهـمـ ، مـنـ بـثـقـةـ مـنـ مـشـاعـرـهـمـ ، وـلـيـسـ مـفـرـوـضـةـ عـلـيـهـمـ فـرـضـاـ مـنـ خـارـجـهـمـ بـحـكـمـ الـقـانـونـ .

• • •

نـحـنـ الـيـوـمـ نـمـلـكـ أـنـ نـتـنـفـعـ بـهـذـهـ التـجـرـيـةـ الـعـلـيـةـ ، الـقـيـقـنـ أـنـ حـقـقـهـاـ الـإـسـلـامـ يـوـمـاـ ، وـأـقـامـ عـلـىـ أـسـاسـهـ مـعـتـمـداـ مـتـكـافـلـاـ . فـاـ

هي الخطوط الرئيسية في هذه التجربة ، التي يمكن ان تتبعها في التربية الخلقية الاجتماعية ؟

إن الخط الرئيسي في أية محاولة للتربية الخلقية ، ينبغي ان ان يكون هو ربط الضمير الإنساني بأفق أعلى من الذات المحدودة والمصلحة القرية . أفق يستذهب التضحيه في سيه ، ويستهلل الصعب في الارتقاء اليه ، فلما يكون هذا الأفق العالى الجذاب ؟

لقد يرى بعضهم ان يكون هو العزة القومية . ولقد يرى بعضهم ان يكون هو الاخوة الإنسانية .. وكلها أفق كريم وضيء ، يمكن ان يرفع مشاعر الفرد عن أفق المتعة القرية والسلطة الحاضرة ، فيقبل تكاليف التكافل الاجتماعي عن طوعية . أما أنا ؟ فأؤثر ان أربط ضمير الفرد بأفق أعلى من هذه الأفاق جميعاً : أفق تتطوّي فيه هذه الأفاق جميعاً .. أو تو أن أربطه بالله خالق الأوطان وخالق الإنسان ، أو تو ان يبذل ما يبذل ابتهاء مرضاه الله . ولو لم يشعر به وطن ، ولو لم يكرمه إنسان .. وأو تو ان يكون الحب في الله هو الذي يجمع القلوب ، ويشبك الأيدي ، ويلف السواعد . عندئذ تتحقق الصورة الوضيّة التي رسمها رسول الله - ﷺ - وهو يقول :

« إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيمة بكلهم من الله تعالى . قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ، ولا اموال يتعاطونها . فواه أن

وجوهم نور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ،  
ولا يحزنون اذا حزن الناس ٠

إن ارتباط الضمير الانساني بالله ، هو الخطط الأول في اي تربية خلقية ناجحة عميقية الجذور . وهذا يقتضي ان نتخد العقيدة الدينية قاعدة أساسية للتربية الفردية أو الاجتماعية في سبيل تكافل اجتماعي . لا يتحقق مصلحة اجتماعية فحسب ، ولا مصلحة قومية فحسب ، بل كذلك يتحقق غاية انسانية أبعد ، تتمس بالرغبة في ارضاء الله وحده والتضحية بالغالي والرخيص ابتفاء وجهه الكريم .

وسنجد الأديان السائدة في البلاد العربية كلها في عوننا - وليس الاسلام وحده - حين نعازم أن نجعل العقيدة الدينية أساساً للتربية الخلقية ، في سبيل تحقيق تكافل اجتماعي ناجح في هذه الرقعة من الأرض .

و حين يستقيم لنا هذا الخطط الأساسي الأول ، حين نربط ضمير الفرد بإلهه ، ونربط سلوكه بتفوي الله ورجائه ، حين نشد سبيلاً علينا أن نغرس في هذا الضمير كافة المشاعر التي يقوم عليها التكافل الاجتماعي ، وأن نقود الفرد الى سلوك اجتماعي يؤدي الى تلك الغاية . فإذا جاء التشريع بعد ذلك ليقيم الاساس العملي للتكافل الاجتماعي ، وجد طريقه الى النفس الانسانية مفتوحاً ، وطريقه في الحياة الاجتماعية الواقعية مهدأً .  
أما الخطوط الفرعية في محاولة التربية الخلقية فهي كثيرة .

ولكتها كلها ينبغي أن ترجع إلى ذلك الخط الاسامي .

إن هذه الخطوط يجب أن تتجه إلى تكوين عادات اجتماعية معينة ، عن طريق الإيماء والقدرة والسلوك العملي . فالصادقة ضرورية لثبت الاتجاه الشعوري ، في بعض الأحيان تكون هي الوسيلة المضمونة الوحيدة لتحقيق هدف التربية الخلقية ... (مثال ذلك تدريب الأفراد - سواء في المدرسة او المعسكر او النادي او أية تشكيلة جماعية - على العمل المشترك ) ، بكل ما يتطلبه من رغبة في التعاون ، ومن مشاركة وجدانية ، ومن تسامح ومراعاة لشاعر الآخرين ، ومن تقبل الرأي المخالف ، ومن تضحيه بالظهور الفردي رغبة في إنجاح العمل الجماعي ، ومن تقسيم العمل وتقسيم لأجزاءه ، ونظام في أدائه ... وكل هذه صفات أو عادات لا تكتسب مجرد التوجيه النظري ، بل لا بد فيها من المرانة العملية ، حتى يستحيل الشعور الداخلي بها سلوكاً واقعياً في الخارج .

كذلك عادة الاهتمام بالآخرين وأحوالهم وهمومهم ومشكلاتهم . وأنا أسميه عادة ، وإن كانت في أصلها شعوراً . وأقصد بها تنظيم هذا الشعور وتوجيهه وتهذيبه ، وتقديره في صورة عملية تتخذ شكل العادة الثابتة في حياة الفرد ... فلا ينحرف فيصبح مجرد فضول أو تجسس لثالية حب الاستطلاع الفطري ، ولا يتبع في صورة انفعالات خيرة أو شريرة ، وينتهي ... بل يذهب فيصبح اهتماماً خيراً بالآلام الآخرين

ومشكلاتهم ، ثم يوجه الى التعاون معهم ومعاونتهم ، ثم ينظم  
فيأخذ هذا التعاون شكلا جاعلا ينتهي الى التكافل .

وبالمثل تحول مشاعر الإثارة والتضجيع التي يواظبها الشعور  
الديني والتوجيه التربوي ... تحول الى حركات تفرغ فيها هذه  
المشاعر ، أو بتعديل آخر الى أعمال ذات صفة منتظمة ، يؤديها  
الفرد حتى تستحيل الى ما يشبه العادة .

وهنا أحب أن أتباه الى لفترة دقيقة ... إنني أحب ونحن  
نحو المشاعر الوجدانية الطيبة في حقل التكافل الاجتماعي الى  
عادات ثابتة ، واستجابتات عملية ... أحب ان أحافظ على حيوية  
هذه المشاعر الوجدانية ، وان فرقظها دائما ، و يجعلها حاضرة  
مع الاستجابة العملية ... انني اتباه الى هذا بشدة نتيجة لما  
شاهدته في بعض البلاد الغربية من صيورة التكافل الاجتماعي  
عادية عملية ، ولكن على حساب المشاعر الانسانية الرفيعة ! إن  
المتبرع مثلا يتبرع للعمل الاجتماعي كما يأكل ويشرب ويقطن  
طريقه اليومي . ولكنه شيئا فشيئا أصبح لا يستشعر آلام من  
تبرع لهم ولا يحس بالآصرة الانسانية التي تجتمع بهم . إنما هي  
 مجرد عادة وعرف اجتماعي ا اتنا في هذه الحالة نكب العون  
العملي حقا ، ولكننا نخسر التعاطف الانساني وهو أجمل وأعلى  
وأرحم . انني - كاتلت - لا أحب ان تتبع المشاعر الانسانية  
في صورة انفعالات ، ثم ينتهي الامر . ولكنني حريص كذلك ،  
على ان يظل الانسان انسانا ، وان ترتقي مشاعره وترتفع ،

كلا أدت عملاً خيراً . إن عمل الخير يجب أن يظل عنصر تهذيب لفاسد هذا الطابع ، يحوار ما يتحققه من نفع عمل من يوجه إلهه . وإلا فقد ينطوي الخير الذي يمكن أن يتحقق على

وأخيراً فلعلني أكون قد كشفت - بوجه إيجابي - عن دور التربية الخلقية في تحقيق التكافل الاجتماعي - بالقدر الذي يسمح به الوقت المخصص لي . والسلام عليكم ورحمة الله .



## نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام

لقد تعودنا حين نذكر ( التكافل الاجتماعي ) ونتحدث عن دور العقيدة الدينية فيه ان تخطر ببالنا كلمات الاحسان والصدقة ، والبر ، وعلى الأكثر حكمة الزكاة .

أريد أن أقرر أن هذه الكلمات ، وما وراءها من مدلولات ، وما تلقيه حوالها من صور وظلال ، لا تمثل حقيقة الدور الذي تقوم به عقيدة كالعقيدة الإسلامية في ميدان التكافل الاجتماعي .

إن التكافل الاجتماعي في الإسلام نظام كامل ، نظام بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى هذا النظام . قد تدخل في عناصره مدلولات الاحسان ، والصدقة ، والبر ، والزكاة وما إليها ، ولكنها هي بذاتها لا تدل على حقيقته ، لأن حقيقته أوسع منها جيئا . إن هذه الدولات هي بعض وسائل ذلك النظام ، ولكنها ليست ماهيته ؟ لأن الوسيلة غير الماهية !

إن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام ، لا يعني مجرد

المساعدات المالية - أياً كانت صورتها - كاتعني مثلاً كمات الفهان الاجتماعي أو التأمين الاجتماعي . فالمساعدات المالية هي نوع واحد من المساعدات التي يعنيها التكافل في الإسلام : ثم إنها - هي وغيرها من المساعدات الأخرى - ليست صلباً النظام ، إنما هي وسائل لتحقيقه .

والآن نجيء إلى بيان حقيقة نظام التكافل الاجتماعي كاعنة الإسلام .

لقد عنى الإسلام بالتكافل الاجتماعي أن يكون نظاماً للتربية روح الفرد وضيده وشخصيته وسلوكه الاجتماعي ، وأن يكون نظاماً لتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها ، وأن يكون نظاماً للعلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة ، وأن يكون في النهاية نظاماً للمعاملات المالية ، والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي .

وهكذا نرى أن مدلولات البر والاحسان والصدقة - وحق الزكاة - تتفاءل أمام هذا المدلول الشامل للتكافل الاجتماعي كاعنة الإسلام ، وكما طبّقه في واقع الحياة في يوم من الأيام .

لقد بدأ الإسلام ، فجعل التكافل علاقة تربط بين المرء ونفسه ، فجعل الفرد مسؤولاً عن نفسه أمام الله : مسؤولاً عنها أن يزكيها ويطهرها ، وأن يكفها عن شهواتها ، وأن يقف لها بالمرصاد كلها هفت إلى غواية . وقرر أن هذه النفس مستعدة

للفجور والتقوى» وأن على صاحبها أن يختار لها الطريق وعليه  
تبعة ما يختار لها :

( ونفس وما سواها . فألمها فجورها وتقوها . قد أفلح  
من زكاتها . وقد خاب من دساتها ) .

ولقد كلفه أن يضع نفسه في الحدود التي لا تقدر فطرتها ،  
وأن ينبعها حقها من العمل والراحة ، فلا ينهاها وبعطفها :  
( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من  
الدنيا ) { ... « إن لبدنك عليك حقا » .

وفي مقابل حرية الاختيار قرر الإسلام فردية التبعة ! فكل  
إنسان وعمله ، وكل إنسان وما يكتب لنفسه من خير أو شر ،  
ومن حسنة أو سلعة : ( كل نفس بما كسبت رهينة ) ، ( ولا  
تزر وازرة وزر أخرى ) .

وبذلك يقف الإنسان من نفسه موقف الرقيب والكشف :  
يهدىها إن ضلت ، وينجحها حقوقها المشروعة . ويخاطبها إن  
أخطأها ، ويحتمل تبعة إهالكها إن أهل في ردها عن الغواية .  
وبذلك يقيم الإسلام من كل فرد شخصيتين ، تترافقان وتتلاحمان  
وتتكافلان فيما بينها في الخير والشر سواء .

ذلك التكافل بين المرء ونفسه نظام تربوي . يوقد ضمير  
الفرد وحساسيته ، كما يوقد شخصيته وتنميها . فالحرية والتباينة  
هي قوام الشخصية المستقلة . وهو تكافل فردي في ظاهره ،

ولكنه في حقيقته تكافل اجتماعي بالمعنى الواسع الذي يعنيه الإسلام . ذلك أن تربية الفرد على هذا النحو إنما هي إعداد له في ميدان المجتمع . فلهذا التهذيب تنتائج في السلوك الاجتماعي ، وفي التكافل الاجتماعي . لأن الإسلام يوجه الفرد بعد هذه الخطوة - خطوة ايقاظ ضميره وارهاف حاسيمته - إلى الإشار والتعاون والتكافل مع الجماعة ، فيجده على استعداد طيب للخطوة الثانية بعد اجتيازه للمرحلة الأولى .

• • •

بعد ذلك ينتقل الإسلام بالتكافل الاجتماعي ، من نفس الفرد إلى حصن الأسرة ، فيقيم هذا الحصن على أساس وطيدة من التكافل ، يتعادل فيها القنم والغرم ، وتناسق فيها الحقوق والواجبات ، والأمرة هي اللبننة الأولى في بناء المجتمع ، فإذا أقمت بناؤها على أساس التكافل ، ضمن هذا المجتمع في النهاية بناء وطيد الأركان ، سلماً غير متخلخل ، وخفت الأعباء الاجتماعية على الدولة ، لأن قطعاً كثيراً منها سيتم داخلاً بحيط الأسرة .

هذا التكافل في الأسرة ليس مجرد تكافل اقتصادي ، إنما هو تكافل إنساني كامل : يشمل واجب العناية بالأطفال ، وتنشئهم واعدادهم للحياة ، جسمياً وعقلياً وروحيأ ، وواجب الرعاية للأمهات والأباء عند الكبير والهرم ، إلى جانب التكاليف المادية والتوارث المقابل لهذه التكاليف .

ولامفر من الاعتراف بقيمة الأسرة في بناء المجتمع ، على الرغم من جميع المحاولات التي تتجه إليها بعض النظم المادية للقضاء على الأسرة ، وتكلافلها الاجتماعي الخاص – كمحاولة الشيوعية مثلاً – بمحنة أنها تعمي أحاسيس الأثرة الذاتية ، وحب التملك ، وتغنم الشيوعية المال ، وشيوعية ملكية الدولة للأفراد ... فالأسرة تقوم على مبدأ ثابتة في الفطرة البشرية ، يلبيها الإسلام تلبية سلية ، حين يجعل للأسرة مكانها الرئيسي في نظامه الاجتماعي ، كأنها هي العرش الذي تنشأ في دفته ، ومن حوله ، مجموعة الآداب والأخلاق الخاصة بالجنس . وهي في صيمها آداب المجتمع الذي ارتفع عن الأباحتية والحيوانية .

كذلك هي ضرورة بيولوجية ونفسية ، لا يغنى عنها نظام الاختلاط الجنسي الأباهي . فتخصيص امرأة لرجل واحد أصلح بيولوجياً وأفلح لإنجاب الأطفال . أما من الوجهة النفسية فإن مشاعر المودة والرحة والتعاون تنمو في جو الأسرة خيراً مما تنمو في أي نظام آخر . وتكون الشخصية يتم<sup>3</sup> في هذا المحيط خيراً مما يتم في أي نظام آخر . وقد أثبتت تجارب حاضن الأطفال كا قالت : أنا فرويد ودوروثي برلنجهام في كتابها «أطفال بلا أسر» ان الطفل الذي يتناول تربته عدة حاضنات تختل شخصيته وتفتكك ، كما ان الطفل الذي يشاركه في حاضنته أطفال آخرون في مثل سن لا تنمو في نفسه مشاعر الحب والتعاون .

فالإسلام حينما جعل الأسرة قاعدة نظامه الاجتماعي ، وجعل

التكافل بكل معانيه قانوناً لهذه الأسرة ، كان يضع للتكافل الاجتماعي الأساس الصحيح المتفق مع الفطرة البشرية ، الحقائق لأقصى ما فيها من استعداد للخير والكمال .

هذا التكافل الاجتماعي في عبسط الأسرة ، ينشأ عنه بخوار الواجبات والتكاليف الأدبية حقوق وواجبات في المال . إذ يقرر الإسلام النفقه للعجز على القادر في عبسط الأسرة ، ويقرر معه نظام التوارث بين الأقرباء ... على خلاف فيما بين الآراء الفقهية لا يعنيها هنا بيانه ... إنما المهم هو تقرير أصل التكافل العائلي والتعادل بين الفئتين فيه ، تبعاً لبدأ العدل الذي هو أساس النظام الاجتماعي في الإسلام .

• • •

ثم ننتقل من محضن الأسرة إلى محيط الجماعة ، حيث تجده التكافل الاجتماعي يشمل كل العلاقات الاجتماعية ، ولا يقف فقط عند حدود المال .

هناك تكافل بين الفرد والجماعة ، وبين الجماعة والفرد ، يرتب تبعات على كل منها ، كما يرتب حقوقاً تقابل هذه التبعات . والإسلام يبلغ في هذا التكافل حد التوحيد بين المصلحتين ، وحد "الجزاء والعقاب" على تقصير أيهما في النهوض بتباعاته .

هذا التكافل - كما قلنا - لا يقف عند حدود المال . فهو تكافل في كل علاقات الحياة الأخرى . . هو تكافل في حماية المجتمع من الشر والرذيلة والفاحشة والفساد ، حمايته سواء من

الحاكم او الحكم ، وعلى كل فرد دور في هذه المعاية : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فقلبه وهو أضعف الإيمان » .

وقد فهم بعض المسلمين يوماً من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » .. فهم هذا البعض أنها تجيز لهم السكوت عن رد المنكر وتغييره ، فنبههم الخليفة الأول أبو بكر - رضي الله عنه - إلى عدم فهمهم لها قال : « يا أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية .. وانكم تضعونها على غير موضعها ، واني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الناس اذا رأوا المنكر ولم يغيروه أو شدوا الله ان يعذبهم بعقابه » وهذا هو التغيير الصحيح الذي ينطبق على مرمى الإسلام ، إنما كل ما في الآية هو تقرير التبعة الفردية ، والضلال السلي - الذي ليس له أثر إيجابي في محيط الجماعة - أمر يخص صاحبه ، وعلى الآخرين ان يحاولوا الهدایة ، وان يغيروا المنكر . فإذا لم يهتد الضال ولم يكف فهو وما كسبت يداه ، ولا يجازى على الجرم بعد تذكرة سواه .

وكل فرد مكلف أن يحسن عمله الخاص ، لأن ثمرة عمله عائدية على الجماعة : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتفقه » . ولكل فرد حق العمل على الجماعة - او على الدولة النائبة عن الجماعة - فالتسكال الاجماعي في الإسلام ليس نظام احسان ، او صدقة في أصله ، إنما هو نظام إعداد وانتاج تنشأ عنها

الكافية الذاتية ، أولاً وقبل كل شيء . وقد جاء رجل الى الرسول صل الله عليه وسلم يسأل - وهو قادر على العمل - فلم يعطه مالاً ، إنما هيأ له فاسماً وكله ان يذهب فيحتطلب بها ، فيبيع ما احتطلب ، فيعيش بها ، كما كلفه ان يعود اليه لبرى عمله وكيف حاله .. فهو قد هيأ له أداة العمل ، وهداه اليه ، وبذلك قرر مبدأ حق العمل للقادر ، وحقه على الدولة في تيسير وسيلة العمل وأداته ، تطبيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي بين الفرد والجماعة في صورته الشاملة الكاملة .

وتطبيقاً لهذا المبدأ كذلك ، قرر الإسلام تحريم التعامل بالربا ، فليس تحريم الربا يعزل عن نظام التكافل الاجتماعي .

ان الإسلام يقرر مبدأ الملكية الفردية للمال الذي كسبه صاحبه بطريقة مشروعه . ولكننا نقرر بمحابي مبدأ الملكية الفردية مبدأ آخر . يقرر أن هذا المال مال الله ، استخلف الجماعة فيه : « وأنفقوا مما جملكم مستخلفين فيه » وآتؤهم من مال الله الذي آتاكم » وأن الملكية لا تقوم إلا بعقد عليك من الشارع حقيقة او حكماً ، باعتبار أنه تائب عن الجماعة المستخلفة في مال الله .

وتبعاً لهذين المبدأين يحرّم الإسلام الربا . فالربا كسب غير مشروع ، لأن المال لا يجوز أن يلد المال ، إنما العمل هو الذي يستوجب الجزاء . وكذلك لأن المال مال الجماعة ، ومالكه إنما هو موظف فيه لاستئثاره . فإذا احتاج غيره من أفراد الجماعة

إلى شيء يستثمرونه أو يقضون به حاجاتهم الفضولية فيجب أن يعطي لهم قرضاً بلا فائدة ، تحقيقاً لنظام التكافل الاجتماعي .

ولن يقوم تكافل اجتماعي على وجه صحيح ونظام الفوائد الربوية قائماً ، والمال محبوس في أيدي أصحابه ، لا يدعون الآخرين ينتفعون به في العمل والاستقلال ، إلا إذا أدوا عنه فائدة ربوية لا تنبع على أساس من العدل – به التكافل – واطلاق المال ليعمل فيه كل قادر ؟ وليستره أفراد الجماعة بالعمل ؟ هو الأساس الذي يضمه الإسلام أول ما يضع لتحقيق التكافل الاجتماعي .

• • •

وأخيراً نجبيه إلى الزكاة ؛ ونجبيه إلى الصدقات . وقد تعمدت أن أؤخرها لأنها ليست إلا قاعدة واحدة من قواعد كثيرة ، يقوم عليها نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام ؛ على حين يظن الكثيرون أنها القاعدة الوحيدة لذلك النظام .

أنها قاعدة تجبيه وبعد قواعد العمل وتسيره لكل قادر عليه ، والقرض الحسن وتنكين كل من يريد المال ليعمل فيه أو ليأكل منه بلا فائدة ؟ والتكافل بين أفراد الأسرة ، والتضامن في الغرم والتبعة الفردية والجماعية تجاه المجتمع – لا من نواحي المال وحده بل في كل نواحي الحياة – تجبيه بعد أن تكون فكرة التكافل الاجتماعي قد شغلت تربية الفرد وتربية الجماعة ؛ وتنظم الحياة الاجتماعية على أساس فاضلة يكفلها الفرد وتنكفلها

الجماعة ، « ويحيمها الجميع من كل اعتداء ، سواء جاءه هذا الاعتداء من الأفراد الحكومين او السلطات الحاكمة » .

أخيراً تجيء الزكاة ؟ فإذا هي حق مفروض في المال ، حق مقدر معلوم ، غير متزوك لوجبات الأفراد ولا لتقديرهم . حق تأخذه الدولة وتقاتل عليه ، لا إحساناً فردياً من يد الى يد ، ومن متفضل الى متفضل عليه .

وبذلك تنتهي من الزكاة تلك الصورة الذلية التي يتصورها البعض لها : صورة يد ممدودة بالسؤال ويد متفضلة تتفحصها بشيء من المال ، أنها صورة مزورة مفتعلة لفرضية الزكاة ، يتخيلها من لا يعرفون حقيقة هذا النظام . او من يعرفون ، ولكنهم يحاولون تشويه الحقائق لفرض معلوم .

فاما الصدقات ، فلأن فيها مظنة الاحسان من علائق الى علائق ، فإننا نرى الإسلام ينفي هذه المظنة بشدة ، ويقرر دائماً أنها قرض الله يحيز على الله ، وليس تقضلاً من إنسان على إنسان ، وأن الرابع في هذه العملية هو من ينفق المال . وإنه إنما يقدم لنفسه ما أنفق بلا من ، ولا إفصال :

« وما تتفقوا من خير فلأنفسكم . وما تتفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تتفقون من خير يوفيكم وأنت لا تظلمون » .

« من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له ، وله أجر حكيم » .

ومن ثم فالمعطي حين يعطي لا يتفضل على الحاج ، إنما هو

يقدم فرضاً لله ، والحتاج الذي أخذ إنما كان واسطةً لمن أعطى  
إيتال أجراه من الله .

هذه هي الصورة الحقيقة لنظام التكافل الاجتماعي في  
الإسلام ، عرضته عليكم في إيجاز ، لنعلم أنه نظام تربية للفرد  
والجهازة ، ونظام تكين للأسرة وحياة ، ونظام للمجتمع يحدد  
علاقات أفراده وحكوماته ، وأخيراً فهو نظام اقتصادي يحدد  
العلاقات الاقتصادية في ميادين كثيرة . ويجعل العمل والاتصال  
وسيلة الأولى . ولو تبعمنا في بقية المعاملات كما تبعمنا في  
موضوع العمل والربا لوجدناه يشمل جميع العلاقات الاقتصادية .

ومن ثم فهو نظام حياة شامل ، لا نظام إحسان وصدقة وبر  
فقط كما يقتader كثيراً إلى الأذهان . ولقد حقق الإسلام بهذا  
النظام مجتمعاً متكافلاً لم تعرفه البشرية من قبل ، وما زال  
تتطلع إلى تحقيق مثله حتى الآن .



## كيف ندعو الناس إلى الإسلام

الإسلام عقيدة الضمير ، ينبع منها سلوك في المجتمع ، ويقوم عليها نظام للحياة . نظام كامل يتناول نشاط الفرد في حياته العائلية ، وحياته الاجتماعية ، وحياته الدولية . ويحكم على علاقاته المتنوعة في تلك الميادين كلها ، ويضع الشرائع التي تنظم هذه العلاقات .

لذلك يستحيل الفصل في الحياة الإسلامية بين المقيدة والكامنة في ضمير الفرد ، والشريعة التي تحكم حياته .. إن هذه الشريعة لا تقوم إلا على أساس من تلك المقيدة . كأن المقيدة حين توجد في الضمير فإنها تحاول أن تظهر في واقع الحياة في صورة شريعة ، ولا انفصام بين هذه وتلك في طبيعة الإسلام .. هذه الحقيقة كفيلة بأن ترسم لنا طريقنا في الدعوة إلى الإسلام ، كأنها قد رسمت من قبل خط سير الدعوة الإسلامية في واقعها التارخي .

لقد بدأ محمد رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعياً إلى الإسلام ، فما أن استمع بعض الناس إليه ، حتى أُنْهَى دعوته مشرعاً ومنظماً

وحاكمًا . إنـهـ - عـلـيـهـ اللـهـ - لـمـ يـدـعـ مـاـ لـقـيـصـرـ لـقـيـصـرـ وـمـاـ شـهـدـهـ ،  
لـأـنـ الـاسـلـامـ يـعـتـدـ كـلـ شـيـءـ اللـهـ . وـلـاـ يـعـرـفـ قـيـصـرـ إـلـاـ مـنـفـذـاـ  
لـشـرـيـعـةـ اللـهـ ، مـنـظـمـاـ لـلـحـيـاـةـ يـقـانـونـ اللـهـ .

هـذـاـ الـوـاقـعـ التـارـيـخـيـ إـلـىـ جـاـنـبـ تـلـكـ الحـقـيـقـةـ الـواـضـحـةـ فـيـ  
طـبـيـعـةـ الـاسـلـامـ ؟ـ كـلـاـهـاـ يـرـسـمـ لـنـاـ الـيـوـمـ طـرـيـقـنـاـ فـيـ الدـعـوـةـ  
إـلـىـ الـاسـلـامـ .ـ اـنـ هـذـاـ الدـنـيـ لـاـ يـصـلـحـ آـخـرـ إـلـاـ يـاـصـلـحـ بـهـ أـوـلـهـ :ـ  
أـنـ نـسـعـ فـيـ تـكـوـنـ الـفـرـدـ الـمـلـمـ ،ـ حـقـ إـذـاـ كـانـ ،ـ اـنـبـعـتـ هـوـ  
اـنـبـعـاـتـاـ ذـاـيـاـ إـلـىـ تـحـقـيقـ نـظـامـ الـاسـلـامـ .ـ غـيـرـ أـنـ خـطـوـاتـنـاـ الـيـوـمـ  
فـيـ طـرـيـقـ الدـعـوـةـ قـدـ تـحـتـاجـ إـلـىـ شـيـءـ مـنـ التـعـدـيـلـ ،ـ يـنـاسـ طـبـيـعـةـ  
الـعـصـرـ الـذـيـ نـعـيـشـ فـيـهـ ،ـ وـمـلـاـبـاتـ الـتـيـ تـحـبـطـ إـلـاـنـ الـحـيـاـةـ .ـ

عـنـدـمـاـ بـدـأـ الرـسـوـلـ الـسـكـرـيـمـ دـعـوـتـهـ ،ـ كـانـ يـنـبـغـيـ أـوـلـاـ تـحرـرـ  
الـرـوـحـ الـبـشـرـيـةـ مـنـ الـعـبـودـيـةـ لـغـيـرـ اللـهـ مـنـ الـأـرـبـابـ الـمـتـفـرـقـةـ ،ـ مـنـ  
الـأـوـهـامـ الـخـفـيـةـ ،ـ وـمـنـ الشـهـوـاتـ الـمـذـلـةـ ..ـ وـلـمـ يـكـنـ بـدـأـ مـنـ هـذـاـ  
الـتـحرـرـ قـبـلـ كـلـ شـيـءـ لـإـنـقـاذـ الـرـوـحـ الـإـنـسـانـيـةـ وـتـطـهـرـهـ ،ـ  
وـإـعـدـادـهـ لـتـكـالـيفـ الـحـيـاـةـ الـرـفـيـعـةـ الـتـيـ يـنـطـلـبـهـ الـإـسـلـامـ .ـ

وـالـعـبـودـيـةـ لـغـيـرـ اللـهـ مـنـ الـأـرـبـابـ الـمـتـفـرـقـةـ ؟ـ سـوـاءـ هـيـ الـعـبـودـيـةـ  
لـلـأـوـهـامـ وـالـخـرـافـاتـ وـالـأـسـاطـيـرـ ،ـ وـالـعـبـودـيـةـ لـلـشـهـوـاتـ وـالـزـوـاـتـ  
الـهـابـطـةـ .ـ كـلـهاـ تـنـقـقـ الطـاـفـةـ الـبـشـرـيـةـ فـيـ غـيـرـ مـاـ يـلـيقـ بـالـإـنـسـانـ ؟ـ  
وـكـلـهاـ تـصـرـفـهـ عـنـ التـطـلـعـ لـلـبـنـاءـ وـالـتـعـمـيرـ وـالـإـنـشـاءـ ؟ـ وـكـلـهاـ تـصـدـهـ  
عـنـ النـهـوـشـ بـتـكـالـيفـ الـحـيـاـةـ الـسـكـرـيـمـةـ ،ـ الـتـيـ أـرـادـهـاـ اللـهـ  
لـبـنـيـ الـإـنـسـانـ .ـ

وكانَتْ هذِهِ هِيَ مِهْمَةُ الدُّعَوَةِ الْأُولَى ، عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ  
بِكُلِّ وَهَذِهِ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مِهْمَةُ الدُّعَوَةِ الْيَوْمَ ؛ لَا عَنْ  
طَرِيقِ الْكَلْمَةِ وَحْدَهَا ، وَلَكِنْ عَنْ طَرِيقِ الْقَدْوَةِ كَذَلِكَ .  
فَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ أَنْ نَدْعُو النَّاسَ إِلَى أَمْرٍ ، لَا تَكُونُ حَيَاتُنَا  
الشَّخْصِيَّةُ تَرْجِةً حَيَّةً لَهُ . وَلَا قِيمَةُ الدُّعَوَةِ لَا يَكُونُ دُعَاتُهَا هُمْ  
أَنفُسُهُمْ بِرَهَانٍ مُّؤْيِدَّاً لَهُ .

وَلَيْسَ هَنَالِكَ إِلَّا اخْتِلَافٌ ظَاهِرٌ بَيْنَ أَوْضَاعَنَا الْحَاضِرَةِ ،  
وَالْأَوْضَاعِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ عَهْدِ الرَّسُولِ مِنْ هَذِهِ الْوِجْهَةِ ، وَإِنْ  
خَيْلَ الْبَعْضِ أَنَّ الدُّعَوَةَ إِلَى تَحْرِيرِ الْبَشَرِ مِنْ عَبُودِيَّةِ  
الْأَرْبَابِ الْمُتَفَرِّقَةِ لَا مَوْضِعٌ لَهَا الْيَوْمَ وَلَا ضَرُورَةٌ . كَلَّا ! فَإِنَّ  
عِبَادَةَ الْأَرْبَابِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْيَوْمَ ، لَا تَنْقُصُ عِبَادَةَ الْأَرْبَابِ  
الْمُتَفَرِّقَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . كُلُّ مَا تَغْيِيرُ هُوَ نَوْعُ الْأَرْبَابِ ، لَا عِبَادَةَ  
الْأَرْبَابِ ! أَمَا عِبَادَةُ الشَّهَوَاتِ ، وَعِبَادَةُ الْخَرَافَاتِ ، فَهُنَّا عَلَى  
حَالِهِمْ بِغَيْرِ اسْتِثنَاءٍ !

أَمَا التَّعْدِيلُ الَّذِي نَخْتَاجُ إِلَيْهِ فِي خُطُواتِنَا الْيَوْمَ ؛ فَهُوَ أَلَا  
نَبْدُأُ بِتَكْوِينِ الْفَرَدِ الْمُسْلِمِ مِنِ النَّاحِيَةِ الْاعْتَقَادِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ  
فَحَسْبٌ ، بَلْ أَنْ نَفْعِمَ إِلَى هَذَا - وَفِي ذَاتِ الْوَقْتِ - عَرْضُ  
بَرَامِجٍ اِجْتِمَاعِيَّةٍ لِلْحَيَاةِ ، قَائِمَةٌ عَلَى أَصُولِ الْفَكْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،  
وَمُسْتَمْدَةٌ مِنِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَأَلَا تَنْظَرُ بِهِذِهِ الْبَرَامِجِ حَقَّ  
يَمِّ تَكُونُ الْأَفْرَادُ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَلَا تَرَ - هَذِهِ الْبَرَامِجُ جُزْءٌ أَجْزَءَأُ  
وَبِوْمَا يَبْعَدُ يَوْمُ ، كَمَا حَدَثَ فِي أَيَّامِ الدُّعَوَةِ الْأُولَى .

هذا هو التعديل الوحيد في الخطة ، الذي تقتضيه طبيعة الملابس المحيطة اليوم بالدعوة ، وتنقذه التغيرات التي طرأت في العصر الجديد .

عندما بدأ الرسول الكريم دعوته ، لم تكن في الجزرية العربية حكومة مستقرة ، ونظم ثابتة ، وأجهزة اجتماعية مهيأة . كذلك لم تكن في العالم كله نظريات مقررة للحكم والاجتماع والاقتصاد ، في وضوح النظم والنظريات التي تعاصرنا اليوم . فاستطاع الاسلام أولاً أن يقيم نظامه الاجتماعي لبنيه ، وأن ينشئ نظرياته في الحياة واحدة واحدة ، بحسب نمو" الهيئة الاجتماعية التي يتولى انشاءها" ، وأن يواجه في النهاية بنظامه بعد اكتماله سائر النظم التي كان يعرفها العالم في ذلك حضورها وينقلها . لا يقوى السلاح كا يخلو لبعضهم أن يتصور ، ولكن يقوى الفكرة التي يحملها . والتي لم تكن تقاوم اليها تلك الأفكار التي كان العالم كلّه يعرفها . لقد كانت وثبة تحريرية لم تعرف البشرية لها نظيرًا . وما تزال هذه الوثبة الى اليوم سابقة لخطوات البشرية . وهذا ما يجب علينا أن نثبته للناس في صورة مناسبة للعقلية المعاصرة .

إن العالم اليوم تحكمه نظريات اجتماعية مفصلة . فإذا نحن دعوّنا الناس الى الاسلام فيجب أن نقدم لهم نظرية الاسلام الاجتماعية مفصلة كذلك . نعم ؟ إن النظرية وحدها لا تكفي لصلاح الحياة ورفقها ما لم تكون الفرد المسلم ، الذي يؤمن

بهذه النظرية ، ويحسن القيام عليها ، وتحقيقها في واقع الحياة . ولكن تكون الفرد المسلم اليوم ؛ يحتاج الى أن تكون لديه فكرة مفصلة عن نظرية الإسلام الاجتماعية ، لأنه بدون عرض هذه النظرية كاملة مطبقة على واقع الحياة الحاضرة ، لا يتم الوجودان الديني ، لأن يتم الوعي الانساني .

إن الذين ندعوهم الى الإسلام ، يجدون نظاماً أخرى تحكم الحياة ، ولا تسمح لهم بأن يكون سلوكهم الإسلامي كاملاً . لأن قواعد الحياة الحاضرة لا تقوم على أسس اسلامية . ومن ثم يصطدم وجدانهم الديني بواقع الحياة العملية ، وهذا خير لأنه بهذه العمل لتغيير هذا الدافع ، حتى يصبح مطابقاً للصورة التي يرسمها الإسلام للحياة . وإذان ؟ فهذه الصورة يجب أن تكون معروفة ومشروعة ، كي يسعى الأفراد المسلمون لتحقيقها على بيئة وعلى بصيرة .

هذا لم يعد يكفي اليوم أن ندعو الناس دعوة بمنة الى الإسلام ، او الى القرآن ، او الى حكم الله ، او الى الشريعة الإسلامية او الى نظام الحكم الإسلامي ، او الى النظام الاجتماعي الإسلامي .. الى آخر تلك القضايا الكلية ، التي ليس لها مدلول تفصيلي واضح في الأذهان .

يجب أن تكون هناك خاضن لتربية الأفراد تربية إسلامية . هذا هو الأساس . وفي هذه المخاضن ؟ يجب أن يعروفوا بشيء من التفضيل : ما هي صورة الحياة الإسلامية الكاملة ، التي ينبغي أن يحاولوا تحقيقها ، والتي يدفعهم إليها وجدانهم الديني . وهذه

الصورة ينبغي كذلك أن تكون معروفة للناس ، في صورة نظريات اجتماعية مفصلة ، تتناول أوضاع الحياة كلها ، وعلاقات الأفراد والجماعات فيها ، والأسس التي تقوم عليها الحياة العامة .

إن هذه ليست خطوة سابقة لأوانها ، وليس أوانها هو قيام الحكومة الإسلامية ، فإن الحكومة الإسلامية لا تقوم إلا إذا اقتنع الناس أو غالبيتهم بالصورة التي يرسمها الإسلام للحياة ، وعرفوا كيف تكون حياتهم وعلاقاتهم وحقوقهم وواجباتهم ، وتكليفهم كلها ، لو قامت حياة إسلامية . ولا يكفي أبداً أن ندعوهم اليوم إلى الإسلام في اختصار وإجمال ، كما كان يدعوهم الرسول ﷺ . ففي ذلك الزمان لم تكن هنالك نظريات اجتماعية مفصلة تقابل الدعوة الإسلامية . وما دامت للإسلام نظريات أكثر تقدماً من كل ما عرفته البشرية اليوم ، فلماذا لا نعرض للناس هذه النظريات ، مطبقةً على الحياة الحاضرة بكل علاقاتها وملابساتها وحاجاتها ، حين ندعو الناس إلى الإسلام ؟



## نَحْنُ نَدْعُو إِلَى عَالَمٍ أَفْضَل

الذين يفزعون حين ندعو الى استئناف حياة إسلامية ، وإلى إقامة مجتمع اسلامي ، ويتخوفون أن يكون في هذا الاتجاه ما يحور على طائفة ، أو يقع الاختراضات في علاقة ..  
هؤلاء ؟ إنما يقيرون فزعهم وتخوفهم على غير أساس ، ويستمدونها من الجهل بحقيقة الحياة الاسلامية ، وطبيعة المجتمع الاسلامي ...

إننا ندعو الى عالم أفضل ، حين ندعو الى استئناف حياة اسلامية ، وإلى إقامة مجتمع اسلامي . وإننا ندعو الى عدالة اجتماعية أكمل من كل تصور للعدالة الاجتماعية ، في أي نظام آخر عرفته البشرية . كما ندعو الى تنسيق أجمل لطبقات الأمة وطوائفها وأفرادها جميعاً .

إن العالم الآن يعاني حيرة فكرية واجتماعية ، ويعاني اضطراباً في نظمه وأوضاعه ، ويعاني قللاً لا اطمئنان فيه على نظام للحكم أو نظام للحياة ، ويجد الحانقون على الأوضاع القائمة ، في كثير من بلاد العالم الفرصة السانحة للبدم : هدم النظم

السياسية ، والنظم الاجتماعية. لأن هذه النظم أصبحت مزعزعة وعلى وشك الانهيار ، حتى في البلاد التي تظن أن نظمها ثابتة ، وأنها غلوك من القوى المادية ما تدافع به عن هذه النظم .

ولكن النظم لا تحميها المدافع والدبابات والقنابل الذرية والجيوش والبوليس ، وإن النظم تعيش لأنها تلي حاجة طبيعية في حياة المجتمع ، وحاجة شعورية في حماية الناس . فاما حين تفقد هذين السدين ؟ فإن قوة الحديد والنار لن تكتب لها الحياة ، وعبر الحياة كلها تتحقق بهذه الحقيقة ، التي لم تكذب على مدى التاريخ .

فتحن حين ندعوا الى استئناف حياة اسلامية ، والى اقامة مجتمع اسلامي ، إنما نريد أن ننقى اهتزازات الاجتماعية المدمرة ، وأن نقيم حياتنا كذلك على أرض صلبة ، وعلى أسس أعمق من الأسس المزعزعة ، التي لا تستند الى عقيدة ، ولا ترتكز الى فكرة ... وفي الوقت ذاته نطلب لنا ، ولكل من يهتم بيدينا ، حياة أفضل ، في عالم أفضل ...

إن النظام الاجتماعي الإسلامي ، هو النظام الوحيد في العالم اليوم ، الذي يقوم على أساس فكرة « العالمية » بمعناها الصحيح . لأنه النظام الوحيد ، الذي يسمح بأن تعيش في ظله جميع الأجناس ، وجميع اللغات ، وجميع العقائد ، في سلام ... وذلك الى جانب تحقيق العدالة المطلقة ، بين جميع الأجناس ، وجميع اللغات ، وجميع العقائد .

والماركسية تدعى أنها تهدف إلى نظام عالمي . ولكن أي نظام عالمي لا يمكن أن يقوم بلا حرية في العقيدة . وببلاد الستار الحديدي كلها تحترم قيام عقيدة فيها غير العقيدة المادية . . ومن لا يعتقدون هذه العقيدة لا يستطيعون مزاولة نشاطهم في الاتحاد السوفييتي أو سواه ، ذلك إذا استطاعوا مجرد الحياة !

إننا ندعوا إلى نظام ، تستطيع جميع العقائد الدينية أن تعيش في ظله بحرية وعلى قدم المساواة ، ويتحتم فيه على الدولة وعلى جماعة المسلمين ، القيام بمحاباة حرية العقيدة ، وحرية العبادة للجميع ، وأن يلتجأ غير المسلمين في أحواضهم الشخصية إلى ديناتهم كذلك ؛ وإن يكون الجميع المواطنين فيه حقوق و Liberties متساوية ، بدون تمييز ... وأن يرتكز هذا كله ؛ على عقيدة في التضير ، لا على مجرد التشريعات والتصوص ؛ التي لا تكفي وحدها للتنفيذ السليم .

إننا ندعوا إلى نظام ، يلتجأ الجميع أجناس العالم ، من سود وبيض وخر وصفر أن تعيش في ظله بحرية وعلى قدم المساواة ، بلا تفريق بين المعاشر والألوان واللغات . لأن الأصمة الإنسانية تجمعهم ، بلا تمييز عنصري ولا محاباة فيه .

إننا ندعوا إلى نظام ؛ الحاكمة فيه الله وحده ، لا لفرد من البشر ولا لطبقة ولا جماعة . وبذلك تتحقق فيه المساواة الحقيقة . ولا يكون حاكماً فيه حقوق زائدة على حقوق الفرد العادي من الشعب . ولا تكون هناك شخصية أو شخصيات

قدسية فوق مستوى القانون . ولا تكون هناك محاكم خاصة للشعب ، ومحاكم خاصة للوزراء أو غير الوزراء . إنما يقف فيه المحاكم العليا مع أي فرد من الشعب أمام القضاء بلا تمييز ولا استثناء .

إننا ندعو إلى نظام ، يجعل جميع المواطنين حفاظاً عاماً في الثروة العامة . لأن الملكية فيه أصلها للجماعة - مستخلفة فيها عن الله - والملكية الفردية عارضة ، وفي حدود الاتقاء ، والفضل للجماعات حين تحتاج إلى فضول الأموال .

إننا ندعو إلى نظام ؟ يقوم على أساس التكافل الاجتماعي بكل صوره ومعانيه ، فلا يموج فيه فرد أو يظلم ، وفي يد فرد آخر قضة زائدة من ماله ... ثم يعدهم التكافل ويوسّع دائريته . فإذا الجماعة مسؤولة عن كل فرد فيها : في اعداده للعمل ، وعن تهيئته للعمل له وعن رعايته في أثناء العمل ... ثم عن حفاظاته إذا احتاج بذلك ، أو تعطل أو عجز بسبب من الأسباب . لا تفرق في هذا التكافل بين عقيدة وعقيدة ، ولا بين جنس و الجنس ، ولا بين طبقة وطبقة .

نحن ندعو إلى نظام انساني ، يقع علاقاته الدولية على أساس المثلة والمودة ، بينه وبين كل من لا يحاربونه ، ولا يحاودونه ، ولا يؤذون معتقليه ، ولا يفسدون في الأرض ، ولا يظلمون الناس . فهو لا يحارب إلا المعتدين المفسدين الظالمين .

نحن ندعو إلى هذا النظام ، فما الذي يخفف فرداً أو طائفة

أو دولة ، من أن يقوم مثل هذا النظام ، في أي بقعة من بقاع الأرض ، وخاصة إذا كان هذا النظام قائماً على اسس أخلاقية وطيبة ، ومشاعر وجدانية عبقة ، تضمن تنفيذ مبادئه ، بداعي من داخل النفس ، لا بمجرد القوة والسلطان .

ان قيام مثل هذا النظام ، في بقعة من الأرض ، بعد ضماناً للبشرية كلها ، من الانحدار والتراخي والهدم والتغريب ، لأنه يقيم لها منارة في وسط الظلام والأعاصير ، يمكن أن تهتدي بها ، وتفيء إلى شاطئ الامن والسلام .

والبشرية اليوم في مفترق الطرق ، وهناك اضطراب في الأفكار ، وحيرة في الاتجاهات ، وزعزعة في النظم .. فما الذي يؤذى هذه البشرية - او فريقاً منها - حين يقوم نظام أخلاقي يحقق لها العدالة والطمأنينة والحرية والمساواة ؟

انه لا بد للمجتمعات اليوم من عقيدة ، فخواه المجتمعات الغربية من العقيدة يحرفها دولة بعد دولة ، وشعباً بعد شعب الى هاوية المادية .. وهذه المجتمعات الغربية لا تملأ ان تدفع عن نفسها هذه الكارثة ، لأنها تعتمد على القوة وحدها في دفع مذهب يصوغ نفسه في شكل عقيدة .. اما نحن فإننا نملأ .. إن لدينا فرصة ليست متاحة للغربيين . إننا نملأ إننا نملأ إقامة نظامنا الاجتماعي على أساس عقيدة أقوى وأشمل وأكمل . فمن الحق إذن : أن نفترض في هذه الفرصة ، تقليداً للمجتمعات الغربية ، التي تترنح وفي يدها القوى المادية بكل صوفها ، ونحن لا نملأ إلا القليل

من هذه القوى .

أريد أن أسأل : ما الذي يخفف جائحة أو دولة من هذا النظام ، الذي يقوم على عقيدة تحبيه ، وهو يحمي الجميع ، ويقدم العدل للجميع ، ويدفع عن نفسه هجمات الماية ؟ لا بالسلاح ، ولكن بحكم ما فيه من مناعة ، ومن قوة ذاتية ، ومن تفوق في بنائه الفكري والاجتماعي ؟

إنهم يتحدثون عن الفراغ ، الذي يحدّثه انسحاب جيوش الاستعمار من الشرق العربي الإسلامي ! ويخشون أن تدهننا الشيوعية ! فان كانوا صادقين في هذا فلماذا لا يدعونا نسد الفراغ الاجتماعي في كياننا ، باقامة نظام سليم ، وطيد الاركان ، منتصلا بعقائدها الثابتة ، وهو في الوقت ذاته عادل حر ، يملئ جميع البشر أن يعيشوا في ظله بسلام ؟

لماذا يقفون في طريق تحقيق هذا النظام بتنفيذ المباشر ، وهذا النظام يقوم في صد تيار الشيوعية عن مقام مائة فرقه على الأقل ، ومقام عشرات القواعد العسكرية والمحصون .. هذه القواعد ؛ التي لم تدفع عنهم في بلادهم زعزعة النظم الاجتماعية وتسرب الشيوعية ؟

إنهم يحاربون هذا النظام ؛ لأنه حين يقوم بسيطرة الاستعمار كسيطرة الشيوعية . ولن يسمح لأي لون من ألوان الاستعمار تحت أي اسم ، وتحت أي ستار ، أن يعيش في هذا الوادي ، ولا في الوطن الإسلامي كله .

لها هم يحاربون هذا النظام العادل الكامل ، الذي يستمتع بمحاباته وعدله أتباع ديناته ومخالفوه على السواء .  
فلندرك نحن هذه الحقيقة ، إن كان لنا عقل ، وإن كان فينا إدراك . فقد آن أن ترتفع في التقليد على مرتبة البقاعات والقرود !

# خُذُوا إِلَيْهِ إِسْلَامَ جَمِيلَةَ . . . أُوْدِعْسُوهُ

لكل نظام من النظم فلسفته وفكتره العامة عن الحياة ، ولكل نظام مشكلاته التي تنشأ من تطبيقه ، وقضاياها التي تناسب طبيعته وآثاره في عالم الواقع . ولكل نظام كذلك حاوله التي يواجه بها المشكلات والقضايا الناشئة من طبيعته وطريقته .

وليس من المنطق - كأنه ليس من الاصف - أن تطلب من نظام معين حلولاً لمشكلات لم ينشأها هو ، وإنما أنشأها نظام آخر ، مختلف في طبيعته وطريقته عن ذلك النظام .

والمنطق المقبول ينادي : بأنَّ من أراد أن يستفيق نظاماً ميناً في حل مشكلات الحياة ، فليطبق أولاً هذا النظام في الواقع الحياة ، ثم لينظر إن كانت هذه المشكلات ستبرز أو تختفي ، أو تتغير طبيعتها ومقوماتها . عندئذ فقط ، يمكن استفادة هذا النظام ، في مشكلاته التي تقع في أثناء تطبيقه .

والاسلام نظام اجتماعي متكامل ، تترابط جوانبه وتساند ، وهو نظام مختلف في طبيعته ، وفكتره عن الحياة ، ووسائله في

تصريفها . يختلف في هذا كله عن النظم الغربية ، وعن النظم المطبقة اليوم عندنا . يختلف اختلافاً كلياً أصيلاً عن هذه النظم . ومن المؤكد ؟ أنه لم يشترك في خلق المشكلات القائمة في المجتمع اليوم ، إنما نشأت هذه المشكلات من طبيعة النظم المطبقة في المجتمع ، ومن ابعاد الاسلام عن مجال الحياة .

ولكن العجيب بعد هذا ، أن يكثر استفتاء الاسلام في تلك المشكلات ، وان « تطلب لها عنده حاول » ، وأن يؤخذ رأيه في قضايا لم ينشأها هو ، ولم يشترك في إنشائها . العجب أن يستفتى الاسلام ، في بلاد لا تطبق نظام الاسلام ، في قضايا من نوع « المرأة والبرلمان » و « المرأة والعمل » و « المرأة والاختلاط » و « مشكلات الشباب الجنسية » وما إليها . وان يستفتى في هذا وفي أمثاله ناس لا يرضون للإسلام أن يحكم ، بل انه ليزعجهم أن يتتصوروا يوم يحيى ، حكم الاسلام !

والأعجب من أسلمة هؤلاء أجوبية رجال الدين ، ودخولهم مع هؤلاء السائلين في جدل حول رأي الاسلام وحكم الاسلام ، في مثل هذه الجزئيات ، وفي مثل هذه القضايا ، في دولة لا تحكم بالاسلام ولا تطبق نظام الاسلام .

ما للإسلام اليوم وأن يدخل المرأة البرلمان أو لا تدخل ؟ ماله وأن يختلط الجنسان أو لا يختلطان ، ماله وأن تعمل المرأة أو لا تعمل ، ماله وما الأية مشكلة من مشكلات النظم المطبقة في هذا المجتمع الذي لا يدين للإسلام ، ولا يرضي

## حكم الاسلام؟

وما بال هذه الجزئيات وأمثالها هي التي يطلب إن تكون وفق نظام الاسلام ، ونظام الاسلام كله مطرود من الحكم ، مطرود من النظام الاجتماعي ، مطرود من قوانين الدولة ، مطرود من حياة الشعب ؟

إن الاسلام كل لا يتجزأ ، فلما أن يؤخذ جلة ، وإما أن يترك جلة . أمّا أن يستنقى الاسلام في صغار الشّتّون ، وأن يحمل في الاسن العامة التي تقوم عليها الحياة والمجتمع ، فهذا هو الصغار الذي لا يجوز لسلم - فضلاً على عالم دين - أن يقبله للإسلام .

إن جواب أي استفهام عن مشكلة جزئية من مشكلات المجتمعات التي لا تدين بالإسلام ، ولا تعترف بشرعنته أن يقال حكّموا الاسلام أولاً في الحياة كلها ، ثم اطلبوا بعد ذلك رأيه في مشكلات الحياة التي ينشئها هو ، لا التي أنشأها نظام آخر منافق للإسلام ...

إن الاسلام يربّي الناس تربية خاصة ، ويحكمهم وفق شريعة خاصة ، وينظم شئونهم على أسس خاصة ، ويخلق مقومات اجتماعية واقتصادية وشّعورية خاصة ، فأولاً طبّقو الاسلام جلة: في نظام الحكم ، وفي أسس التشريع ، وفي قواعد التربية . ثم انظروا هل تبقى هذه المشكلات التي تأسّون عنها ، أم تزول من نفسها . أمّا قبل هذا فما للإسلام وما هذه القضايا التي

## لا يعرفها المجتمع الاسلامي الصحيح؟

أوجدوا المجتمع الاسلامي ، الذي تحكمه شريعة الاسلام ومبادئه الاسلام ، وربوا النساء والرجال تربية اسلامية ، في البيت ، والمدرسة ، والمجتمع ، وأوجدوا ضيقات الحياة التي يكفلها الاسلام للجميع ، وحققوا عدالة الاسلام التي يفرضها الجميع . ثم اسألوا المرأة بعد هذا : أتريد هي أن تدخل البربلان ، أم أنها لا تجد ضرورة لهذه المهاولة مع تلك الضيقات ؟ واسألوها : هل ت يريد أن تعمل في الدوائر العامة ؟ إنها لا ترغب في العمل ، لأن مقتضيات حياتها لا تستدعيه . واسألوها : هل ت يريد أن تختلط بالرجال ، وإن تازن وتتبرج ، أم أن تربيتها إذن ستعصها من تزوات الحيوان ، وشهوات الحيوان ، ومشاعرها ستدعوها إلى العصمة حياء من الله ؟

لذلك يسأل في بعض الاحيان أفالن : ترى سقطع أيدي الألوف من السارقين في كل عام تنفيذاً لشريعة الاسلام !؟ وهؤلاء يرتكبون نفس الفلطة ، والذين يحييونهم برأي الاسلام الفقهي يرتكبون غلطتين ..

إن هؤلاء الألوف من السارقين في كل عام ليسوا من نتاج المجتمع الاسلامي ، ولا النظام الاسلامي . إنما هم نتاج مجتمع آخر يطرد الاسلام من حياته ، ويطبق نظاماً اجتماعياً آخر لا يعرفه الاسلام . إنهم نتاج مجتمع يسع بوجود الجائعين والمحاجين ، دون أن يقدم لشكتهم علاجاً : مجتمع لا يضمن

للملائين القوت ، ولا يربى النفس الانسانية ، ولا يربط الحياة كلها بالله ولا بشرعية الله .

أما المجتمع الاسلامي فهو مجتمع آخر : مجتمع كل فرد فيه مضمون الرزق عاماً أو متعطلاً ، قادرًا أو عاجزاً ، صحيفاً أو مريضاً ، ويأخذ ما متوسطه نصف العشر كل عام من رؤوس الأموال لا من أرباحها لبيت المال ، ثم يأخذ بعد ذلك - بلا قيد ولا شرط - من المال كل ما تحتاجه الدولة لحياة المجتمع من الآفات ...

طبقوا هذا النظام أولاً . ثم أنظرواكم محتاجاً يبقى بعد هذا . وكم سارقاً يقدم على السرقة ، وبطنه مملوء بالطعام ، وقلبه عامر بالإعنان !

كذلك يسألك بعضهم عن « مشكلات الشباب الجنسية »  
إذا هم اتبعوا تعاليم الإسلام !

وهؤلاء يرون الشباب الذي يعيش في مجتمع غير إسلامي ، كل ما فيه يهيج غرائزهم ، وكل ما فيه يثير تزواتهم ، ثم يطلبون رأي الإسلام في مشكلات هذا الشباب !

ان المجتمع الاسلامي لن تكون فيه قبيات كاسيات عاريات ، مائلات مهبلات ، منطلقات في كل مكان ، ينشرن الفتنة ، ولحساب الشيطان .. المجتمع الاسلامي لن تكون فيه أفلام قندة ، ولا أغاني مريضة ، كأفلام وأغاني عبد الوهاب وشركاه .. المجتمع الاسلامي لن تكون فيه صحافة تنشر الصور العارية ، والكلمات

العارية ، والنكت العاربة ، وتقوم مقام المواخير المتنقلة في كل مكان .. المجتمع الإسلامي لن تكون فيه خور ترين للناس الفجور ، وتحررهم الارادة والتفكير .. وأخيراً فالمجتمع الإسلامي سيهوي للشباب زواجاً مبكراً ، لأن بيت المال ملزم أن يعین من يريد الإحسان .

فإذا شئتم رأي الإسلام في مشكلات الشباب الجنسية ، فاولاً طبقو النظم الإسلامي كله ، ثم انظروا بعد ذلك - لا قبله - ان كانت هنالك مشكلات للشباب !

انني اعتبر كل استفتاء للإسلام ، في قضية لم تنشأ من تطبيق النظام الإسلامي ، والإسلام كله مطرود من الحياة ، انني اعتبر كل استفتاء من هذا النوع سخرية من الإسلام . كما اعتبر الرد على هذا الاستفتاء مشاركة في هذه السخرية من أهل الإفتاء .

والذين يصرخون اليوم ، طالبين منع المرأة من الانتخاب ، باسم الإسلام ، أو منعها من العمل باسم الإسلام ، أو اطالة أكمامها وذيلها باسم الإسلام ! - ليمحوا لي - مع تقديرى لبواعثهم النبيلة أن أقول لهم : انهم يحيطون الإسلام هزةً وسخرية ، لأنهم يحصرون المشكلة كلها في مثل هذه الجزئيات .

ان طاقتهم كلها يجب أن تصرف الى تطبيق النظام الإسلامي ، والشريعة الإسلامية في كل جوانب الحياة .. يجب أن يطالبوا بأن يسيطر الإسلام على نظام المجتمع وقوانين الدولة . وللتربية الإسلامية بأن تسيطر على المدرسة والبيت والحياة . يجب أن

يأخذوا الإسلام جلة وأن يدعوه يؤدي عمله في الحياة جلة ، فهذا هو الأليق لكرامة الإسلام ، وكرامة دعوة الإسلام .

هذا إذا كانوا جادين في الأمر ، مخلصين في الدعوة .. أما إذا كان الفرض هو الضجيج الذي يلفت النظر ، وهو في ذات الوقت مأمور لا يخطر فيه أبداً ذلك شأن آخر أحب أن أزمه عنه على الأقل بعض المئات والجماعات !

## تحت راية الإسلام

نشرت الأحزاب المصرية برامجها التي تستمدّها من التعاليم المدنية ، ونشر الأخوان المسلمون برامجهم المستمد من الإسلام . فظاهر الفرق واضحًا وثابتاً، بين تلك البرامج المزيفة المدخلة ، وبين هذا البرنامج الضخم الحิص الحالص ، الذي يسبق الموقف ، ويقود الأمة إلى الأمام .

لطالما قلنا للناس : إن مبادئ الإسلام الضخمة السمححة القويمة أكثر تقدماً ، من كل ما عرفته البشرية من مبادئ ، وأقدر على العمل من كل أداة مدنية أخرى ، وأكثر مرونة من سائر الدساتير والتعاليم .

لطالما قلنا للناس : إن الرجال الذين يرسيهم الإسلام هم أقوى طریقاً ، وأصلب عوداً ، وأقدر على احتیال التبعية ، وأكثر جداً في أخذ الأمور وتصريفها . لأن لهم من ضميرهم عاصماً ، ومن دينهم سداً ، ومن قرآنهم هادياً . « إن هذا القرآن يهدي للي هي أقوى » .

والآن تجبي الفرصة الأولى ، لعرض مبادئ الإسلام الاجتماعية في شيء من التفصيل ، وبرامج الأحزاب التي تريد أن

تدعوا بها لأنفسها . فتتجمس تلك الحقائق التي طالما قلناها للناس ، فلم يؤمن بها إلا من شرح الفهود لهم ، ومن لم يجعل على ابصارهم غشاوة .

ان دعوة الإسلام لم يتلذثوا ، فهم يدعون الى تطهير شامل كامل ، يتناول كل من شارك الملك الراحل ، أو عاونه أو تستر على جرائمه . وذلك حق . فما يجوز أن تظل الأيدي الملوثة تعمل بعد الوثبة ، كما كانت تعمل في عهود الظلام . اما الأحزاب الملوثة المهزولة ، فهي تشقق من التطهير ، تشقق من القصاص العادل ، تشقق من النظافة والنور ، تشقق من العدالة الحقة التي تأخذ المهرم أباً كانت مكانته ، وأباً كانت وظيفته ، وأباً كانت ترتوته .

ودعوة الإسلام لم تلوث نفوسهم الارستقراطية الكاذبة ، ولا الطبقية المقيمة . فهم يدعون الى المساواة المطلقة التي تختفي فيها اسطورة الحكماء الذين هم فوق التبعات ، والتي لا تتحمل للامراء والنبلاء والوزراء حماكم غير حماكم الشعب ، ولا اجراءات غير اجراءات الشعب . بل ينادون بأن يقف الجميع أمام المحاكم العادلة ، وأن تُتخذ مع الجميع اجراءات موحدة . فهذا هو الإسلام الذي لا يجعل لرئيس الدولة ولا لأحد من أعوانه ، حقاً زائداً في المال ، ولا في القضاء ، ولا في أي حق من الحقوق ليس لفرد عادي من أفراد الناس . وبهذا يطالب دعوة الإسلام باسم الإسلام . أما الأحزاب فلا تجرؤ على مثل هذا التفكير ، لأن

ال العبودية لا تزال كامنة في نفوس رجالها . وقد تربوا على العبودية والذل أجيالاً بعد أجيال .

ودعاء الإسلام لا يراؤون الناس ، ولا يدورون حول المشكلات . فهم يعلمون أن الملكية الفردية في صورتها التي انتهت إليها في مصر ملكية حرام ، ملكية تحمل ثلث الأراضي الصالحة للزراعة في يد الملك واسرة الملك . وهم لم يأتوا بها من « قوله » موطن جدهم الكبير ، إنما نهبوها من أيدي المصريين ، واغتصبواها بوسائل لا يقرها شرع ولا قانون . وان الدوائر والتغافلية حولت الناس في ظلها إلى ارقاء ، وحرمت الفلاحين الفرصة للتملك .. لذلك يمرون بتحديد الملكية الزراعية . ولا يكتفون بهذا التحديد بل يحددون العلاقة بين المالك والمستأجر ، ويختارون نظام المزارعة وحده لأنه يحقق العدالة ويتافق مع مبادئ الإسلام واحكامه ، فالإيجار التقدي أو العيني طالما ظلم المستأجرين ، وأنقل كواهيلهم بالديون .

هذا ما يقوله حزب الله . فـأين ما يقوله الآخرون ؟ لقد اصيّهم الحرس تجاه الملكية الفردية ، لأنهم هم أنفسهم في مهب الريح . ولأنهم هم أنفسهم مصاصو دماء ، ولأنهم أنفسهم من الأقطاعيين ، الذين تنتهي مصر اليوم لزيل تقليل من فوق صدرها ، وقد جثموا عليه طويلاً حتى اختنق منها الانفاس .

ودعاء الإسلام ، يطالبون بعد هذا كله بتحديد الدخل ، وتقريب الفوارق بين الحد الأعلى والحد الأدنى في الأجرور

والمرتبات ، وضمان حد أدنى للجميع ، يتلخص في مطعم كاف ، وملبس واق ، ومسكن مريح ، وعلاج وتعلم بالجان . وضمانات اجتماعية ضد المرض ، والعجز ، والشيخوخة ، والبطالة . فان لم تكثف الزكاة هذا الضمان أخذت الدولة فضول أموال الأغنياء فردها على الفقراء . كما يطالبون بإدخال العمال الزراعيين في النقابات ، وتطبيق قوانين العمال عليهم ، واباحة تكوين اتحادات العمال .

اما الأحزاب فلم تنبس بثفة في هذا المجال .. لماذا ؟ لأنه حق الحزب الذي يسمونه حزب الأغلبية ، والحزب الشعبي هو ذاته الذي ورثت أنوف الكثريين من شيوخه ونوابه ، عندما أريد اعتبار العمال الزراعيين من العمال ، كيلا يرفع العبيد جيابهم في وجه السادة ، وكيلا يصبح الخدم أدميين لهم كرامة الإنسان !

وتتبدي ضخامة برامج الاخوان المسلمين ، أمام هزل برامج الأحزاب ، حين تتجاوز الميدان الاقتصادي والميدان الاجتماعي الى الميدان الإنساني .. ان دعوة الإسلام لم ينسا رفع المستوى الأخلاقي للشعب ، ورفع القيم الإنسانية في كل حقل . ذلك أن دعوتهم أوسع وأشمل ، من الاصلاحات الاقتصادية أو الاجتماعية القائمة على الاقتصاد . انهم أسبق وأبعد مدى في الاصلاحات الاجتماعية ، ولكنهم بعد هذا افسح صدرأ ، وأشمل وعيأ ، لكافة مقومات الإنسان . لأنهم يستلهمون القرآن الذي يقول « ولقد كرمنا بني آدم » . والكرامة لا تتم للإنسان إلا بـأن يحقق إنسانيته

في كل ميدان ، وأن يرتفع بأخلاقه وأسوأه على الحيوان ..  
لذلك هم يقاومون الشر والفساد والدنس في مكانتها جميعاً ،  
ويطلبون التطهير ، لا في الميدان السياسي وحده ، ولا في الميدان  
الدستوري وحده ، ولا في الميدان الاقتصادي وحده ، إنما  
يطلبونه كاملاً شاملًا كذلك ، في نفس الإنسان وفي ضمير  
الإنسان .

وبعد ، فلقد كان المكثرون يراجعونني - في إبان حمة  
المجعوم التطهيري التي قامت بها الصحافة في العام الماضي - حين  
يروني أكتب في « الدعوة » « مجلة الأخوان المسلمين » وفي  
« الاشتراكية » جريدة الاشتراكيين ، وفي « اللواء الجديد » جريدة  
الوطنيين .

وكتب أقول للجميع : إنني إنما أخوض المعركة على صفحات  
هذه الصحف جميعاً ، تحت راية واحدة ، راية الإسلام .

إن الإسلام يكافح في ميدان العدالة الاجتماعية الذي يكافح  
فيه الاشتراكيون ، وفي ميدان العدالة الوطنية والسياسية الذي  
يكافح فيه الوطنيون ، وفي ميدان العدالة الإنسانية الذي يكافح  
فيه الأخوان المسلمين . وهذه الصحف بالنسبة لي ليست إلا مجالاً  
للكفاح . ولو وجدت غيرها يكافح اسمها في قدر ما أستطيع !  
وتحت هذه الرأية الكبرى ، كنت أؤدي دورى المتواضع ،  
أؤديه بشعور واحد ، تظلني راية واحدة ، راية الكفاح للعدالة ،  
تتعدد ميادينها ، وتتعدد مجالاتها ، وينتشرها في نفسى ظل واحد :

ظل الإسلام الذي يختزن كل حركات التحرير ، ويبارك كل ميادين الكفاح ، ويشمل كل دعوة لرفع كرامة الإنسان . ويزيد على الدعوات كلها سعة الأفق ، واتحاد الهدف ، وحرارة الإيمان .

فاليوم تبدي الأيام صدق هذا الكلام ، وتبين الجميع كيف يختزن الإسلام هذه الأهداف جميعاً: كيف يطلب تطهير الوطن من الطفاة والملوثين ، ومن الانتهازيين والوصوليين ، ومن المحتلين والمستعمرين . ثم كيف يطلب العدالة الاجتماعية ، والحرية الحقيقة ، بجميع المواطنين . ثم كيف يطالب بكرامة الإنسان الأدبية في ذات الأوان .

إن دعوة الإسلام هي دعوة المستقبل . ولو ألمم الله الأحزاب الرشاد ، ولو تطهرت نفوسهم قليلاً وتفتحت بصائرهم للنور ، لتابوا إلى تلك الدعوة ، ولأنضموا تحت لواء الله . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

## طريق واحد

نحن مرغمون ارغاماً على اختيار طريق واحد ، لا طريق لنا سواه في سلوكنا الدولي . والذين يفهمون أننا غيرون في أن نسلك عدة طرق ، وأن لنا أن نختار واحداً منها ، إنما يخطئون فهم منطق العصر ولغة الواقع وطبائع الأشياء .

ونحن مرغمون أن نختار لنا راية تتکتل تحتها ، منضمين إلى مجموعة من الشعوب التي تقف تحت هذه الراية ، ولسنا غيرين في أن نقف منفردين ، أو ننضم إلى كتلة – كاً يفهم بعض الداعين إلى قومية محلية ضيقة ، أو إلى قومية عربية محدودة – فات أوانها ، وأصبحت من خلفيات القرن الماضي .

لقد انتهت « مودة » القومية المحلية ، وانتهت كذلك « مودة » القومية القائمة على الجنس ، ولم يعد لهذه أو تلك مكان إلا في الأذهان الضيقة المحدودة ، التخلّفة عن روح العصر ومنطقه ومقتضياته .

إن العالم ينقسم إلى كتلتين وأصنفتين ، وكتلة ثالثة تأرجح ، لأنها لم تهدى إلى الأساس الطبيعي السليم الذي يجب أن تقوم عليه ،

أو لأنها تعرف هذا الأساس ، ولكنها تتنكّبه ، وتعامى عنه ،  
وتراءه ثم تتجه إلى سواه !

والكتلتان الواضحتان هما: الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ،  
فأما الأولى فهي تقوم على أساس مذهلي ، وأما الثانية فهي تقوم  
على غير أساس إلا أساس الاستعمار ! ولكن كلاً الكلتتين إنما  
تنزار عان علينا ، تنزار عان على هذه الفريسة التي هي نحن .  
كلاً هما تزيد التهامتنا وابتلاعنا نحن الضعية ، ويلزم لسهولة  
ابتلاعنا والتهامتنا أن لا تكون كتلة مستقلة ، وإنما أن نظل  
دوليات صغيرة ، كل دولة تتنفس كاهره ، وتقف تحت راية  
قومية هزيلة !

فالذين يدعون منا إلى قومية عربية صغيرة ، إنما يحاولون  
فقط تيسير عملية الاتهام والابتلاع على إحدى الكلتين الشرقية  
أو الغربية . أما نحن الشعب ، فإن لنا رأياً آخر في الموضوع !  
نحن الشعب لا نزيد أن نؤكل . لذلك نحن نستذكر هذه الدعوات  
الضعيفة ، التي يقوم بها مأجورون أو مخدعون لحساب الاستعمار  
الشرقي أو الغربي .

ونحن نعلم أننا لسنا مخربين في عدة طرق . إنما هناك طريق  
واحد لا مفر منه ، وهو أن تكون كتلة مستقلة لا ترتبط بعجلة  
الشرق ولا بعجلة الغرب ، لأن الشرق والغرب إنما يتصارعان  
 علينا ، ويريدان التهامتنا فرادى !

من منا يستطيع أن يجهز بأنه يريد أن تقف إلى جانب

إحدى الكتلتين في صراعها علينا؟

من هنا يستطيع أن يجهز بأنه يريد تقوية إحدى المكتلتين  
ومنها النصر ، لكي تدار علينا ؟  
لأنه هنا كله كده :

هل يحروه واحد منا في مصر - أو في أي بلد عربي أو إسلامي على أن ينحاز بنا إلى المعسكر الاستعماري ، الذي نشن تحت وطأته ، والذي يسحقنا تحت أقدامه : في مصر ولibia وقونس ومراكش والجزائر والصومال وأريتريا والستفال وفلسطين وسورية ولبنان والعراق والأردن واليمن والجهاز والهجميات القمع واللايدو<sup>١١</sup> . وكلها أرض إسلامية ، وكلها مستقرة لحساب الاستعمار الغربي الآثم ، الذي يتكتل ضدها ويتساند ويتساعد . وكلها اشتدت مطارات السفاح الشعبي على إحدى دوله بادرت الدول الأخرى لتسند رفيقها أمام الضغط الشعبي .

إن إنجلترا او فرنسا او إيطاليا او هولندا ، لا تصد المطرارق التحرير في الوطن الإسلامي وحدها ، وإنما تصد بمعونة أمريكا ودولاراتها ، ودباباتها وطياراتها ، وإمداداتها ونفوذها الدولي ، وهذه حقيقة نعرفها - خن الشعب - منها تحاول أحجزة أمريكا في الشرق أن تقللنا عنها 1

فن ما الذي يحروه على أن تربطنا بمعجمة هذه الكتبة

(١) كانت الجمادات الاستثمارية تحمل أكثر البلاد الإسلامية عندما كتب هذا المقال.

الاستعمارية ، كائناً من كان ، لنقدم لها مئات الآلوف من شبابنا ، وقوداً في الحرب التي ت يريد أن تنتصر فيها ، لتحكم قبضتها الاستعمارية علينا ؟ إن الذي يحررُ على هذه الحاوية – كائناً من كان – يطلق جزاءه من هذه الشعوب التي لم تعد تطبق مزيداً من الاستعمار ، ولم يعد يخدعها تبدل أسماء الاستعمار وأشكاله ، ولا تبدل أسماء المستعمررين وأعلامهم ، بعدما نضج وعيها على هبّ الآلام والتضحيات والتجارب .

كلا . لن يستطع كائن من كان ، أن يربطنا إلى عجلة الاستعمار الغربي ، لا بالاقناع ، ولا بالقوة ، ولا بالمال . ومهما كثُر المأجورون الذين يخدرون الشعوب ، فهذه الشعوب صاحبة ، والويل لمن يظن أنها مستينة .

#### والكتلة الشرقية :

إن بعض المخدرين الذين يريدون أن تخلص من الاستعمار بأية وسيلة يتوجهون إلى الكتلة الشرقية .

ولكنتنا في هذه الرقمة العريضة من الأرض – ملدين ومحبين – نرفض هذا الاتجاه بقوة . إننا لا نريد أن نشتري خلاص أرضنا باسترقاق أرواحنا ، لا نريد أن نبيع عقائدنا بهذا الثمن الباهظ ، في حين أننا نملك الخلاص بوسيلة أخرى .

لن يوجد في هذه الأرض مسلم ولا مسيحي ، يقبل أن تحكمنا الشيوعية لتبني الدين والنصارى مما ، كما تصنع بهم روسيا والصين الشيوعية في التركستان الشرقية والغربية .

إن دعاء الشيوعية في أرضنا الطيبة أقلية ، وسيظلون أقلية ،  
مها بذلوا من جهد ، ومجاهدوا من مساعدات ، لأن المذهب  
الشيوعي مذهب غير طبيعي بالنسبة إلينا ، إن تربتنا لا تساعد  
على إبانه ، لأننا لست بحاجة إليه . إن لدينا منهاج اجتماعياً  
آخر أكثر منه تقدماً ، وأكثر منه عدالة ، وأكثر منه احتراماً  
لبشريتنا ، وأقدر على تلبية حاجاتنا وحاجات الإنسانية في  
هذا العصر من المذهب المادي الذي تقوم عليه الشيوعية . لذلك  
سيبقى دعاء الشيوعية أقلية ، لأنهم دعاء مذهب غير طبيعي  
في هذه البيئة . مذهب غريب لا ضرورة له ، والمذاهب  
الاجتماعية لا تعيش إلا إذا كانت هناك ضرورة إليها في البيئة .

ذلك فضلاً على أننا - مسلمين ومسحيين - لا نريد أن  
نذهب في مذابح التطهير ، التي تقام لأصحاب العقائد الدينية في  
دول السtar الحديدي ! نحن نريد الحياة لأن لنا فيها عملاً ،  
ووراءنا فيها أعباء إنسانية ! نعم لسنا عاشق الانتخار على  
مذبح الشيوعية !

وإذن فلا بد لنا أن نكون نحن أنفسنا كتلة .

إنتلا يمكن أن نعيش فرادى - داخل الحدود القومية  
المحلية المهزولة ، او حدود القومية العربية الضيقة - وكذلك لا  
يمكن أن ننضم إلى إحدى المكتلتين اللتين تتنازعان علينا ،  
وترويد كل منها أن تنتصر لكي تلتهما . وعندئذ يتحتم الطريق  
الثالث ، ويتحدد لنا طريق واحد ، لا مفر من أن نسلكه ،

مختلفين وراءها دعاء القومية (الخلية الفزيلة) ، و دعاء القومية العربية  
الضيقية ، ينبعون بخيالات بالقرون الماضية ، و « مودات » العالم  
في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فكثيرون هم الذين  
يتسبّبون بالمودات القدية !

ولكن الكتلة الغربية والكتلة الشرقية على السواء ، تكرهان  
لنا أن تكتتل تحت راية الطبيعية الوحيدة ، ومعها أحجزتها  
المتدنة في أوساطنا . لذلك نحن نحيد عن راية الطبيعية ،  
راية التي تضم خمسة ملايين من سكان الوطن الإسلامي الطويل  
العربيض ، نحيد عن هذه الراية لتفتف تحت راية مصطنعة : راية  
الكتلة الآسيوية الإفريقية ، وهي الكتلة التي يتصارع أكبر  
أعضويها - الهند وباكستان - على كشمير ، ولا ينتهان إلى  
وجهة . ولست أدرى كيف يمكن أن تقام كتلة واحدة أكبر  
أعضويها فيها يبنها خصومة !

إنها كتلة غير طبيعية ، ولكن الكتلتين المعاذتين لنا  
تدفعاننا إليها ، لكي لا توجه إلى الكتلة الطبيعية التي تضم  
شعوبًا تجمعها عقيدة واحدة ، و تاريخ واحد ، ومصلحة واحدة ،  
وجغرافية واحدة ، واقتصاديات واحدة ، وتتوفر لها جميع  
مقومات الكتلة الواحدة بدون استثناء . لماذا ؟ لأن قيام هذه  
الكتلة على أساسها الطبيعي ، يضيق الكتلة الشرقية والكتلة  
الغربية جيماً ؟

وما الحجة التي يدفعون بها قيام الكتلة الطبيعية في الوطن

الإسلامي؟

إنها فقط هي وجود أقليات غير إسلامية في ذلك الوطن الإسلامي!

عجبًا! كأن تلك الأقليات نبتت اللعنة ولم تعش أربعة عشر قرناً عيشة كريرة في ظلال ذلك الوطن ، الذي لا يوجد وطن مثله يحرس أقليته ويرعاها . إنما هي الفتنة يريدون إثارتها في ذلك الوطن الآمن ، الذي لا يعرف التحصّب الذميم . ليس اليوم فقط ، ولكن في كل تاريخه ، وبخاصة عندما كانت الشريعة الإسلامية وحدها هي التي تحكمه من أقصاه إلى أقصاه . ولم تشهد الأرض كلها عدلاً للناس جميعاً ، في داخل وطن من الأوطان الإنسانية كما شهدته في الوطن الإسلامي الذي تحكمه الشريعة الإسلامية .

إنها حجّة واهية ، لا تتفق أماماً منطق التاريخ ، وأماماً مقتضيات العصر ، وإنّه لطريق واحد مكتوب علينا أن نسلكه ، ولا مفر من سوّقه . فمن الخير لا تتخطّط طويلاً ، وأن تتجه الاتجاه المستقيم ، وإلا نضيّع الزّمن في محاولات فاشلة ، ضد منطق العصر وضد طبائع الأشياء .

• • •

# مثراًولا.. نعم، ولكن.. !!

أشجع لنفسي أن أستعير هذا العنوان من مقال للاستاذ «إحسان» في جريدة المصري بدأه على النحو التالي :  
« ما هي سياسة مصر الخارجية ؟  
و ما هي أساليب هذه السياسة ؟

« إن التتفق عليه منذ قام العهد الجديد ، أن تكون سياسة مصر الخارجية سياسة مصرية . لیست سياسة عربية ، ولا سياسة شرقية ، ولا سياسة تعبر عن وجهة نظر إحدى الكتلتين العالميتين . إنما هي سياسة مصرية خالصة ، أي أن تبحث جميع المثاکل على ضوء مصلحة مصر وحدها ، وأن تنسى « الشهامة » الدولية تفيراً جديداً . فإن المحرص على المصلحة الوطنية لا يتعارض مع الشهامة . ولكن ادعاء الشهامة قد يتعارض في أحيان كثيرة مع المصلحة الوطنية ! » .

وإنه ليس في أن أعلم أنه من التتفق عليه منذ قام العهد الجديد أن تكون سياسة مصر الخارجية سياسة مصرية ، لا تعبر عن وجهة نظر إحدى الكتلتين العالميتين .

ولتكن أحب أن تتفق على تحديد معنى كلمة « مصرية » !  
ولعله يحسن بنا أن نستعين في هذا ب موقف السياسة العالمية  
منا ، وبالخطوط الأساسية التي تعاملنا الكتلة الغربية او الكتلة  
الشرقية على أساسها . لتبين إن كانت هذه الخطوط تتظر إلينا  
على أساس « مصر » او على أساس قطاع من جهة « عربية » او  
« شرقية » او « إسلامية » ، سواء أردنا ذلك نحن أم لم نرده  
في سياستنا .

إن معرفة تلك الخطوط أمر ضروري ، فإذا كنا قطاعاً في  
جهة ، لا يمكننا الانسلاخ منها ولا التخلّي عنها ، فإن خططنا  
الدفاعية - او الهجومية - يجب أن توضع على أساس القطاع  
الصغير الذي نشغله منها ، لأن حماية هذا القطاع الصغير تصبح  
غير مستطاعة إذا انكثرت القطاعات الأخرى . وفي هذه  
الحالة يكون لكلمة « مصرية » معنى أوسع من المعنى الذي  
تعطّه للنظرية الأولى .

يقول الاستاذ إحسان في مقاله :

« اذا لم تكن لأنانيا مصلحة في دفع هذه التهديدات فلا بد  
أن هناك ضغطاً كبيراً قد وقع عليها .  
« ولا يمكن لدولة أن تضطر على المانينا إلى هذا الحد . إلا  
إذا كانت الولايات المتحدة ..  
« إذن فهي الولايات المتحدة التي منعت اسرائيل هذه  
التهديدات .

« هي الأم الرؤوم التي لا تزال ترعى وحيدتها ، وتحفظه بالفيتامينات كلها دب المزال في أوصاله .

« فهل نلوم المانيا ونعني أمريكا من المسؤولية ؟

« هل نضرب في العرذعة ونربت على ظهر الحمار ؟

« هنا يجب أن يتحدد الجاهز السياسة المصرية ، وسياسة الدول العربية . فلما أن تتجه هذه السياسة إلى تحويل أمريكا مسؤولة هذه التمويهات ، وإلا فلن نصل إلى شيء منها أخذنا من قرارات خاصة بسياساتنا نحو المانيا الغربية » .

وهذا كلام صادق جداً . فأمريكا هي المسئول الأول عن قيام إسرائيل ، وعن بقائها إلى اليوم ، وعن التمويهات الالامية التي يقوم عليها التزاع . ومن الضروري أن يكون ذلك واضحاً في أذهاننا للرسم على أساسه بسياسة مع أمريكا .

ولكن هذا ليس موضوعي هنا . إنما المهم أن نعرف الخطوط الأساسية لأمريكا تجاه إسرائيل وتجاهنا نحن في مصر ، لنتبين إن كان في وسعنا أن تكون لنا سياسة « مصرية » بمعناها الضيق تجاه هذه المشكلة أو سواها ؟ أم أننا ملزمون إلزاماً بأن تتبع كلمة « مصرية » فتشمل جميع قطاعات الجبهة ؟

إن الاستاذ إحسان يقول في مقاله :

« مصر لم تأخذ من أمريكا حتى اليوم إلا مجرد آمال .

« آمال لا تكاد تبدو حتى تتبدد ، لتخلفها آمال أخرى

تبعد مرة أخرى .

« كنا نأمل أن تقف أمريكا بجانب مصر في قضية الجلاء ،  
فتبعد الأمل .

« و كنا نأمل أن تقف أمريكا بجانب مصر في قضية تسيع  
الجيش ، فتبعد الأمل .

« و كنا نأمل أن تقف أمريكا بجانب مصر في حل مشاكلها  
الاقتصادية والمعمارية ، فتبعد الأمل .

« و كنا نأمل أن تقف أمريكا بجانب مصر في قضية  
فلسطين ، او على الأقل في قضية اللاجئين ، فتبعد الأمل .

« وبالرغم من ذلك فهذه الآمال تتجدد مرة أخرى .  
ولكنها لا تزال مجرد آمال ، ولا تزال أمريكا تقوم بدور  
الرجل الدبلوماسي الذي يحرض على ابتسامته ، ويحرض على  
أن يأخذ صديقه بين ذراعيه ليتمكن عدوه – عدو هذا  
الصديق – من طعنه في ظهره !

« لماذا لا تتبع أمريكا مع مصر والدول العربية الأخرى  
نفس السياسة التي تتبعها مع إسرائيل ؟

« لماذا لم تزودنا بالأسلحة والتموينات والقروض كما تزود  
إسرائيل ؟

« ليس هناك معاهدة سياسية بين إسرائيل وأمريكا حتى  
يقال : إن هذه المساعدات إنما هي ثمن هذه المعاهدة .

« ولا يمكن أن يكون الخطير الشيعي أقوى على إسرائيل منه على الدول العربية حق يقال : إن أمريكا تحاول حماية إسرائيل منه ..

« ولا يمكن أيضاً أن تكون مصالح أمريكا في إسرائيل أكثر من مصالحها في البلاد العربية حق يقال : إن أمريكا تسعى وراء مصالحها ..

« إذن .. لماذا ؟

ولقد كان من حقني أن أحيل هذا السؤال إلى الدكتور أحد حسين « وجعية الفلاح » وزراعة الجبهة الأربعية أو الجبهة . وسائر أصدقاء أمريكا . ولكنني أحب أن أجيب عنه جواباً فصيراً : إن الإجابة على هذا السؤال هي التي تحدد خطوط سياستنا الخارجية .

إن أمريكا لا تعاملنا كما تعامل إسرائيل - لأنهن ولا أية دولة عربية ، لأننا قطاع في جهة واحدة منها الجبهة العربية ، أو منها الجبهة الإسلامية إذا نظرت إليها على حقيقتها ، وهي أوسع من الرقة العربية جيماً - قطاع في إمبراطورية « الرجل الأبيض » التي تتمثل في الوقت الحاضر أمريكا والإنجليز وأوروبا وهولاندا .. هذه الإمبراطورية تقف متساندة في وجه الحكمة الإسلامية في كل مكان ، وبسياسة متحدة ، قد يقع الخلاف في تفصيلاتها .

في قضية وادي النيل نحن نعرف السياسة الغربية معرفة  
جيدة ،

وفي قضية فلسطين نحن نعرفها كذلك معرفة وثيقة .

وفي قضية الشمال الإفريقي يقول متر فلليب جيسوب رئيس  
الوقد الأمريكي في هيئة الأمم :

« إن الولايات المتحدة تحاول الآن إقناع الكتلة العربية  
الآسيوية بعدم التطرف في عداء فرنسا ، وأنه « سعيد » لأن  
أعضاء هذه الكتلة ، يبدأوا يتراجعون عن موقف التطرف الشديد  
في عدوانهم لفرنسا . وإن الولايات المتحدة تزيد أن يكون مشروع  
القرار الذي سيقدم إلى الأمم المتحدة معتدلا ، بحيث يقتصر على  
مطالبة الفريقين باستئناف المفاوضات !

وفي قضية كشمير ، نحن نعرف إلى أي جانب يقف الم skirt  
الغربي . إنه يقف إلى جانب الهند فعلا !

أما إنجلترا ، فتشير أفغانستان لتدخل مع باكستان في تزاع  
على الحدود من الناحية الأخرى !

إن سياسة « الرجل الأبيض » هي التي تحكم . وهي التي  
تنظر إلى مصر على أنها قطاع من جبهة كبيرة ، مرتبط بسائر  
القطاعات الأخرى .

إن القطاع المصري لا يقع عليه الهجوم وحده دون سائر  
الجبهة . فالدفاع عنه يجب أن يرتبط بالدفاع عن سائر القطاعات

الأخرى .

وإذن لا تكون المسألة مسألة « شهامة » أو اندفاع عاطفي ،  
إنما هي مسألة نظرة أبعد إلى حقيقة موقفنا الدولي .

إن وجود الجيش البريطاني في شرق الأردن ، وفي ليبيا ، لا  
يقل تأثيراً على استقلالنا من وجود هذا الجيش على ضفة القناة  
أو في جنوب الوادي .

كذلك ، وبنفس الدرجة فإن التهديد الذي ينشأ من وجود  
فرنسا في الشمال الإفريقي ، لا يقل عن قيام إسرائيل على  
حدودنا ، فكلها حلقات في النطاق الاستعماري .

إنني أواقف على أن تكون لسياسة مصرية تقييد بحدود  
طاقتها ، ولكنني أعتقد خلصاً أن خطوط هذه السياسة ، لا  
تبدأ فقط عند الحدود الجغرافية للوطن المصري .

إن الذين تعامل معهم من الغربيين أو الشرقيين يعاملوننا  
على أننا عبر دفاع في جهة واحدة . فلامفر إذن من أن  
نعاملهم كذلك !

## إلى التأمين في العالم الإسلامي

نحن في مصر مشغولون لا نتفق ؟ ليس لدينا وقت للتفكير فيما يدبره لنا اليهود بمعاونة العالم الصليبي. نحن مشغولون بالانقلابات الوزارية<sup>(١)</sup> ، مشغولون كذلك بالانتخابات : هل تكون بالفائدة أم بالوزن ؟ أم بالكيل ؟ مشغولون بمحكمة الاستثناءات ؟ هل ترد لأصحابها أم لا ترد ؟ ومن منهم ترد إليه استثناءاته ويزداد ، ومن منهم يؤخذ منه ما معه .

وهي أمور - كما ترى - من الأهمية بحيث لا تترك وقتا ولا جهداً للتفكير في أي شيء آخر .

وفي هذا الوقت تقترب إسرائيل يوماً بعد يوم ، من حدود سيناء المصرية ، المصرية أصلاً وإن كانت مصر لا تعرف عنها شيئاً ، لأن السياسة اليهودية - الانجليزية عزلتها عن مصر طوال فترة الاحتلال ، ولم يكن لهذا العزل شيئاً عارضاً ولا أمراً غير مقصود ، إنما كان وفقاً لسياسة بعيدة الفور ، تتفق مع أطماع اليهودية العالمية .

---

(١) كتب هذا المقال حوالي ١٩٥٢ - ١٩٥٣ .

إن شبه جزيرة سيناء تشمل على أقدس مقدسات اليهود .  
فمن جانب الطور الأيمن نوادي موسى ، وعليه تلقي الألواح ،  
وبه صخرة العهد . وسيناء هي أرض التيه . لذلك كله ترتفع حول  
سيناء أطياع اليهود التاريخية ، ويرثى أبناءهم على عقيدة أن  
جزيرة سيناء هي قلب مملكتهم الموعودة ، وما فلسطين إلا جزءاً  
صغيراً من تلك المملكة التي تضم سيناء وفلسطين وشرق الأردن  
وقدماً من سوريا والعراق حق الرافدين .

وعلى هذا الأساس هم يعملون منذ أجيال ، وفي سنة ١٩٠٦  
وقدت على مصر لجنة إنجليزية يهودية قضت في سيناء خمس  
سنوات كاملة ، تفحص عن كل شيء فيها ، وتنقب عن المياه  
الجوفية والاراضي الصالحة للزراعة ، والمعادن والطبيعة  
الجيولوجية بصفة عامة ، والمناخ والطرق والأهمية الاستراتيجية ،  
وعادات ومعها تقرير شامل يثبت أن سيناء صالحة لاسكان  
مليون نفس وإعانتهم .

وقد عُني الإنجليز بعزل سيناء عن كل تفؤذ للحكومة  
المصرية ، وكان محافظ سيناء «جارف» الإنجليزي ، هو حارس  
شبه الجزيرة أن تندليها عن مصرية ، وأفهموا المصريين أن هذه  
الصحراء لا أمل فيها ولا ضرورة للإهتمام بها ، لأن المياه الجوفية  
فيها لا تصلح لخلق حياة مستقرة ، وكان هذا كله حساب اليهود  
الذين يسيرون دفة بريطانيا .

ومن المعروف أن جيش إسرائيل ، عندما تجاوز الحدود

المصرية سنة ١٩٤٨ ، كان أول عمل لرجاله عندما وطئت  
أقدامهم رمال الصحراء بعد رفع أن تجلوا جميعاً، وقبلوا تراب  
الأرض وأقاموا الصلاة ، ثم تابعوا خطواتهم في الأرض المقدسة !

أما اليوم ، فهم يقيمون على الحدود استحكامات قوية ،  
ويسكنون في أرضها الفتيان الفدائيين بزوجاتهم وأولادهم ،  
يقطعنهم الأرض ، ويبنون لهم مساكنهم تحتها - لا فوقها -  
ويهدونهم بالمال ليصلحوها .

وأمامهم ألف الأميال المربعة في الشقة المصرية خلاء ! فإذا  
أرادوا هم أن يزحفوا فيزحفون من استحكاماتهم على الحدود  
ووراءهم العمار . وإذا أردنا نحن - حق أن ندافع - وفدت  
جيوبتنا ، ووراءها هذه الألوف من الأميال القاحلة الجرداء  
الخاوية من السكان .

لماذا ؟ لأننا نحن مشغولون ، مشغولون بالانقلابات الوزارية ،  
مشغولون بالانتخابات : هل تكون بالقافة ، أم بغير القافلة ؟  
مشغولون بالاستثناءات ومن ترد إليهم استثناءاتهم ومن لا ترد ؟  
مشغولون بهذه الأمور الكبار ، التي لا يجوز أن يلوينا عنها خطر  
اليهود أو غير اليهود ، وما تكون سببها وهي صحراء جرداً إلى  
جانب كراسي الوزارة الفخمة ومقاعدها الوثيرة ، وقاعاتها  
المكيفة الهواء !

وفجأة - وفي هذه الظروف - تطلع علينا نفحة لا يدرى  
بعتها إلا الله ، والأسخون في العلم من اليهود والصلبيين . نفحة

تحديد النسل ... لماذا ؟ لأن مصر تضيق بسكانها ، ولأن موارد الرزق لا تنمو بتناسب نمو السكان ، ولأن الأرض الزراعية محدودة .

جيبل ! نحن معكم في أنه حين تعجز موارد البلد عن إعالة سكانه يجب أن يقف نمو هؤلاء السكان ، ولكن حين تكون في موارد هذا البلد بقية فيجب أن يستمر سكانه في التزايد ، لأن نمو السكان في هذه الحالة ضمانة من ضمادات البقاء ، أمام تكثيل الأعداء . وضمانة من ضمادات القوة في المجال الدولي . لأن الأمم التي تريد أن يكون لها وزن في الكتلة الدولية ، تحاول كلها زيادة سكانها . وأمامنا المانيا وإيطاليا وروسيا واليابان . بل أمامنا اسرائيل الصغيرة وهي تحاول مضاعفة سكانها ، على الرغم من كل ما يشاع من الأزمة الاقتصادية المركبة فيها بالختان !

فهل استنفدت مصر وسائلها لزيادة مراقبها ؟ إن في مصر من الموارد والمرافق ، ما يكفي لإعالة ضعف سكانها كما يقول بعض الخبراء ، وأمامنا مثل واحد في سيناء ، فهي كافية لإعالة مليون من الناس ، لو وجدت من يعمرها ويرد إليها أحياناً .

فماذا يتوجه التفكير أول ما يتوجه إلى وقف نمو السكان ؟ ومرة أخرى ننكر ، أتنا لا نعارض - بل نحتم - وقف نمو السكان حين يثبت أن مرافق البلد غير قابلة للنماء . أما حين يثبت أنها قابلة لأن تضاعف ، فإنه يكون من الحق ، او

الاتجاه المريب ، أن تثور مثل هذه النعمة . لأن معناها وقف  
نحو البلاد ، لا من ناحية تعدادها فحسب ، ولكن كذلك من  
ناحية مراقبتها . فضغط السكان قد ينبع الغافلين إلى محاولة  
الاستغلال الكامل لمراقبة البلاد

على أن حكاية تحديد النسل أو زيادته ، لا تخضع لحسن  
الحظ هذه الأفكار الطبيعية ، التي لا تحاول التعمق في دراسة  
الامور . إن المحرص على زيادة النسل في الريف ضرورة اقتصادية  
و ضرورة اجتماعية . ولا عبرة بالمدن لأنها على هامش حياة  
الوطن ।

إن الذي لا أولاد له في الريف ، يعيش في مستوى اقتصادي  
أقل من مستوى أبي الأولاد . كما أنه أقل هيبة ومحانة على  
الاعتداء ! وهذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية من القوة بحيث  
لا تستمع لنصائح الطبيعين !

ولن يتغير حكم هذه العوامل ويخف ضغطها ، إلا حين  
ينتشر التعليم ، ويصبح هناك مورد آخر للرزق على العمل في  
الارض ، وقوة أخرى للحياة غير العضلات ! وعندئذ فقط  
يستطيع الشعب كذلك أن يستميسن من قوة العدد قوة العقل ،  
ليقف في وجوه أعدائه المحيطين به .

إن الفطرة تتصرف في هذا أحکم مما يتصرف الطبيعون ،  
الذين يحبون أنفسهم « مثقلين ! » فإذا عز على حضراهم أن  
يدرسوا الأمور دراسة حقيقة ، فلا أقل من أن يدعوا الفطرة

تعمل بمحكمتها ويفتنوا عن حكمتهم الذهبية ، المستمدة من  
الدسائس اليهودية والصلبية !

وبعد ، فنعود الى استمرار النافعين في العالم الاسلامي ،  
لি�صحوا على مطامع الصهيونيين في سيناء . فإن مصر مشغولة  
الآن : مشغولة بالانقلابات الوزارية ، مشغولة بالانتخابات وهل  
تعكون بالقادة او بالوزن والكيل ؟ مشغولة بالاستثناءات وغير  
الاستثناءات ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . والأهم  
يقدم . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

# اسلام امركياني

الأمريكان وحلفاؤهم مهتمون بالاسلام في هذه الايام ، إنهم في حاجة اليه ليكافح لهم الشيوعية في الشرق الأوسط ، بعد ما ظلوا هم يكافحونه تسعه قرون أو تزيد ، منذ أيام الحروب الصليبية ! إنهم في حاجة اليه ، كحاجتهم الى الامان واليابان والطليان ، الذين خطّطوهم في الحرب الماضية ، ثم يحاولون اليوم بكل الوسائل أن يقيموا على أقدامهم ، كي يقفوا لهم في وجه الغول الشيوعي . وقد يعودون غداً لخطفهم مرة أخرى إذا استطاعوا !

والاسلام الذي يريد الأمريكية وحلفاؤهم في الشرق الاوسط ، ليس هو الاسلام الذي يقاوم الاستعمار ، وليس هو الاسلام الذي يقاوم الطليان ، ولكنه فقط الاسلام الذي يقاوم الشيوعية ! إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم ، ولا يطيقون من الاسلام أن يحكم ، لأن الاسلام حين يحكم ينشئ الشعوب نثأة أخرى ، وسيعلمون الشعوب أن إعداد القوة فريضة ، وأن طرد المستعمر فريضة ، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء . فكلّاها عذر ، وكلّاها اعتداء !

الأميركان وحلفاؤهم إذن؟ يريدون للشرق الأوسط إسلاماً أميركانياً. ومن ثم تطلق موجة إسلام في كل مكان. فالكلام عن الإسلام ينطلق في صحفة مصر هنا وهناك. وللناشرات الدينية تفرق صفحات بأكملها، في صحف لم يعرف عنها في يوم ما حب الإسلام ولا معرفة الإسلام. ودور النشر - ومنها ما هو أميركاني معروف - تكتشف فجأة أن الإسلام يجب أن يكون موضوع كتابها الشهري. وكتاب معروفون ذوو ماض معروف في الدعاية للخلفاء، يعودون إلى الكتابة عن الإسلام، بعد ما اهتموا بهذا الإسلام في أيام الحرب الماضية، ثم سكتوا عنه بعد انتصار الخلفاء! والمحترفون من رجال الدين يصبح لهم هيل وهيلان، وجاه وسلطان، والمسابقات عن الإسلام والشيوخية تخصص لها المكافآت الضخامة<sup>١٠</sup>.

أما الإسلام الذي يكافح الاستعمار - كابكافح الشيوعية - فلا يجد أحداً يتحدث عنه من هؤلاء، جيماً. وأما الإسلام الذي يحكم الحياة ويصرّفها، فلا يشير إليه أحد من هؤلاء، جيماً. إن الإسلام يحوز أن يستنق في منع العمل، ويحوز أن يستنق في دخول المرأة للبرلمان، ويحوز أن يستنق في توافق الوضوء. ولكنه لا يستنق أبداً في أوضاعنا الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظامنا المالي. ولا يستنق أبداً في أوضاعنا السياسية والقومية، وفيما يريطنا بالاستعمار من صلات. والديمقراطية في الإسلام، والبر في الإسلام، والعدل في

(١٠) كتب هذا البحث في أواخر يونيو عام ١٩٥٢.

الاسلام . من الجائز أن يتناولها كتاب أو مقال . ولكن الحكم  
بالاسلام ، والتشريع بالاسلام ، والانتصار للإسلام ... لا يجوز  
أن يمسها قلم ولا حديث ولا استفهام !

وبعد ، فقد حدث أن هذا الاسلام الامريكياني ، قد عرف أن  
في الاسلام شيئاً يقال له « الزكاة » . وعرف أن هذه الزكاة قد  
تناولت التيار الشيعي لوأخذتها في الشرق من جديد . ومن هنا  
اهتمام « حلقة الدراسات الاجتماعية » التي عقدت في مصر في  
العام الماضي بدراسة حكاية « الزكاة » هذه ، أو بدراسة مسألة  
« التكافل الاجتماعي في الاسلام » .

ولما كانت امريكا من وراء حلقة الدراسات الاجتماعية ،  
فإن ذوي الشأن في مصر لم يروا أن يقفوا في وجه حكاية الزكاة ؛  
لما وقفوا في وجهها يوم فكر فيها عبد الحميد عبد الحق وهو  
وزير الشؤون الاجتماعية ! إن ذوي الشأن يستطيعون الوقوف  
في وجه الزكاة يوم يكون الأمر بها هو الله . أما يوم يكون  
الامرون هم الامريكان ، فليس أمامهم إلا الخضوع والإذعان !

وعلى ذلك ألفت في مصر جلنة من بعض اساتذة الشريعة في  
الجامعة ، وبعض رجال الازهر ، وبعض البالشوارات ، لدراسة  
مسألة « التكافل الاجتماعي في الاسلام » ، وبخاصة حكاية  
الزكاة ، لا لوجه الله ، ولا لحساب الوطن ، ولكن لوجه  
الامريكان ، ولحساب حلقة الدراسات الاجتماعية .

وهنا بدوا وجه الخطر . إن الامريكان لو عرفوا حقيقة

التكافل الاجتماعي في الاسلام لفرضه فرضاً على الشرق الاوسط ،  
لأنهم لن يجدوا سداً أقوى منه في وجه الشيوعية . والتكافل  
الاجتماعي في الاسلام يفرض على الاموال تكاليف ، ويفرض  
عليها حقوقاً ، ويعرف الملايين بحق الحياة . ودون هذا وتقطع  
الاعناق .

وإذن فلا مفر من تحنيط الأمر على الامريكان ! ولا مفر  
من الاحتيال على النصوص ، ولا مفر من تخفيض الأعباء التي  
يفرضها الاسلام على الاموال ؟ ولا مفر من أن تخرج اللجنة من  
الزكاة نفسها بظل باهت لا يتناول إلا التافه ، ولا يمس الاموال  
إلا بقفار من حرير .

إنه لو كان الأمر أمر الله والدين هناء ، ولكن أمر  
الامريكان ! إن ما تقرره الشريعة الاسلامية شيء ، وما تقرره  
حلقة الدراسات الاجتماعية شيء آخر ! إن حلقة الدراسات  
الاجتماعية لا يجوز أن تعرف من الاسلام الذي لا تعرفه ، وإلا  
فرضته على أهل الاسلام !

ولكن بعض أعضاء اللجنة من المعاندين المكابرين الذين  
لا يعرفون كيف يكتون النصوص ؟ ولا يعرفون كيف يؤمنون  
ببعض الكتاب ويکفرون ببعض ، ولا يعرفون كيف يشترون  
بآيات الله ثناً قليلاً .

هؤلاء الاعضاء ما زالون متثبتين بأن يعلموا الامريكان  
على السر الخطير ، وما زال الاعضاء الآخرون يلاقون من

تشبهم عنـا ، ولا يدرـي إـلا إـنـه كـيف تـيرـ الأمـور !  
إـنـها مـزـلة بلـ إنـها مـأسـاة .. وـلكـنـ العـزـاء عنـا أـنـ للـاسـلام  
أـولـيـاء ، أـولـيـاءـهـ الذينـ يـعـمـلـونـ لـهـ وـحـدـهـ وـيـاجـهـونـ بـهـ الـاستـعـمارـ  
وـالـطـفـيـانـ وـالـشـيـوعـيـةـ سـوـاءـ ، أـولـيـاءـهـ الذينـ يـعـرـفـونـ أـنـ الـاسـلامـ  
يـحـبـ أـنـ يـحـكـمـ كـيـ يـتـوقـيـ ثـارـهـ كـامـلـةـ . أـولـيـاءـهـ الذينـ لـاـ تـخـدـعـهـمـ  
صـدـاقـةـ الصـلـيـبيـنـ الـمـذـخـوـلـةـ لـلـاسـلامـ ، وـقـدـ كـانـواـ حـرـيـاـ عـلـيـهـ  
تـسـعـانـةـ عـامـ .

إـنـ أـولـيـاءـ الـاسـلامـ لـاـ يـطـلـبـونـ بـاسـهـ بـرـأـ وـإـحـسانـاـ ، وـلـكـنـ  
يـطـلـبـونـ بـاسـهـ عـدـالـةـ اـجـتـاعـيـهـ شـامـةـ كـامـلـةـ ؟ وـلـاـ يـعـمـلـونـ مـنـ أـدـاءـ  
خـدـمـةـ الـاسـتـعـمارـ ، وـالـطـفـيـانـ . وـلـكـنـ يـرـيدـونـ بـهـ عـدـلـاـ وـعـزـةـ  
وـكـرـامـةـ ؟ وـلـاـ يـتـخـدـونـ مـنـ سـتـارـاـ لـلـدـعـاـيـةـ ، وـلـكـنـ يـتـخـدـونـهـ  
درـعـاـ لـلـكـفـاحـ فـيـ سـيـلـ الـحـقـ وـالـاسـتـعـلـاءـ .

أـمـاـ دـورـ الـعـلـنـ الـذـيـ يـعـلـنـ بـالـاسـلامـ فـيـ هـذـهـ الـأـيـامـ ؟ وـأـمـاـ  
الـمـسـجـرـونـ بـالـدـينـ فـيـ رـبـوـعـ الـشـرـقـ الـأـوـسـطـ ، أـمـاـ الـذـينـ يـسـتـرـزـقـونـ  
مـنـ الـلـعـبـ بـهـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـحـوـاـةـ ، أـمـاـ هـؤـلـاءـ جـيـعـاـ فـيـمـ الـزـبـدـ  
الـذـيـ يـذـهـبـ بـجـفـاءـ عـنـدـمـاـ يـأـخـذـ المـدـ طـرـيـقـهـ ، وـيـأـخـذـ المـدـ  
طـرـيـقـهـ سـرـيـعـاـ ، أـسـرـعـ مـاـ يـظـنـ الـكـثـيـرـونـ ، إـنـهـ يـرـونـهـ بـعـدـأـ  
وـزـاءـ قـرـيـباـ . « وـعـدـ اللهـ الـذـينـ آمـنـواـ مـنـكـ وـعـلـمـواـ الـصـالـحـاتـ  
لـيـتـخـلـلـنـمـ فـيـ الـأـرـضـ كـاـسـتـلـفـ الـذـينـ مـنـ قـبـلـهـ . وـلـيـكـنـ  
لـهـمـ دـيـنـهـمـ الـذـيـ اـرـتـقـىـ لـهـمـ ، وـلـيـدـلـنـهـمـ مـنـ بـعـدـ خـوـفـهـمـ أـمـاـ .  
يـعـدـونـيـ لـاـ يـشـرـكـونـ بـيـ شـيـئـاـ » . صـدـقـ اللهـ الـعـظـيمـ .

## ضربيت الذل ..

بعض النفوس الضعيفة يخجل إليها أن الكراهة ضربة باهظة لا تطاق ، فتختار الذل والمهانة ، هرباً من هذه التكاليف الشاق ، فتعيش عيشة تافهة رخيصة ، مفزعه قلقة ، تخاف من ظلها وتفرق من صداتها ، يحسبون كل صيحة عليهم ، ولتجدهم أحرص الناس على حياة !

هؤلاء الأذلاء يؤدون ضربة أفدح من تكاليف الكراهة ، إنهم يؤدون ضربة الذل كاملة ، يؤدونها من نفوسهم ، ويؤدونها من أقدارهم ، ويؤدونها من سمعتهم ، ويؤدونها من اطمئنانهم ، وكثيراً ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون .

وإنهم ليحسبون أنهم ينالون في مقابل الكراهة التي يبتلونها ، قربى ذوي الجاه والسلطان حين يؤدون إليهم ضربة الذل وهم صاغرون . ولكن كم من تجربة ، انكشفت عن نبذ الأذلاء تبدى النواة بأيدي سادتهم الذين عبدوهم من دون الله . كم من رجل باع رجولته ، ومرغ خديه في القبر تحت أقدام السادة ، وخنع وخضع ، وضعى بكل مقومات الحياة الإنسانية ، وبكل المقدسات التي عرفتها البشرية ، وبكل الأمانات التي ناطها الله

به او ناطها الناس ... ثم في النهاية اذا هو رخيص رخيص **اهين**  
**اهين** ، حق على السادة الذين استخدموه كالكلب الذليل ؟ السادة  
الذين هلت في إثرهم ، ووصوس بذنبه لهم ، ومرغ نفسه في الوحل  
ليحوز منهم الرضا !

كم من رجل كان يعلمك أن يكون شريفاً ، وأن يكون  
كريماً ، وأن يصون امانة الله بين يديه ، ويحافظ على كرامة  
الحق وكرامة الإنسانية ، وكان في موقفه هذا مرهوب الجانب ،  
لا يعلمك له أحد شيئاً ، حق الذين لا يربدون له ان يرعى الأمانة ،  
وأن يحرس الحق ، وأن يستمر بالكرامة ، فلما ان خان الأمانة  
التي بين يديه ، وضفت عن تكاليف الكرامة ، وتجبرد من عزة  
الحق ، هان على الذين كانوا يهابونه ، وذل عند من كانوا يرهبون  
الحق الذي هو حارسه ، ورخص عند من كانوا يخاولون شرائه ،  
رخص حق اعرضوا عن شرائه ، ثم تبذلا تقييد الجيفة ، وركلته  
الأقدام ، أقدام الذين كانوا يهدونه وينشونه ، يوم كان له من  
الحق جاء ، ومن الكرامة هيبة ، ومن الأمانة ملاذ .

كثير هم الذين يهونون من القمة الى السفح ، لا يرحمهم احد ،  
ولا يترحم عليهم احد . ولا يسير في جنائزهم أحد ، حق السادة  
الذين في سبيلهم هم هم من قمة الكرامة الى سفح الذل ، ومن  
عزوة الحق الى مهاوي الضلال .

ومع تكاثر المظاهر والتجارب ، فإننا ما زال نشهد في كل  
يوم ضحية : ضحية تؤدي ضربة الذل كاملاً ، ضحية تخون الله

والناس ، وتحسي بالأمانة والمحكمة . ضحية تلبت في إثر السادة ، وتلبت في إثر المطعم والمطعم » وتلبت وراء الوعود والسراب .. ثم تهوي ، وتنتزوي هنالك في السفح خائنة مهينة ، ينظر إليها الناس في شفاعة ، وينظر إليها السادة في احتقار .

لقد شاهدت في عمري المحدود - وما زلت أشاهد - عشرات من الرجال الكبار يخونون «الرؤوس» لغير الواحد القهار<sup>١١</sup> ، ويتقدمون خائعين ، يحملون ضرائب الذل تباهي كواهيلهم ، وتحفي هماماتهم ، وتلوي أنفاسهم ، وتحبس رؤوسهم .. ثم يطرون كالكلاب ، بعد أن يضعوا أحافلهم ، ويسلوا بضاعتهم ، وينجردوا من الحنين : في الدنيا والآخرة ، ويضلون بعد ذلك في قافلة الرقيق لا يحسن بهم أحد حق الجلاء !

لقد شاهدتهم وفي وسمهم أن يكونوا أحراراً ، ولكنهم يختارون العبودية . وفي طاقتهم أن يكونوا أقوىاء ، ولكنهم يختارون التغاذل . وفي إمكاناتهم أن يكونوا مرهوفي الجائب ، ولكنهم يختارون الجبن والهانة .. شاهدتهم يهربون من العزة كي لا تتكلفهم درها ، وهم يرددون للذل ديناراً أو قنطاراً . شاهدتهم يرتكبون كل كبيرة ليرضوا صاحب جاه أو سلطان ، ويستظلووا بجاهه أو سلطانه وهم يملكون أن يرهبهم ذرو الجاه والسلطان ! لا ، بل شاهدت شعوباً يأسراها تشقق من تكاليف الحرية مرة ، فتظل تؤدي ضرائب العبودية مرات . ضرائب لا تقاوم إليها

---

(١١) كتب هذا الفصل في أراسطون بسنة ١٩٥٢ .

تكليف الحرية ، ولا تبلغ عشر معشارها . وقد يعماها قالت اليهود  
لبيها : « يا موسى إن فيها قوماً جبارين » وإنما لن ندخلها أبداً  
ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، أنا هاهنا قاعدون » ..  
فأدت غن هذا النكول عن تكاليف العزة ، أربعين سنة تتباهي في  
الصحراء تأكلها الرمال ، وتذلها الغربة ، وتشردها الخاوف ..  
وما كانت تؤدي معشار هذا كله ثناً للعزة والنصر في عالم  
الرجال !

إنه لا بد من ضريبة يؤذها الأفراد ، وتؤذها الجماعات ،  
وتؤذها الشعوب . فاما أن تؤذى هذه الضريبة للعزة والكرامة  
والحرية ، وإما أن تؤذى للذلة والمهانة والعبودية ! والتجارب  
كلها تتحقق بهذه الحقيقة التي لا مفر منها ولا فكاك .

فإلى الذين يفرجون من تكاليف الحرية ، إلى الذين يخوضون  
عاقبة الكرامة ، إلى الذين يرغون خودهم تحت مواطنِيِّ  
الأقدام ، إلى الذين يخونون أماناتهم ، ويخونون كراماتهم ،  
ويخونون إنسانيتهم ، ويخونون التضحيات العظيمة التي بذلتها  
أمتهم ، وبذلتها الإنسانية لتحرر وتتخلص .

الى هؤلاء جيماً ! أوجه الدعوة أن ينتظروا في عبر التاريخ ،  
وفي عبر الواقع القريب ؛ وأن يتذروا الأمثلة المتكررة التي تشهد  
بأن ضريبة الذلة أفسدح من ضريبة الكرامة ، وأن تكاليف  
الحرية أقل من تكاليف العبودية ، وأن الذين يستعدون للموت  
توفّه لهم الحياة ، وأن الذين لا يخوضون الفقر يرزقون الكفاية ،

وأن الذين لا يرهبون الجاه والسلطان يرهبهم الجاه والسلطان .  
ولدينا أمثلة كثيرة وقريبة ، على الأذلاء الذين ياعوا الضمائر  
وخلعوا الأمانات ، وخذلوا الحق وغرغوا في التراب ، ثم ذهبوا  
غير مأسوف عليهم من أحد ، ملعونين من الله ! ملعونين من  
الناس ! وأمثلة كذلك – ولو أنها قليلة – على الذين يأبون أن  
ينذلوا ، ويأبون أن يخوتوا ، ويأبون أن يبيعوا رجولتهم بيع  
السماح . وقد عاش من هم كريعاً ، ومات من مات منهم  
كريعاً .

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فنهم من  
قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما يبدوا تبديلاً » .

## العبد ...

ليس العبيد هم الذين تفههم الأوضاع الاجتماعية ، والظروف الاقتصادية ، على أن يكونوا رقيقاً ، يتصرف فيهم السادة كما يتصرفون في السلع والحيوان ، إنما العبيد هم الذين تعففهم الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية من الرق ، ولكنهم يتهافتون عليه طائعين !

العبد هم الذين يملكون التصور والضياع ، وعندهم كفایتهم من المال ، ولديهم وسائلهم للعمل والانتاج ، ولا سلطان لأحد عليهم في أموالهم أو أرواحهم . . . ومم مع ذلك يتزاحمون على أبواب السادة ، ويتهافتون على الرق والخدمة ، ويضعون بأنفسهم الأغلال في أنفاسهم ، واللناس في أنفاسهم ، ويلبسون شارة المبودية في مياهة واحتياط !

العبد هم الذين يقفون بباب السادة ، يتزاحمون وهم يروتون بأعينهم كيف يركل السيد عبده الأذلاء في الداخل بحكم حذائه ، كيف يطردهم من خدمته دون إنذار أو إنذار ، كيف يطأطئون هماماتهم له فيصفع أقفيتهم باستهانة ، ويأمر بالقائم خارج الأعتاب ، ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون

على الأبواب ، يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين ، وكلما  
أمعن السيد في احتقارهم زادوا تهافتاً كالذباب !

العبيد ، هم الذين يربون من الطربة ، فإذا طردتهم سيد بحثوا  
عن سيد آخر ، لأن في نفوسهم حاجة ملحة إلى العبودية .  
لأن لهم حسنة سادسة .. أو سابعة ، حسنة الذل .. لا بد لهم  
من إراوتها ، فإذا لم يستبعدم أحد أحست نفوسهم بالظماء إلى  
الاستعباد ، وترموا على الأعتاب ، يتمسحون بها ، ولا ينتظرون  
حق الإشارة من إصبع السيد ، ليخرروا له ساجدين !

العبيد ، هم الذين إذا أعتقوا وأطلقوا حسداً الأرقاء الباقيين  
في الخظيرة ، لا الأحرار المطلقي السراح ، لأن الخربة تخيفهم ،  
والكرامة تتقل كواهلهم ، لأن حزام الخدمة في أوساطهم هو  
شارفة الفخر التي يعتزون بها ، لأن القصب الذي يرقص ثياب  
الخدمة هو أبيه الأزياء التي يتعشقونها !

العبيد ، هم الذين يحسون التسیر لا في الأعناق ولكن في  
الأرواح ، الذين لا تلهب جلودهم سياط الجلد ، ولكن تلهب  
نفوسهم سياط الذل . الذين لا يقودهم التخاس من حلقات في  
آذانهم ، ولكنهم يقادون بلا تخاس ، لأن التخاس كامن في  
دمائهم .

العبيد ، هم الذين لا يجدون أنفسهم إلا في سلاسل الرقيق ،  
وفي حطائر التخاسين ، فإذا انطلقوا تاهوا في خضم الحياة وضلوا  
في زحمة المجتمع ، وفزعوا من مواجهة النور ، وعادوا طائعين

يدقون أبواب المظيرة ، ويتضرعون للعراس أن يفتحوا لهم  
الأبواب !

• • •

والعيد - مع هذا - جبارون في الأرض ، غلاظ على  
الأحرار شداد ، ينطعون للتنكيل بهم ، ويتلذذون بإيذائهم  
وتعذيبهم ، ويتشفتون فيهم تشفى الجلادين العتاة !

إنهم لا يدركون بوعاهم الأحرار للتحرر ، فيحسبون التحرر  
غردا ، والاستعلاء شذودا ، والعزبة جريمة ، ومن ثم يصيرون  
نقمتهم الجائعة على الأحرار المعتززين ، الذين لا يسيرون في فافية  
الرقيق !

إنهم يتسبقون إلى ابتکار وسائل التنكيل بالأحرار ،  
تسابقهم إلى إرضاء السادة ، ولكن السادة مع هذا يملأونهم  
ويطردونهم من الخدمة ، لأن مزاج السادة يدركه السأم من  
تكرار اللعبة ، فيغيرون اللاعبين ويستبدلون بهم بعض الواقعين  
على الأبواب !

ومع ذلك كله فالمستقبل للأحرار ، المستقبل للأحرار ، لا  
لليبيد ولا للسادة الذين يتعرّج على أقدامهم العبيد ، المستقبل  
للأحرار ، لأن كفاح الإنسانية كلها في سبيل الحرية لن يضيع ،  
ولأن حظائر الرقيق التي هدمت لن تقام ، وأن سلال الرقيق  
التي حطّمت لن يعاد سبّكها من جديد !

إن العبيد يتکاثرون ، نعم : ولكن نسبة الأحرار تتضاعف ،

والشعوب بكمالها تنضم الى مواكب الحرية ، وتتفرّغ من قوافل  
الرقيق ، ولو شاء العبيد لانضموا الى مواكب الحرية ، لأن  
قبضة الجلادين لم تعد من القوة بحيث تستك بالزمام ، ولأن حطام  
ال العبودية لم يبعد من القوة بحيث يقود القافلة ، لو لا أنت العبد  
ـ كما قلت ـ هم الذين يدقون باب المظيرة ، ليضعوا في أنوفهم  
الخطام !

ولكن مواكب الحرية تسير ؟ وفي الطريق تنضم اليها الآلوف  
والآلوفين .. وعيثا يحاول الجلادون أن يعطّلوا هذه المواكب أو  
يشتّتها بإطلاق العيّد عليها. عيثا تفلح سباط العيّد ولو مزقت  
جساد الأحرار . عيثا ترتد مواكب الحرية بعدما حطمت  
السدود ، ورفعت الصخور ، ولم يبق في طريقها إلا الأشواك !  
إنما هي جولة بعد جولة . وقد دلت التجارب الماضية كلها ،  
على أن النصر كان للحرية في كل معركة نشبت بينها وبين العبودية.  
قد تدب قبضة الحرية ، ولكن الضربة القاضية دائماً تكون  
هنا . وتلك سنة الله في الأرض ، لأن الحرية هي القافية البعيدة  
في قبة المستقبل ، والعبودية هي النكبة الشاذة إلى حضيض  
الماضي !

إن قافلة الرقيق تحاول دائماً أن تعرّض مواكب الحرية ..  
ولكن هذه القافلة لم تملّك أن ترقى المواكب يوم كانت تضم  
القطيع كلّه ، والموكب ليس فيه إلا الطلائع ، فهل تلك اليوم  
ـ وهي لا تضم إلا بقايا من الأرقاء ـ أن تعرّض الموكب الذي

يشمل البشرية جيماً؟

وعلى الرغم من ثبوت هذه الحقيقة ، فإن هنالك حقيقة أخرى لا تقل عنها ثبوتاً، إنه لا بد لموكب الحريات من ضحايا.. لا بد أن تزق قائمة الرقيق بعض جوانب الموكب .. لا بد أن تصيب سياط العبيد بعض ظهور الأحرار ، لا بد للحرية من تكاليف ، إن للعبودية ضحاياها وهي عبودية ، أفلاب يكون للحرية ضحاياها وهي الحرية ؟

هذه حقيقة ، وتلك حقيقة . ولكن النهاية معروفة ، والغاية واضحة ، والطريق مكشوف ، والتجارب كثيرة ، فلنلدع قائمة الرقيق وما فيها من عبيد تزين أو ساطهم الأحزنة ، وينجلي صدورهم القصب ، ولننطلع الى موكب الأحرار وما فيه من رؤوس تزين هاماتها ميامن التضحية ، وتحلي صدورها أوجة الكرامة . ولنتابع خطوات الموكب الوئيدة في الدرب المفروش بالثوك ، ونخن على يقين من العاقبة ، والعاقبة للصابرين .

## قوّة الكلمة

في بعض اللحظات ، لحظات الكفاح المرير الذي كانت الأمة تراوله في العهد الذي مات .. كانت تراودني فكرة يائسة ، وتلح عليّ إلحاحاً عنيفاً . أأسأل نفسي في هذه اللحظات : ما جدوى أن تكتب ؟ ما قيمة هذه المقالات التي تترجم بها الصحف ؟ ليس خيراً من هذا كله أن تحصل لك على مسدس وبضع طلقات ، ثم تطلق تسوياً بهذه الطلقات حسابك مع الرؤوس الباغية الطاغية ؟ ما جدوى أن تجلس الى مكتب ، فتفرغ حنفك كله في كلام ، وتصرف طاقتك كلها في شيء لا يبلغ الى تلك الرؤوس التي يجب أن تطاح ؟!

ولا أنكر أن هذه اللحظات كانت تعذبني . كانت قللاً نفسي ظلاماً وياساً . كانت تشعرني بالتجعل أمام نفسي . خجل العجز عن عمل شيء ذي قيمة !

ولكن هذه اللحظات لحسن الحظ لم تكن تطول . كان يعاودني الأمل في قوّة الكلمة . كتبت التي بعض من قرأوا اليه مقالاً ، أو أتلقى رسائل من بعضهم ، فأسترد ثقفي في جدوى هذه الأداة . كتبت أحسن أنهم يتواعدون معي على شيء ما :

شيء غامض في نفوسهم ، ولكنهم ينتظرون له ، ويستعدون له ، ويتقون به .

كنت أحس أن كتابات المكافحين الأحرار لا تذهب كلها سدى ، لأنها وقظ الناقدين ، وتشير الحامدين ، وتؤلف تياراً شيئاً يتجه إلى وجة معينة ، وإن لم تكن بعد متباعدة ولا واضحة . ولكن شيئاً ما كان يتم تحت تأثير هذه الأفلام .

ولكنني مع هذا كنت أعود - في لحظات اليأس والظلم - لأنهم نفسي . كنت أقول : أليس هذا الإعلان بقوة الكلمة تعلة العجز عن عمل شيء آخر ؟ ألا يكون هذا ضحكاً من الإنسان على نفسه ليطمئن إلى أنه يعمل شيئاً ، وليهرب من تبعه التقصير والجبن ؟

وهكذا كنت أعيش طوال فترة الكفاح الماضية . حتى شاء الله أن يطلع الفجر الجديد ، وأن تكتشف الفمه المعتمه ، وأن يتنفس الناس الهواء النظيف الذي حلته الثورة ، وأن يصبح هذا الصراع ذكرى يضمها التاريخ في ثباته .

والليوم خطر لي أن أرجع إلى بعض القصاصات ، التي تحوي بعض ما كنت أكتب في ذلك المهد الرهيب .

ولست أنكر أنني فوجئت مفاجأة شديدة . إن قوة الكلمة شيء عجيب . إن أحلاماً كاملة قد أصبحت حقيقة واقعة ، وإن نبوءات قد صحت برمتها . لكنها كانت أبواب السماه مفتوحة ،

والكافرون الأحرار يكتبون ويتجهون بكل قلوبهم مع هذه الكلمات . وإن من يصدق - حق أنا - اني كتبت منذ أكثر من عام مثل هذه الفقرات :

« لقد بدأنا في هذه المرة بدءاً أكيداً ، لأننا بدأنا بدءاً صحيحاً . لقد خر اثنان من الفلاحين مضرجين بدمائهما الطاهرة » أو هما في كفور نجم بتقىش محمد علي .. والثاني في يهود في تقىش البدراوي .

« لقد سالت دماءها في هذه المرة لا في ثار عائلي ولا في معركة انتخابية كما اعتادت سجلات البوليس أن تسجل ، ولكنها سالت في معركة الأرض ! الأرض الطيبة التي روى تربتها الملايين بالعرق والدموع ، ولم ينالوا منها شيئاً ، ثم هاهم أولاء أخيراً قد بدأوا يروونها بالدماء . ولن تخونهم الشرة في هذه المرة ، لأن بذرة الدم لم تنبت يوماً في التاريخ ، ولن تخيب .

« لقد خر أول شهيد في معركة الأرض المقدسة أرداها الابدي الآتية . وسيتبعها آخرون حتماً ، فهذا الاقطاعي المجنون لن يصبر على أن يرفع العبيد رؤوسهم . ولن يطيق أن يسوء أدب الرقيق في حق ألامياد . ولن يكشف عن إراقة الدماء » وإن فلقد بدأنا !

« إن ملكية هذه الأرض الطيبة قد رُدت على أصحابها الحقيقيين . إن وثيقة التملك السجاوية قد كتبت ولن تفسخ أبداً . لقد كتبت باللادة التي لا تتحى ، كتبت بالدماء ، فإذا لم تكن ذات الأرض

قد رُدّت بعد ، فإنها منذ اليوم تعد مخصوصة والاعتراض لن  
يُشوم .

« إن هؤلاء الأقطاعين الحقى سيوقعون في كل يوم وثيقة  
بالتنازل عن الأرض المخصوصة . سيوقعونها في صورة رصاصة  
طائشة تخنق صدر شهيد ، أو بلطة مجرمة تُرقى جثة بطل .  
ولكنها ستكون هي هي وثيقة التنازل عن الأرض » ، ووثيقة  
الملك للأخرين المفرومين .

« لقد طال ليل الظلم وطال ارتقابنا للفجر الجديد » ، ثم ها هو  
الفجر يلوح ، لقد تلأّلت أشعة الأولى ، تلأّلت في هذه القطرات  
الزكية من الدم المسفوح . إنها ليست قطرات من الدم الرخيص  
في معركة انتخابية ، إنها دماء عزيزة غالبة ، لأن وراءها قضية  
طال عليها العمر : قضية مرت بها القرون تلو القرون ، قضية  
كانت في حاجة إلى مستند لا ينفعن ، وإلى حجة لا ترد ، ولقد  
كتبت هذه الحجة الأزلية في كفور نجم ، وفي بحث . كتبت  
وانتهت وليس إلى مردّ من سيل !

« ستكب في كل يوم وثيقة جديدة . ستكب بفضل حامة  
الحقى الذين لا يؤمنون بالنذر ، الذين تأخذهم العزة بالإثم ، الذين  
مردوا على التكبير الفاجر والاستغلال الفذر ، الذين لا يطيقون  
أن تقف قامة واحدة منتصبة ، ولا رأس واحد مرفوعاً ، الذين  
ألفت عيونهم رؤية الرأكمين الساجدين في عشرات القرون .

« إن هذه القطرات الطاهرة من الدماء العزيزة ستتحول

ناراً مقدسة تحرق ، ونوراً سعادياً يضي ، ولن تحمد الشعلة أبداً  
بإذن الله ، ولن ينطفئ النور أبداً وهو من نور الله !  
« اللهم حداً لك وشكراً . اللهم حداً لك وشكراً . اللهم  
بارك نارك المقدسة التي أوقدت ، ونورك السماوي الذي اطلعت ،  
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

قرأت هذه الفقرات التي كتبت منذ أكثر من عام مضى ، ثم  
عدت أسأل : أية قوة غير قوة الكلمة كانت تلوك في ذلك الوقت  
الرهيب المظلم أن تشق حجاب الغيب ، وان تتجاوز العقبات  
والاشواك ، وان ترقم في السجل الخالد ذلك الواقع المشهود ؟

ثم عدت أسأل من جديد : ما سر قوة الكلمة ؟

إن السر الممتعيب ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات ؛  
إنما هو كامن في قوة الإياع بدلول الكلمات وما وراء المدلولات ؛  
إنه في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة الى حركة  
حيّة ولمعنى المفهوم الى واقع ملموس .

في هذا يمكن سر الكلمة وفي شيء آخر : في استمداد  
الكلمات من خمائر الشعوب ، ومن مشاعر الإنسان ، ومن  
صرخات البشرية ، ومن دماء المكافحين الأحرار .

إنه ليست كل كلمة تبلغ الى قلوب الآخرين فتعركها ،  
وتجعلها وتدفعها . إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها اقتات قلب  
إنسان حي . كل كلمة عاشت قد اقتات قلب إنسان . أما

الكلمات التي ولدت في الأفواه ، وقدفت بها الألسنة ، ولم تصل بذلك النبع الإلهي الحي ، فقد ولدت ميتة ، ولم تدفع بالبشرية شيئاً واحداً إلى الأمام. إن أحداً لن يتبنّاها، لأنّها ولدت ميتة. والناس لا يتبنّون الاموات .

إن أصحاب الاقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً . ولكن بشرط واحد : إن يعوّلوا على تعيش أفكارهم . أن يطّعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم . أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ، ويقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق . أن أفكارنا وكلماتنا تظلّ جثتاً هامدة ، حق اذا متنّافي سيلها او غذّيّناها بالدماء ، انتقضت حيّة ، وعاشت بين الأحياء .

فإلى الذين يخلّون إلى مكاتبهم ، يكذّبون قرائحهم ، ليتّقدوا اللفظ الأنيق ، وينمّقّوا العبارة الرفّانة ، ويلفّقّوا الأخيبة البراقة . إلى هؤلاء أتّوجه بالنصيحة : وفّروا علينا كلّ هذا العناء ؛ فإنّ ومضة الروح ، وإشراق القلب ، بالنّار المقدّسة ، نار الإيّان بالفكرة ... هو وحده سبب الحياة . حياة الكلمات وحياة المصيّرات .

• • •

ثم ماذا ؟

ثم لا يلّعّدن القادر على العمل ، وهو يطّمع ان يؤدي واجبه بالكلام . ذلك خاطر أحبّ ان أحذر منه بعدما أسلفت من الإيّان بقوّة الكلمة ، والى آثارها الملوّبة في الحياة .

إنه في كثير من الأحيان ، يكون القول الفصل للشاعر  
الذي يقول :

السيف أصدق أبناء من الكتب  
في حدة الحد بين الجيد والعب

وفي كثير من الأحيان ، يصبح من العبث أن نظل نتكلم  
و نتكلّم ، ثم لا نفعل شيئاً . إن الكلمات في هذه الحالة تكون  
استهلاكاً للطاقة الكامنة وليس توليداً للطاقة .

ثم إن عدداً نادراً من الكتاب المهووبين ، هم الذين يملكون  
أن يحولوا الكلمات إلى طاقة . أما المقادنة فهي أن يعمل الناس ،  
وأن يتحققوا بالعمل ما يريدونه من مقدرات .

والكلمة ذاتها - منها تكن مخلصة وخالقة - فإنها لا تستطيع  
أن تفعل شيئاً ، قبل أن تستحيل حركة ، وأن تتعصّص إنساناً .  
الناس هم الكلمات الحية التي تؤدي معانها أبلغ أداء .

إن الفارق الأساسي بين المقادنة والفلسفات ، أن العقيدة كلمة  
حية تعمل في كيان إنسان ، ويعمل على تحقيقتها إنسان . أما  
الفلسفة فهي كلمة ميتة ، مجردة من اللحم والدم ، تعيش في  
ذهن ، وتبقى باردة ساكتة هناك .

ومن هنا كانت العقائد هي الحادي ، الذي سارت البشرية  
على حداته ، في درب الحياة المترجح الطويل . تصدع الروابي  
وتهبط السفوح ، وتردد حداها في المأهنة الملائكة ، فتنبع  
وتحيا ، وترتقي وتنق في رسالتها ، لأنها رسالة تنبع من أعماق  
الضمير ، ويشتمل بها الوجودان ، ويتلاؤ بها الشعور .

إنه لا بد من عقيدة . وقوّة الكلمة إنما تنبع من أنها ترجمان  
العقيدة . والعقيدة هي التي يفذها الناس بمحاباتهم فتوهّب لهم الحياة .

## أَنْتَ الْعَقِيدَةُ فِي أَسْهَمِ

قال له صاحبه - وهو يحاوره - يا أخي اسمح لي أن أقول لك : إنني لم أعد أفهمك .. إنك تريد أن تقف في وجه التيار .. إنك تلقي بنفك إلى التهلكة بلا رؤية .. إنك تصرف كارث كنت ت يريد أن تتخلص من الحياة .. قل لي : حساب من تعرّض نفسك لكل هذا ؟ إن الشعب لم يبلغ درجة من الوعي تباعطك في أهدافك وتدراك ما الذي أنت ت يريد .. وأنت تحابيه قوى جارفة ، قوى تلك أن تشوي دولًا وأمامًا وشعوبًا . قوى مدربة لها علاه في كل مكان ، وها أجهزتها التي مرت على العمل .. هذه القوى تلك أن تخيلك متهمًا في أعيين مواطنينك .. تلك أن تجبردك من سمعتك ذاتها فتظهرك للناس خاتما ، وتتجدد ألف شاهد وألف جهاز من أجهزة الدعاية تهتف بذلك ليل نهار .. إنك لست غبيا ، ولست فتى ، فكانت رجل تدلّف إلى الكهولة .. وأنت لا تستند إلى حزب أو هيئة تتفق عليك إذا انقطع رزقك ، او تتفق على أهلك إذا انقطع عنهم عونك لسب من الأسباب .. يا أخي . إنني لم أعد أفهمك في هذه الأيام !

كان صاحبه يلقى عليه هذه العبارات ويقرعه بهذه النذر

– في حمامة وفي حرارة وفي غضب وفي إشراق – فلم يترك له  
فرحة للحديث حق انتهى واستراح وتطلع الى الجواب !  
وابتسم صاحبنا وهو يقول :

– يا أخي ، إنني أدرك هذه المخاوف كلها ، وأبصر هذه  
الخاطر جميعها . وأعلم أنك على صواب فيما تقول ، وأقدر  
حرصك على شخص صديقك ، وزميل صباك .. ولكنك يا  
أخي ذكرت كل شيء ونبت السبب الواحد الذي قد يعلل لك  
ماتراه .. ذكرت الشعب ، وذكرت الوطن ، وذكرت الصحة ،  
وذكرت المال ، وذكرت القوى الجارفة التي تملك أن تشرى  
الأمم والدول والشعوب ، أو تضليلها ، بحيث لا تعرف الخونة  
من الشرفاء .. كل هذا صحيح . ولكنك نسبت الله ..

قال له صاحبه – وهو يحاوره – : لا يا سيدى لم أنس الله ،  
ولكنني أعرف أن محمد بن عبد الله – عليه السلام – حين كان يواجهه  
مثلاً تواجهه كان رسولاً من عند الله ، يتلقى الوحي ، ويتلقى  
الإرشاد والتوجيه ، ويتلقى النصر والتأييد . ويتلقى خمسة  
آلاف من الملائكة مسومين .. وأذن ماذا تكون ؟

وعاد صاحبنا يبتسم في رضى . قال :

– الآن يا صديقي كدها نلتقي .. إنني لست نبياً ولا رسولاً ،  
ولست أنثلاً وحيناً ولا ملائكة .. ولكنني رجل يؤمن بالله ،  
وكل من يؤمن بالله في هذه الأرض – في أي زمان وفي أي مكان  
يملك أن يتضرر من الله – فيما عدا الوحي والملائكة – كل ما آتاه

اـلـه لـرسـولـه فـي هـذـا الـجـهـالـه ، مـا دـام يـتـبع خـطـاه ، وـالـمـؤـمـنـون حـيـثـ  
كـانـوا ، هـم أـصـحـاب ذـلـكـ الـمـيرـاثـ الـضـخـمـ مـا دـامـوا عـلـى هـدـاء ..

هـذـا الـمـيرـاثـ الـضـخـمـ يـا صـدـيقـي مـزـيـجـ مـنـ الـاـبـلـاءـ وـالـعـاقـبـةـ ،  
مـزـيـجـ مـنـ الـكـفـاحـ وـالـنـصـرـ ، مـزـيـجـ مـنـ الـفـرـاءـ وـالـسـرـاءـ . وـلـكـنـ  
الـعـاقـبـةـ مـعـرـوـفـةـ :

« لـتـبـلـوـنـ فـي أـمـوـالـكـ وـأـنـفـسـكـ ، وـلـتـسـمـعـنـ مـنـ الـدـيـنـ أـوـقـواـ  
الـكـتـابـ مـنـ قـبـلـكـ وـمـنـ الـدـيـنـ أـشـرـكـواـ أـدـىـ كـثـيرـاـ ، وـإـنـ  
تـصـبـرـواـ وـتـقـوـاـ فـيـانـ ذـلـكـ مـنـ عـزـمـ الـأـمـرـ » .

« وـلـا تـهـنـواـ وـلـا تـخـزـنـواـ وـأـنـتـمـ الـأـعـلـونـ إـنـ كـنـتـ مـؤـمـنـينـ . إـنـ  
يـمـسـكـ قـرـحـ فـقـدـ مـنـ الـقـوـمـ قـرـحـ مـثـلـهـ ، وـتـلـكـ الـأـيـامـ نـدـاـوـهـاـ  
بـيـنـ النـاسـ . وـلـيـعـلـمـ اـلـهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ وـيـتـخـذـ مـنـكـ شـهـادـهـ ، وـاـلـهـ لـاـ  
يـحـبـ الـظـالـمـينـ . وـلـيـعـصـ اـلـهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ وـيـعـقـ الـكـافـرـينـ . أـمـ  
حـسـبـتـ اـنـ تـدـخـلـواـ الـجـنـةـ وـلـاـ يـعـلـمـ اـلـهـ الـذـيـنـ جـاهـدـواـ مـنـكـ وـيـعـلـمـ  
الـصـابـرـينـ . وـلـقـدـ كـنـتـ تـنـتـنـوـنـ الـمـوـتـ مـنـ قـبـلـ أـنـ تـلـقـوـهـ فـقـدـ  
رـأـيـتـوـهـ رـأـتـمـ تـنـتـرـوـنـ » .

وـلـمـ يـدـعـهـ صـاحـبـهـ يـسـرـلـ فـيـ تـلـاـوـةـ آـيـاتـ أـخـرـىـ مـنـ الـكـتـابـ  
الـخـالـدـ . فـأـسـكـتـهـ بـاـشـارـةـ مـنـ يـدـهـ وـهـوـ يـقـوـلـ :

ـ فـهـمـتـ . فـهـمـتـ . إـذـنـ أـنـتـ تـرـيـدـ أـنـ تـمـوتـ .

قـالـ صـاحـبـنـاـ :

ـ لـاـ يـاـ صـدـيقـيـ ، إـنـكـ لـمـ تـقـهـمـيـ بـعـدـ . إـنـيـ مـاـ أـرـدـتـ أـنـ

أموت . أؤكـدـ لـكـ ذـلـكـ ، إـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـحـيـاـ . أـرـيدـ أـنـ أـحـيـاـ  
حـيـاةـ طـوـيـةـ ، فـأـلـمـ أـشـبعـ بـعـدـ مـنـ هـذـهـ حـيـاةـ : وـأـلـمـ أـتـمـ إـلـاـ  
الـقـلـلـ مـنـ الـوـاجـبـاتـ الـقـيـمـةـ الـمـعـدـلـةـ ، أـرـجـوـ أـنـ أـوـفـقـ إـلـىـ التـهـوـضـ بـهـ ...  
وـأـمـرـ آـخـرـ ، إـنـيـ قـدـ بـعـدـتـ فـتـرـةـ فـيـ حـيـاتـيـ عـنـ اللهـ . إـنـيـ لـأـرـجـوـ  
أـنـ أـعـيـشـ حـقـ أـنـفـقـ مـنـ عـمـرـيـ فـيـ قـرـبـهـ فـتـرـةـ تـعـدـ كـفـقـيـ الـمـيزـانـ .

وـأـنـاـ فـيـ التـهـاـيـةـ لـأـنـيـ أـنـيـ رـجـلـ ذـوـ أـعـيـاءـ .

وـأـسـتـعـجـلـ صـاحـبـهـ مـرـةـ أـخـرـيـ فـأـسـكـتـهـ مـقـاطـعـاـ .

ـ أـنـاـ لـأـ يـهـنـيـ شـخـصـكـ ، فـلـتـصـنـعـ بـهـ كـيـفـ شـتـ . وـلـكـنـ  
تـعـنـيـ هـذـهـ الـأـعـيـاءـ . إـنـكـ رـجـلـ لـأـتـحـتـمـلـ صـحـتـكـ الـأـذـىـ .  
وـمـوـتـكـ أـقـرـبـ الـأـشـيـاءـ . فـإـذـاـ تـرـكـ لـأـهـلـكـ مـنـ رـصـيدـ ، وـرـصـيدـكـ  
الـذـيـ أـعـرـفـ بـمـعـوـعـةـ اـصـفـارـ .

قـالـ صـاحـبـاـ فـيـ اـطـمـثـانـ :

ـ وـمـاـذـاـ يـصـنـعـ أـهـلـ هـؤـلـاءـ إـذـاـ مـاتـ عـلـىـ فـرـاشـيـ الـلـعـظـةـ  
كـلـيـوـتـ الـبـعـيرـ ؟ وـالـحـيـاةـ كـلـاـ أـنـفـاسـ : فـسـ يـدـخـلـ فـلـاـ يـخـرـجـ ،  
وـفـسـ يـخـرـجـ فـلـاـ يـدـخـلـ ! هـلـ يـتـخـذـوـنـ هـمـ نـفـقـاـ فـيـ الـأـرـضـ أـمـ  
سـلـاـ فـيـ السـمـاءـ ؟

ـ قـلـ لـوـ كـتـمـ فـيـ بـيـوـتـكـ لـبـرـزـ الـذـينـ كـتـبـ عـلـيـهـمـ الـقـتـلـ إـلـىـ  
مـضـاجـعـهـمـ .

وـأـنـاـ يـاـ صـدـيقـيـ لـأـرـيدـ - كـاـقـلـتـ - أـنـ أـمـوـتـ ... وـلـكـنـ  
الـمـوـتـ وـالـحـيـاةـ غـيـبـ مـنـ غـيـبـ اللهـ . فـلـاـ يـحـوزـ أـنـ يـكـوـنـاـ فـيـ  
حـسـابـ أـحـدـ يـرـيدـ أـنـ يـؤـدـيـ وـاجـبـاـ ، اوـ يـفـيـرـ مـنـكـرـاـ ، اوـ يـنـهـبـ

او يحيى حق في تجارة ومعاش .

« وما تدرى نفس ماذا تكتب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت » .

قال صاحبه فجأة :

– اسمع أقصى عليك حكاية وقعت ، تؤيدك فيما تقول ...  
في عام ١٩٣٠ كانت هناك أزمة في عالم المدرسين ، أزمة عكيبة . كان المدرسون الذين يخرجون في معاهد المعلمين لا يجدون لهم أماكن في الوزارة ولا في التعليم الأهلي ، إلا القليل . وكان أصحاب المدارس الحرة يستغلون زيادة العرض على الطلب ، فيعرضون على المدرسين شروطاً مجحفة ، منها ضآللة المرتبات ، وحرمان المدرسين من مرتباتهم كلية في أشهر الصيف ... وكان لنا زميل تعرفه – فلان – ذو عيال ، لذلك كان مهموماً : ماذا يصنع بعياله في أشهر الصيف ، وهو لا يستطيع أن يوفر شيئاً من مرتبته الضئيل في أثناء العام ... ومرة كان يتخلل وهو يعرض سبب اكتتابه لرجل ريفي ساذج من بلدتهم . وإذا هذا الرجل الريفي يسأل في استنكار وفي سذاجة كذلك : وهو ربنا يا أخي كان مات ؟

و الساد كلها الصمت ... صمت عميق ... صمت او معنى لا تعب عنه الكلمات ...

• • •

و كنت حاضراً هذا الحوار ... كنت أسمعه عن كتب دون

تجس ولا فضول ، فلقد كان مسماً للقربين في النادي الذي  
يضم مع الصديقين كثرين ... وأدر كني الصمت الذي شمل  
الصديقين .. حقاً . هل أله قد مات ؟ سبحانه وتعالى ... الحبي  
القيمون الذي لا يموت ...

ثم راحت المخواطر تنهال علي: ترى من أين يتلقى المكافعون  
القوة للكفاح ؟

من تقدير الوطن وتكرير الشعب ؟ إنه سند غير مضمون .  
إن الشعوب أحياناً تكون في درجة من الوعي لا تسمح لها  
بالتقدير . بل إنها أحياناً لتحطم من يريدون لها الخير ، وتصفق  
للمهربين .

من الثقة بالنفس والاعتداد بالذات ؟ إنه سند غير مضمون  
كذلك . إن النفس لتهار أحياناً أمام الإغراء وأمام التهديد .  
فإذا ثبتت لها فقد لا تثبت على تذكر الوطن والشعب ، وعلى  
التألوث المزور الذي يمكن أن ينال أكرم الرجال .

إنه لا بد من سند ثابت لا يزعزع . لا بد من الارتكان إلى  
قوة أكبر من قوى الأرض ، ليقف المكافعون أمام التهديد ،  
ولا بد من جزاء أكبر من مطامع الأرض كلها ، ليقف المكافعون  
 أمام الإغراء ، ولا بد من صلة أوثق من صلات الأرض كلها ،  
ليقف المكافعون أمام تذكر الشعوب والأوطان ...  
وعيشاً يبحث المكافعون عن سند في هذه الأرض ، عيشاً  
يبحثون عن قوة في هذه الحياة .

إن هنالك سندًا واحدًا لا يزعزع . إن هنالك قوة واحدة  
لا تهون ...  
إنها العقيدة في الله ...

## أدب الانحراف

كان مقرراً أن يذاع هذا الحديث من محطة الإذاعة المصرية في الساعة الثامنة من مساء ١٠ من شهر أغسطس ١٩٥٤ ، ولكن جو المحطة لم يكن قد تطهير بعد إل أنه الذي يسمح باذاعة مثل هذا الحديث ! إن الكثرين هناك يحبون أنفسهم مقصودين بوصف « العبيد » . كما أن الحياة ما زالت مفروضة على الأصوات الفنية التي تذيع على الناس : « الدنيا سجارة وكأس » ١

أدب الانحراف هو في الفالب . أدب العبيد : عبيد الطفيان ، او عبيد الشهوات . وحين تستدل النفس البشرية لطاغية من طفة الأرض ، او لشهوة من شهوة الجسد ؛ فإنها تعجز عن التخلص في جو الحرية الطليق ، وتلخص بتراب الأرض ، وترتكس في وحل المستنقع : مستنقع الشهوة ، او مستنقع العبودية سواء .

فأدب الانحراف على هذا هو أدب العبودية ، وهو لا يروج إلا حين تفرغ الشعوب من الرغبة او من القدرة على الكفاح في سبيل مثل أعلى ، مثل أرفع من شهوة الجسد ، وأعلى من تلق الطفيان ، لتحقيق مطعم صغير ، او مطعم حقير ... أي عندما

تصبح « الدنيا سجارة و كأس » او تصبح المخطوطة عند الطفاة  
أمينة التمني في دنيا الناس !

عندئذ يظهر في الأمة كتاب ، ويظهر في الأمة شراء ،  
ويظهر في الأمة فنانون .. يلبون هذا الفراغ من المثل العليا ،  
ويعثرون هذا الارتباك في حياة الشهوة او حياة العبودية .  
وعندئذ يستمع الناس الى هؤلاء الكتاب والشراء والفنانين .  
لأنهم يصورو من شاعرهم ، ويصورو أحلامهم ، ويزينون لهم  
الراحة من الكفاح ، والاطمئنان الى الدعة ، والإخلاص الى حياة  
الفراغ والترهل والانحلال .

إن هؤلاء الكتاب والشراء والفنانين ليقومون حينئذ بهمة  
تحذير الشعوب وتنويمها . سواء سبّحوا بحمد الطفاة ، او سبّحوا  
بحمد الشهوات ، فاما حين يسبّحون بحمد الطفاة فهم يزيفون  
الواقع على الشعب ، ويخفون عنها شناعة الطفيان وقبحه ،  
ويفسدون عن الثورة عليه او الوقوف في وجهه .. وأما حين  
يسبّحون بحمد الشهوات ، فهم يخدرن شاعر الشعب ،  
ويسنفدون طاقتها في الرجس والدنس ، ويدغدغون غرائزها  
فتقفل مشفولة بهذه الدغدغة ، لا تفك في شأن عام ، ولا تحس  
بظلم واقع ، ولا تنتقض في وجه طاغية لتناديه : مكانك فتحن  
هنا ! فالشعب المستترق في ذلك الخدر اللزيم ليس هنا ، وليس  
كذلك هناك ؟

وال التاريخ يشهد ؟ أن الطفيان يلي دافئاً لهذا الصنف من  
الكتاب والشراء والفنانين ، ويهيء لهم الوسائل ، ويخلق لهم

الجو الذي يسمح لهم بالعمل : جو الفراغ ، والترف ، والانحلال .  
عندما أراد الأمويون أن يأمنوا أهل الحجاز ، وأن يستبدوا  
دونهم بالملك ، وأن ينحِّوهم عن الحياة العامة ، غرروا سادتهم  
وأشرافهم بالمال والإقطاعيات والهبات ؛ وجلبوا إليهم المفنين ،  
والملهين والجواري ، وزينوا لهم حياة الدعة والترف . واطلقوا  
عليهم الشعرا ، المحسان يدغدغون غرائزهم في القصور بأناشيد  
الشهوة . وفي الوقت ذاته انطلق الشعرا يدحون الملوك الطغاة  
ويسبحون بمحدم ، ويصوغون حوالهم الحالات .

والتاريخ يعيد نفسه . وهكذا كان في حاضر الأوان ..  
كان في مصر طاغية صغير ؛ كان يعبد ذاته ، ويقدس شهواته .  
وكان يريد أن يجعل هذا الشعب إلى عشرين مليوناً من العبيد .  
عندئذ انطلق كتاب وشعراء وفنانون ، يسبحون بمحمد  
الطاغية الصغير ، ويجدون له من دون الله . ويخلعون عليه  
من صفات الله . سبحانه ! ما لا يحروه مسلم أو مسيحي على  
النطق به ، حباء من الله .

وحيثند انطلق كذلك كتاب وشعراء وفنانون ، يسبحون  
بمحمد الشهوة ويعبدون اللذة ، وعندئذ استمع الناس إلى  
أغانيات تقول : « الدنيا سبعة وناس » و « انسى الدنيا »  
وما إلى ذلك من ادعائين وأرجائين .

إن التسبيح بمحمد الطاغية ، والتسبيح بمحمد الشهوة ؛ لم يكونا  
منفصلين ، ولا غرابةً أحدهما عن الآخر .. لقد كانت فتارة

الخلال وأدب الخلال. إنها العبودية ذات طبيعة واحدة: عبودية الشهوة ، أو عبودية الطفيان .

فإذا نحن أردنا أن نكافح أدب الاتخلال ، فيجب أن نكافح أولاً أسبابه في حياة الأفراد أو حياة الشعوب . يجب أن نكافح روح العبودية في الضمير الإنساني ، نكافح عبودية الشهوة فتحرر الضمير البشري من الخضوع لها. فالإنسان إنما صار إنساناً بتعاليه على ضرورات الحيوان . والتربية الدينية هي الطريق الأنجع والاقرب إلى تقوية روح الإنسان ، وتناميه على ضرورات الحيوان .

ونكافح عبودية الطفيان . فالطفيان يحمل معه دائماً تشجيع الاتخلال والدعة والترهل ؟ كي يبقى هو في أمان من انتقاض الكرامة ، وانبعاث الحرية ، والانتقاض على المسف والطفيان .

وشيء آخر غلوكه اللحظة :

لقد عاد الذين كانوا يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويملون له في البغي والعدوان ، ويعبدون اسمه ويخلدون عليه من صفات الله الواحد القهار .. عاد هؤلاء هم بأنفسهم يلعنون الطاغية ، ويطلقون أسمتهم فيه ، ويزفون عنه أردية الجد الزائفة التي ألبسوه إليها .

هذا نفسه لون من ألوان الاتخلال ، وصورة أخرى لأدب الاتخلال . هؤلاء لم يخرجوا في الأولى أو الثانية عن أن يكونوا عبيداً منتعلين . عبيداً يخونون ظهورهم لسوط السيد يلهم به

جلودهم ، فلما ان سقط السوط من يده - رغم أنفه - التقطه العبيد ، وداروا به يبحثون لهم عن سيد جديد ! .. سيد جديد يلهم جلودهم بالسوط ، ليحرقوا له البخور ، وينثروا من حوله الزهور ! .

هؤلاء هم مثالاً لأدب الاحتلال . وهؤلاء هم الذين يجب أن يقصيم الشعب عن الانشاد له في المهد الجديد . عهد العزة والقوة والاستعلاء ، عهد التحرر من عبودية الطفيان ، والتحرر من عبودية الشهوة اللتين قد تجتمعان او تفترقان ، فتمهد إسداها للأخرى ، وتهيئ لها النفوس والأذهان .

أجل يتبغي ألا نسمع هؤلاء العبيد بالانشاد للشعب في المهد الجديد ، ولا أن نغفر لهم تربيع جبهة الأدب والشعر والفن في المستنقع الآسن . فكل غفران هؤلاء هو تمازل عن مبادئ « الثورة الجديدة » ، وكل استغاثة لهم هو خيانة للمثل الجديدة .

ولا يقل أحد : إنهم كانوا معدورين في تربيع الأدب والفن والشعر الإنسانية في ذلك الوحل ، فلقد كان باستطاعتهم أن يسكتوا ، إن لم تبلغ بهم الرجولة أن يكافحوا .

إن الاعتذار لهم على هذا النحو تبرير للجريمة ، التي يمكن اغفارها للتجار لا لقادة الفكر وزعاء الأدب والكتاب والشعراء والفنانين .

إن من حق الثورة علينا ان نتذكر ولا ننسى . نتذكر شناعة الجريمة ، شناعة الأخلاقيات الدنس .

إن الديدان والخسرات التي عاشت طويلاً في المستنقع كفية بتدنيس كل مقدس ، إذا نحن سمعنا لها بالحياة مرة أخرى في الأرض الطيبة ، التي يجب أن تخالو من الديدان والخسرات .

## مواكسن الفارغات .. !!

ترددت طويلا ؟ قبل أن أنفق هذا الحيز من جريدة الدعوة  
ومن وقتي وقلبي ، في مثل هذا الموضوع الذي أتناوله اليوم .  
موضوع الحفنة الفارغة من النسوة المتشدقات !

إن في مصر من الوبيلات ، وفي مصر من الأزمات ، وفي  
مصر من المهموم ، ما ينفي كل ذي قلم جاد ، عن ذلك العبث  
الفارغ الذي لا يتجاوز دغدغة الغرائز وتسليمة الفارغين  
والفارغات !

إن حكاية المرأة والبرلان - في الوقت الحاضر - حكاية  
يموز أن تعرض في « صالة » او في « صالون » ولكنها لا يجوز  
أن تعرض في صحيفة عترمة ، ولا في مجتمع محترم ، ولا في  
وسط ناس لهم ما يشغلهم ، وليسوا في حاجة إلى دغدغة  
غرائزهم في الطريق العام !

إنها حكاية لا تصفى لها المرأة في مصر ، ولا تفكر فيها ،  
ولا تهم بها ، ولا تعرف عنها شيئا . وإذا عرفتها ، فإن كل  
امرأة غير مبتدلة تنفر منها ومن القاءات بها ، ومن طريقة  
عرضها .

لقد ترددت طويلاً ، لأنني أعرف سر هذه المواكب الفارغة .  
أعرف أن القائالت بها حفنة صغيرة قليلة العدد . وأعرف كيف  
تصل هذه الحفنة إلى الحصول على أعمدة من بعض الصحف ...  
أعرف الوسيلة وأعرف الضربة ، وأعرف أنه ليس كل امرأة  
في مصر تقبل هذه الوسيلة ونؤدي تلك الضربة !

إن في الصحافة المصرية - مع الأسف - أصحاب صحف  
وبحريين ومتذوبين « يبيعون مصر » ويبيعون كل مقدسات  
الحياة - إن كانوا يرون أن في الحياة مقدسات - في سبيل  
الحصول على تلك الضربة ، التي أعرف كيف تؤديها مواكب  
الفارغات ، في سبيل الحصول على فراغ من تلك الصحف ،  
ترثى فيه ذلك الضجيج ، الذي لا يعني أحداً في الوقت الحاضر ،  
ولا تغيره المرأة الفاضلة في مصر أي انتباه .

لهذه كله ترددت ، لأن مواكب الفارغات لا تخدعني ، ولا  
تلقي في روعي أنها حركة خطيرة تستحق الاهتمام !

ولكني مع الأسف أنظر فأرى رجالاً لهم مكاتبهم ، و لهم  
وقارهم ، و لهم قيمتهم ، تخدعهم الضجة الزائفة ، فيحسبون  
وراءها خطراً ، وتجوز عليهم الجبلة ، فيحسبون أن القائالت  
بها كثرة ، وأنهن قوة ، وأن اهتمام بعض الصحف بتتبع  
أخبارهن دليل خطورة ... إنهم مع الأسف لا يعرفون كيف  
تسير الأمور داخل جدران هذه الصحف الكبيرة ! إنها قد  
تكون صحفاً ضخمة لامعة ، ولكن الذين يعرفون ما وراء

الستار يدركون ما وراء الضخامة والاتساع . !

على أية حال ، لقد رأيت رجالاً كفضيلة المفتي الحالي وفضيلة المفتي السابق ؟ ورجال لجنة الافتاء ، وجماعة كبار العلماء وأخيراً اتحاد المهنات الإسلامية . رأيت هؤلاء الرجال الأفاضل الكبار يخدعون ، فيحفلون مواكب الفارغات ، يعتمون وينتفضون ويصدرون الفتاوى والقرارات .

يا للأسف . لقد جازت الخدعة على هؤلاء الرجال الكبار .

إنه ما من شيء يهيج الفارغات مثل ما يهيجهن هذا الاهتمام البادي من أولئك الرجال الكبار . وما كانت هذه المفحة الصغيرة القليلة العدد لتطيع - بل لتحل - بثل هذا النجاح الباهر ، الذي يحيط به الرجال ما كان يحيوز أن يلقوها لفترة واحدة تمن عن اهتمامهم بحركة ، لا ترمي إلى أكثر من دغدغة الغرائز ، وإشاع شذوذ خاص .

إن هنالك مريضات كثیرات ومرضى كثیرين . وهنالك شواد من هؤلاء وهؤلاء . فماذا على مصر أن تكون فيها حفنة من هؤلاء وهؤلاء . إن العيادات السينكاروجية أولى بالعناية بثل هذه الحالات الشاذة . أما أن يشغل بها رجال لهم قيمتهم ، وهم كرامتهم وهم مشاغلهم ، لأن بعض الصحف ، أو بعض من يشتفلون في هذه الصحف ، يفسحون صفحات أو أعمدة لهذا المذر الفارغ . فهذا هو ما كان ينبغي ألا يكون .

ولقد جربت جماعة كبار العلماء على وجه خاص ، إن إثارتها

لزوجة ما حول أي عمل تافه ، يمنع هذا العمل قيمة ليست له  
ويبللت الانظار إليه ، ويسبب رد فعل عكسي على وجه  
التأكد .. كم من حركات ، وكم من كتب ، وكم من شخصيات  
وهي من التفاهة والضالة بحيث لا تستدعي كلمة . ولو تركت  
وأشنها قنوت وتدوين دون أن يشعر بها أحد . ولكن الجماعة  
الموقرة منعها الحياة ومنعها الانتباه . وما أن تسكت الجماعة  
الموقرة عنها ، وتترك الضجيج حولها حتى تعود ثانية فتعموت  
وينسها الناس ، لأنها لا تحمل عنصراً واحداً من عناصر البقاء .

إذن ما الذي يدفع هذه الجماعة الموقرة ، ويدفع سواها من  
المهارات ، وسواها من الشخصيات ، ان تكرر التجربة ، لتحصل  
على نفس النتيجة ؟ إن اغفال هذه الحركات المصطنعة ، وهذه  
الكتب التافهة ، وهذه الشخصيات الصغيرة ، هو وحده الاجراء  
الواجب للرد على هذه المحاولات .

إنني لأعرف حادثة معينة عن كتاب ، كانت تكمن وراءه  
عصابة من المبشرين ؟ على رأسهم رجل معروف بعاداته للإسلام ،  
بستر هذا العداء بتظاهره بإنكار الأديان كلها ، وإن كان يعمل  
في جمعية تبشيرية مشهورة ذات طابع ديني ، ونشاط ديني  
خاص ...

أعرف أن هذه العصابة ظلت تجتمع وتتفقن ، لتبث عن  
خير وسيلة لإحداث فرقعة تلفت النظر إلى هذا الكتاب ، الذي  
يؤدي لهذه العصابة غرضاً خاصاً في تحطيم نكارة الإسلام

الأساسية ؟ حق اهتدت الى أن تدس على رجل طيب القلب ،  
شديد الغيرة من يثير حاسته ضد هذا الكتاب ، فيستصرخ  
جماعة كبار العلماء .

وطللت المعاشرة ورأسها المدبر ينتظرون هبة المثلثة حق  
وقدت وكان ما كان !

وعلى هذه التجربة وعلى أمثلها تعتمد مواكب الفارغات .  
ولقد عاد الرجال الكبار فوقعوا في الفخ ، وبارروا بذلك الضجيج  
اللائع ، الذي لا يمثل من نسأه مصر إلا هذه الخفنة من الشوادىء  
إن هنالك آلافاً من النساء والفتيات المثقفات في مصر ...  
ولكن هن خلقاً وهن ديناً وهن كرامة .. وواحدة من هؤلاء  
جيئاً لا تشتراك في مواكب الفارغات ، ولا تقر الضرائب التي  
يؤديتها لينشرن عن أنفسهن في الصحف ، ولا ينظرن لهذه  
الحركة المفتعلة إلا بالاحتقار والاشتذار .

وهذا ما كان ينبغي أن يعرفه من يشغلون أنفسهم بالاهتمام  
والرد على هذه التفاهات .

أم أن هؤلاء الرجال يخشون على الاسلام ؟ !  
هه ! وان هنالك لأخطراراً أخرى حقيقة على هذا الاسلام ،  
وأن هنالك لشكلاً آخرى حقيقة يحمل بها الاسلام ..  
إنها مشكلات الملابين الذين يعيشون في هذا الوادي ، وفي العالم  
الاسلامي كله ، والعالم العربي بوجه خاص .. هنالك حياة هذه

الملايين التي لا يرضى عنها الاسلام . حياة الحرمان والشظف والذل والهوان . الحياة التي لا تليق بانسان يقول عنه ربه : - « ولقد كرمتنا بني آدم » وما هو بكرم في ارض يروجها بدمه وعرقه فلا ينال منها إلا الحرمان !! وللإسلام في هذا كله يحب أن تقال . وهنالك متكلات الاستعمار الذي يحول المسلمين من عزة الأحرار الى مهانة العبيد والله سبحانه يقول : « والله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . وهذا الاستعمار يجد من ينتننا رجالاً يطوعون مصالحتنا لصالحه ، ويربطون أقدارنا بعجلته ، ويطفئون أحقادنا عليه ، ويريدوننا على أن نهادنه ونطمئن إليه .. وللإسلام في هذا كله يحب أن تقال .

وهنالك وهنالك كثير ، ما هو أخطر على الإسلام والمسلمين من قيام شرذمة من الشواد المريضات والشواد المرضى ، بعواكب فارغة ، لا يسدها أحد ، ولا تعبر عن رأي أحد ، ولا خوف منها لو تركت وثأها تحفت وتتزوي وتنوت وفقاً لطبعائushاً الأشياء .

نعم أنا أعرف أن وراء بعض هذه الحركات جماعات تبشيرية ، وأن وراء بعضها أفلام المخابرات الأجنبية ، وأن أموال أفلام المخابرات تساعد بعضها ، ووسائل أفلام المخابرات تفتح لبعضها في بعض الصحف التي تعمل حساب أفلام المخابرات .

أعرف هذا . ولكنني أعرف كذلك أنها حركات جانبيّة ، يراد بها صرف النظر عن الجبهات الحقيقة للكفاح .. فاذا نحن

شفنا بهذه المركبات الجانبية فقد مكتنا للمؤامرة أن تقلع ، وكنا من السذاجة والغفلة في الموضع الذي قدرته مراكز التبشير ورسمته أقلام الخبراء .

فلندع مواكب الفارغات تموت من تلقاء نفسها بالإهمال ، ولنواجه مشكلاتنا الحقيقة ، وهي مشكلات يحفل بها الإسلام وتحفل بها الحياة ، ويحفل بها الناس في هذه البلاد .

\* \* \*

# مبادئ العالم الآخر !

«العالم الآخر» اسم يطلقه الاستعماريون في إنجلترا وفي فرنسا وفي أمريكا على تلك الكتلة الاستعمارية التي تكافح ضد الزمن، وتقايل ضد الإنسانية، وتقاوم ضد الحرية. ثم تطلق على نفسها في النهاية اسم «العالم الآخر» !

و«العالم الآخر» متشغل في هذه الأيام بتمزيق إهاب «الحرية» في تونس ومراكن، وفي كينيا، وفي فيتنام .. وفي كتم أنفاس «الأحرار» في كل مكان؟ لأن رسالة العالم الآخر هي أن يكون حراً في قتل الحرية سبباً يشاء !

و«العالم الآخر» يرتكب من الجرائم ما يقشعر له ضمير البشرية. وذلك رغبة في نقل مبادئ «الحضارة الفربية» إلى القارة المظلمة. وإذا كانت هذه القارة لا تزيد أن تتعرض على بد العثاث التبشيرية، فلتتعرض إذن بالبيف والمدفع والطيارنة والدبابة؟ وهي أقدر ولا شئ على نقل مبادئ «الحضارة» إلى الشعوب المتخلفة !

و«العالم الآخر» يشرد الشعوب من ديارها - على نحو ما فعل في فلسطين - وذلك رغبة منه في إيجاد «لاجئين» يتولى

رعايتهم والعطاف عليهم ، وإقامة الحياة لهم في العراء . فبادىء  
العالم الحر تقتفي المطف على المشردين ، الذين لا وطن لهم في  
هذه الأرض المذابة !

و « العالم الحر » يتساند ويتكاشف في هذه المهام الضخامة .  
أليس الدولار هو الذي يشد من أزر فرنسا في تونس و مراكش  
و فيتنام ، و يشد من أزر الجلتو في كينيا ومصر وفي كل مكان ،  
ويشتري الصحف والأقلام والجماعات والجمعيات الرجال والنساء  
في هذه الأيام ؟ !

وأنا لا أعيّب على « العالم الحر » أن يزق إهاب الحرية ،  
ويقتل يحيث الضحايا من الأحرار ، ويقتل الأطفال والنساء  
والشيوخ في القرى الآمنة ، ويرتكب الجرائم الوحشية التي  
يرتكبها بلا تخرج .. فإن هدفه السامي من وراء ذلك كله واضح  
ـ كما قلت ـ وهو نقل مبادىء الحضارة الغربية بطريقة عملية  
إلى الشعوب المتأخرة ، التي لا يجوز أن تظل متأخرة !

إنني لا أعيّب على هذا « العالم الحر » حرية هذه ، حرية  
وحوش العادة في أن تصنع في العادة ما يؤهلاً لها الظفر والناب .  
فبادىء الحضارة الغربية هي هذه كما كانت ، وكما هي كانتة ،  
وكما ستكون ، حق يأذن الله لها بالفداء .

كلا ! إنما أنا أختلف إلى شعوبنا وحكوماتنا ، ومحكمينا  
وكتابنا وشعراءنا ، وجماعاتنا وجمعياتنا . أختلف إليهم لأرى  
هل سكتت الأبواق التي تهتف بحمد الحضارة الغربية ؟ هل

خرست الألسنة التي تتحدث عن الصداقة الأمريكية والصداقة الإنجليزية والصداقة الفرنسية؟ هل ازروت الجماعات والجمعيات التي تحمل ألوية الصداقة مع «العالم الحر»، وتشيد بيهوده في الخدمات الاجتماعية، والتعليم الأساسي، واليونسكو، والنقطة الرابعة، وسائر الوسائل الاستعمارية الحديثة التي تنخر في صخرة المقاومة الشعبية.

أتفقْتُ لأرى هذه الأبواب لا تزال مفتوحة، ولأرى هذه الألسنة ما تزال طليقة، ولأرى هذه الجمعيات والجماعات ما تزال تتبعج وتعلن عن نفسها بلا حساب، وتنفق الأموال الضخمة في هذا الإعلان، والدولار من خلفها يمكن لها من العمل، ويمكن لها من الإعلان!

إن «العالم الحر» لا يحاربنا بالمدفع والدبابة إلا في فترات محدودة، ولكنه يحاربنا بالألسنة والأقلام، ويحاربنا بالمنشآت البربرية في مركز التعليم الأساسي، وفي هيئة اليونسكو، وفي النقطة الرابعة، ويحاربنا بتلك الجمعيات والجماعات التي ينشئها، وينفع فيها، ويسندها، ويمكن لها في المراکز الحساسة في بلادنا، وأخيراً فإنه يحاربنا بأموال أفلام المخاراث التي تشتري الصحف والأقلام وتشتري الهيئات والجماعات.

وواجبنا نحن أن نكافح، واجبنا أن نكافح الوسائل الاستعمارية الحديثة، ونكافح الهيئات والجماعات والمؤسسات التي تيسر العمل لهذه الوسائل، منها كانت أسوأها بريئة.

ان الاستهمار الروحي والفكري هو الاستهمار الخطير حقاً.  
فاستهمار الحديد والنار يثير المقاومة بطبيعته ، ويؤثر الاعقد  
القومية التي تقلع الاستهمار من أساسه . أما الاستهمار الروحي  
والفكري فهو استهمار قائم لين ، مهدر ، بنوم الشعوب ، ويستل  
أحقادها المقدسة التي يجب أن تتجدد ، وتحتليل ظاراً وشواظاً  
يمحرق ويدمر الاستهمار وعلاءه في يوم من الأيام .

لقد قام بيتنا في وقت من الأوقات رجل يسمى « أمين  
عثمان » يحمل لواء الصداقة الأنجلو-أمريكية في فجور وتبجح ، ويؤسس  
جمعية نادي العلمين . كما قامت في ظله « جماعة اخوان الحرية » .  
ولقد هرعت الشخصيات الكبيرة يومها الى أمين عثمان وجماعته .  
الشخصيات المتوزرة التي تشم رائحة الحكم من عشرات الأميال  
ولكن حاسة الشعب السليمة ظلت تفتر من الرجل وج ساعته  
على الرغم من انضمام « الشخصيات الكبيرة » ، لأن الشعب  
يعرف قيمة هذه الشخصيات ودراهمها !

والى يوم يقوم رجل آخر بدور أمين عثمان ، يقوم به في محيط  
آخر وتحت عنوان آخر . وتهرب الشخصيات الكبيرة ذاتها الى  
الانقضاض اليه . وما من شك في ان الأمة بحاجتها السليمة ستظل  
في معزل عن المحاولة الجديدة . ولكن الاطمئنان الى حالة  
الأمة لا يجوز أن يقصد بالشباب الوعي عن التنبية الى هذا الخطير  
الجديد ، والى التحذير من وسائله الناعنة وعنوانه البريء .

إن الحرب المقدسة مع الاستهمار اليوم ؛ تقتضي تخلص ضمائر

الشعوب أولاً من الاستهمار الروحي والفكري ، وتحطيم الأجهزة التي تقوم بعملية التخدير ، والخذر من كل لسان ومن كل قلم ومن كل جمعية أو جماعة تهادن معسكراً من معسكرات الاستهمار ، التي ترتبط جميعها بصلة واحدة ، ومبادئ واحدة : مبادئ «العالم الحر» ، ومصالح العالم الحر !

★ ★ ★

في الغرب يقوم «العالم الحر» ، وفي الشرق تقوم «الديمقراطيات الشعبية» ونصيب هذه الديمقراطيات من أسلحتها كتصيب العالم الحر من أسلحته سواه بسواء !

فالديمقراطيات الشعبية ؟ هي الديمقراطيات التي تحكم حكماً ديككتوريأً مباشراً ، تخرس الحساسية الرهيبة ، ولا تسمع فرد من الشعب فضلاً عن الشعب كله أن يفكر بحرية ، ولا أن يفكر في الحرية ذاتها بحال !

وإذا كان للعالم الحر أجهزته وأفلامه وأسلته ، فإن للديمقراطية الشعبية أجهزتها وأفلاطها وأسلتها . وكلها تعمل في بحثنا العربي والإسلامي . وكلها تستحق منا المكافحة كأننا نكافح الاستهمار . إلا أن الاستهمار يحتم على صدورنا اليوم ويخنق أنفاسنا بعنف . والواجب يقتضينا أن نوجه المقاومة الإيجابية للاستهمار ، والمقاومة الفكرية للديمقراطية الشعبية !

والراية التي تجمعنا لنسكافح ... هي وحدتها راية الإسلام . إن بعضنا يؤثرون أن يتجمعوا تحت الرأية العربية ، وأنا

لا أعارض في أن يكون هذا تجمعاً وقتياً يهدف إلى تجمع أكبر منه ، فليس هناك تعارض جدي بين القومية العربية والوطنية الإسلامية ؛ إذا نحن فهنا القومية العربية على أنها خطوة في الطريق. إن أرض العرب كلها جزء من أرض الإسلام ، فإذا نحن حررتنا الأرض العربية فأنتا تكون قد حررتنا بضعة من جسم الوطن الإسلامي ، تستعين بها على تحرير سائر الجسد الواحد الكبير .

والمهم أن تجتمع اليوم وتنسند كلاً يتساند العالم الحر ضدَّه ، فكل بلد صغير لا يستطيع وحده أن يكافح عالماً . والسياسة القصيرة النظر التي تزيد أن تحصرنا في حدودنا الجغرافية المصطنعة هي سياسة خفاء ، فالعالم يسير نحو التكامل في الشرق والغرب سواء ، ومن واجبنا أن تكمل على الأقل شيئاً مع منطق العصر ، إن لم يكن شيئاً مع منطق الإسلام .

والجامعة الآسيوية الأفريقية تحاول أن تكون كتلة معايدة ، ولا ضير من السير معها ، وإن كنت أنا شخصياً لا أرى أن هنالك مقومات حقيقة ودائمة لقيامها . فهنالك تيارات مختلفة تتعارض فيها . والمصالح التي تربط بينها اليوم مصالح مؤقتة . أما الكتلة التي يمكن أن تقوم على أساس حقيقة وعية ودائمة فهي الكتلة الإسلامية ، وهي آتية لارتب فيها ، على الرغم من جهود « العالم الحر » وجهود « الديمقراطيات الشعبية » فلننجل بقيامها في سند الحقيني الوحيد .

## مشكلات في صور الإسلام

كتب الكاتب الكبير الاستاذ « سيد قطب » في مقالة « مبادئ العالم الحر » في عدد ماضى من « الرسالة » يقول : « إن بعضنا يؤثرون أن يتجمعوا تحت الرأية العربية .. وأنا لا اعارض في أن يكون هذا تجمعاً وقتياً يهدف إلى تجمع أكبر منه » فليس هناك تعارض جدي بين القومية العربية والوطنية الإسلامية إذا نحن فهمنا القومية على أنها خطوة في الطريق » .

ولكن هل يفهم « القوميون » القومية على أنها خطوة في الطريق ، طريق الوحدة « الإسلامية » الكبرى ؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن نوجهه إلى أنفسنا ، وهو السؤال المهم في الموضوع .

الواقع أن « القوميين » لا يفهمون القومية هذا الفهم ، ولا يعلمنون لها على هذا الأساس ، عندما يسعون ليمكروا لها في عقول الشباب وقلوبهم ، وليجعلوها قوة سياسية تتحكم بعصابات البلاد العربية .

فالاستاذ ساطع الحصري - وهو أبرز مفكري القومية

العربية – يقول في كتابه «العروبة بين مؤيديها ومعارضيها» ما معناه : (إذاً ليس الكتاب تحت يدي الآن لاتقل عنه كلامه بالنص) : ان الذي نفتر «أنطون سعاده»<sup>١١</sup> من «العروبة» وجعله يفهم منها النكوص الى الوراء والبداؤة والجمالية والعصبية الطائفية ، إنما هو افتتان العروبة في ذهنه بالإسلام ! .. ولو أنه عرف أن «العروبة» شيء منفصل عن الإسلام غير مرتبط به لما حل عليها هذه الملة ولا أتتها بالرجمية والبداؤة والتأخر والتعصب !

هذا هو مؤدي كلام الاستاذ «المحصري» وأن لم يكن هو نفسه المحصري .

وهو كلام يعبر عن عقيدة أكثر «القوميين» وكم فرأت بعض قادة «أحزابهم» : أن الإسلام ليس حاجة العرب في زمان معين ومكان معين ، وقد اختلف الزمان وتبدل المكان ، فلا يجوز أن تخيب «الطاقة» العربية في عقائد وفي قيم ونظم كانت ملائمة لسكان جزيرة العرب وما حولها قبل أكثر من عشرة قرون ، أي قبل أن تسع للناس رقعة الدنيا بما كشف منها ، وقبل أن يتقدم الناس بالتفكير والعلم والحضارة .

(١) هو منشئ الحزب القومي السوري ، وداعم عبادته ، ومنها : « سوريا للسوريين والسوريون أمة ناتمة » يريد أنهم ليسوا جزءاً من الأمة العربية فلا يقبل بidea الوحدة العربية بل يرفضه وينهي على ما يسمونه «العروبة» .

فالقوميون إذن لا يفهمون «القومية العربية» الفهم الذي يشرطه الكاتب الكبير ، فلا يمكن بالتالي أن تكون قوميتهم خطوة في الطريق .

والاستاذ « سيد قطب » يقول : « إن أرض العرب كلها جزء من أرض الاسلام ، فإذا نحن حررنا الارض العربية فإننا تكون قد حررنا بضعة من جسم الوطن الاسلامي ، نستعين بها على تحرير سائر الجسد الواحد الكبير » .

وهذا القول حق عندما نحرر « الارض العربية » باسم « الاسلام » ، وعندما نقيم فيها على أسمه البناء . اما اذا حررناها باسم « القومية » وأقنا فيها البناء على غير الاسس « الاسلامية » على « الاخلاص » – إن جاز أن يقوم على الاخلاص بناء ! – وعلى هذه النظريات الدخيلة التي يدعون إليها الداعون هذه الأيام .. فإننا لن تكون أبداً قد حررنا « بضعة من جسم الوطن الاسلامي نستعين بها على تحرير سائر الجسد الواحد الكبير » ؟ بل تكون قد أخذنا على أنفسنا سيل هذا التحرير ، وبدأنا بقدمات لا تؤدي إلا إلى عكس المنشود .

يجب أن يكون تصورنا « قاماً » هدفاً بعيداً منذ البدء ليكون طريقنا عليه مستقيماً لا نضل عنه ولا ننجور .

يجب أن تكون في ضمائرنا « الوحدة الاسلامية » ونحن نعمل لتحقيق « الوحدة العربية » على أنها خطوة في الطريق .

وعندما نعمل لتحقيق « الوحدة العربية » و « الوحدة الاسلامية » من بعد أو من قبل ، يجب أن يشخص أبداً في خياله و يتمثل لأنظاره ويستولي على تفكيره و يسيطر على أعمالنا هدفنا الأبد وهو « التسكين لرسالتنا الاسلامية » تحقيق للناس بها الخير في الأرض ، و تستنزل لهم بها الرحمة من السماء .

محمد عاصم

## بعد تعليق

إن النص الذي نقله الأخ محمد عاصم من كلام « ساطع المصري » يصور به فكرة دعوة القومية العربية – إن كان كما نقله – فهو لا يحتاج إلى تعليق .. إنه يكشف عن جهل عميق بكل شيء ، سواء عن الاسلام أو عن العروبة . ومن العيب أن تتفق لمناقش مثل هذا المستوى من الجملة . والذين يفهون الاوليات من الاسلام أو من العروبة يرون – كما رأيت – أن الامة العربية ليست سوى بضعة من جسم الوطن الاسلامي ، ولن تكون إلا كذلك في يوم من الأيام ، على الرغم من هذه الفقاعات التي تظهر بين الحين والحين !!

سيد قطب

## الإسلام والاستعمار

في الجزائر يعتبر تعلم اللغة العربية والدين جريمة يقبض على فاعلها كما يقبض على الصوص وقطعان الطريق ، وينادي عليه في قفص الاتهام معهم ، ويختبر كذلك معهم في سجن واحد ا وفرنسا – كما يقول كتابنا المائعون – هي أم الحرية ، وهي التي علمت العالم كنه مبادئ الحرية والإخاء والمساواة ا

وفي جنوب السودان يعتبر وجود مسلم واحد – ولو كان ذاهباً للتجارة – خطراً عظيماً تجند له بريطانيا قواتها ، وترصد له الادارة في السودان جهودها ، ويقبض عليه ليمر الى الشمال ، كي لا يقع الأهالي المسالون فريسة للإسلام ! ذلك بينما تعبأ كل قوى الادارة هناك للغاية التبشير والمبشرين ، ومنهم التسليات من كافة الأنواع !

والإنجليزرا – كما يقول كتابنا الحونة – هي الدولة التي لا تتدخل في الحرية الدينية .

ومن وراء الاستعمار البريطاني والفرنسي ؟ تقف اميركا بدولاراتها وطياراتها ودباباتها وقابليها الذرية ؟ تحمي الاستعمار

في كل مكان ، وترد له هيبة الصائمة ، وقتل المواطنين الأحرار الذين يدافعون عن بلادهم ، وتخذل قضايا الحرية في هيئة الأمم المتحدة ، وفي مجلس الأمن الدولي .

وأمريكا - كما يقول كتابنا المرتزقون - هي حامية الحرية « في العالم الحر » الذي يتحدثون عنه ولا يعرف العالم له وجوداً. إن الاستعمار يرصد للشعوب التي تطلب الحرية كل قواه ، ولكنه يختص الاسلام وببلاد الاسلام بمعناية فائقة منذ عهد بعيد . ولقد كان يختص الاسلام بمعنايته حقاً قبل أن تهب الشعوب الاسلامية لطالب بحرياتها المسلوبة . وذلك أن الاستعمار لم يفل لحظة واحدة عن القوة الكامنة في العقيدة الاسلامية ، وعن خطر هذه القوة على كل استعمار أجنبي .

إن خطر القوة الكامنة في العقيدة على الاستعمار ينبع أولاً ، من أن الاسلام قوة تحريرية هائلة ، وروحه تأبى كل اعتداء على الحرية ، وتقاوم هذا الاعتداء بصلابة : مقاومة مقاومة إيجابية تهون في سيلها الارواح ، وتجون فيها البذل والتضحية . فإذا ما استيقظت روح الاسلام في أمة من الحال أن تتخلى عن حريتها ، ومن الحال أن تسكت عن الصراع الاجماعي ، الذي يحطم قواعد الاستعمار تحطيمها .

كذلك ينبع الخطر على الاستعمار في العقيدة الاسلامية ، من أنها عقيدة استعلاء واعتزاز وكبرباء . فالسلم حين تستيقظ فيه روح الاسلام ، لا يطيق أن يعلو عليه أحد ، ولا يطيق أن

يذل واحد ، ومن ثم ينظر الى الاستعمار الاجنبي نظرته الى المذكر الذي تتحمّل ازالته ، ويتحمّل كفاحه ، تحقيقاً لعزّة الاسلام ، وصيانة لكرامة المسلمين ، وابتعاداً لمرضاة الله .

ومنه منبع ثالث للخطر على الاستعمار من العقيدة الاسلامية . أنها عقيدة تجعل من الوطن الاسلامي كله وحدة : من اعتدى على شبر منها فقد اعتدى عليها جميعاً . وعندئذ يتحمّل كل مسلم في أطراف الارض كهباً أن يعلن الجهاد لردّ الخطير عن ذلك الشبر الواحد من تلك الرقعة الاسلامية العربية .

وما من مسلم في أقصى الارض ، ما من مسلم حق ، يسمع أو يعلم أن عدواً داوس على شبر من أرض الاسلام ثم لا ينسلب نفسه للذود عن أرض المسلمين وكرامة المسلمين .

وهنا يكمن الخطير الاكبر على الاستعمار ، خطير التجمع والتكتل تحت لواء واحد للمقاومة والكفاح ، بروح التضحية والوفاء .

ومن هنا كان الاستعمار - وما يزال - يخنق الرقعة الاسلامية بعنابة خاصة ، تتساند الدول الاستعمارية كلها في كفاح كل حركة من حركات التحرير في العالم الاسلامي . ثم تضم روسيا السوفيتية وكتلتها الى دول الاستعمار الغربي ، كلما كانت القضية قضية قطر مسلم ، على ما بينها وبين الكتلة الغربية من شفاق وعداء .

إن روسيا السوفيتية وكتلتها الشيوعية ، سارقة للوطن

الاسلامي في القركستان ، والقرم ، وبوغسلافيا وما إليها . شأنها شأن الكتلة الغربية في الشمال الافريقي ووادي النيل ، ومن ثم فإن مصلحة اللصوص تلتقي كلما كانت القضية قضية قطر اسلامي ، ثم تفترق بعد ذلك ، فتبليغ حد الحرب الباردة أو الحرارة عند الاقتضاء .

وعلى الرغم من أن الكتلة الشيعية تناصب المسلمين العداء ، شأنها شأن الكتلة الغربية على السواء ، فإن الوطن الاسلامي بحكم روح التحرير الكامنة في الاسلام ، يجب للكل حركات التحرير - ولو كانت شيعية كحركة فيتنام وحركة كورية - ان تنتصر على الاستعمار الغربي البغيض ؛ وأن يتقلص ظل الاستعمار الاصد من الارض كلها ، لأن الاسلام بوصفه أكبر ثورة تحريرية .

وكل ما يريدونه الاسلام في الارض ، أن تترك للناس حرياتهم كذلك من ناحية حرية الدعوة وحرية العقيدة . لذلك هو بخاصم النظام الشيعي القائم ، الذي يحرم الناس حرية التفكير ، وحرية الاعتقاد وحرية الدعوة الى العقيدة التي يريدون . وبذلك يحرمهم أخص خصائص الإنسانية التي يحرص الاسلام على تحقيقها ، ويعبرها النظام الشيعي القائم كل الإهانة .

على أية حال نعود الى الاستعمار ، فهو عدونا الأول ، عدونا الواقعي الذي يجب أن توجه إليه بأحقادنا المقدسة ، وأن نكافحه بلا هوادة ، لأنه هو يكافحنا بلا هوادة ، ويرصد لنا

من قواه ما لا يرصده للشيوعية ذاتها وهي عدوته الظاهره .  
وهو لا يرصد لنا قوة الحديد والنار وحدها ، بل إنه يضع  
لنا الفخاخ الاقتصادية ، على نحو ما تحاوله أمريكا في هذه  
الايم من عقد المعاهدة التجارية الرهيبة ، التي عرضتها في العهد  
الماضي ، ثم عادت اليوم تحاولها من جديد .

وهي المعاهدة التي تحتم علينا قبول البضائع المستوردة من  
أي بلد من بلاد العالم ، ما دامت تحمل الشعار الامريكي .. أي  
أن المصانع الامريكية في اسرائيل تفزوونا في عقر دارنا ونعن  
لا غلوك لها ردا .. وكذلك تفل يدنا عن الاحتفاظ بالعملة التي  
نزيد الاحتفاظ بها ، لأنها تبيع للشركات الامريكية والرعايا  
الامريكان في مصر أن يخرجوا نقودهم بأية عملة كا يشاءون .  
وذلك كله في مقابل أن يكون لنا -- نحن المصريين --  
حقوق مماثلة في الارض الامريكية .

أي واقه . مقابل أن تكون لنا في أمريكا شركات ومصانع  
وموظفون وأموال .. وأن نستمتع بالحربيات والضمادات التي  
يتمتع بها الرعايا الامريكان في بلادنا .. تماماً كما كان لنا حق  
استخدام الموانئ والمطارات وطرق المواصلات في قلب الجلالة  
بحكم معاهدة الشرف والاستقلال في يوم من الايام . لو لا أنها  
لوه الحظ -- قد الغيت هذه المعاهدة ! ومن يومها وأساطيلنا  
البحرية والجوية في أوروبا لا تجد لها مرسى ، لأننا قد فقدنا حق  
استخدام المطارات والموانئ الانجليزية ..

ونحن على يقين أن العهد الجديد لن يقبل هذا الفح الامريكي الرهيب ، لأن العهد القديم على كل ما كان فيه من تلوث لم يستطع احتواء هذه التبعة الثقيلة . ولكن هذا اليقين لا يحوز أن يقمنا عن التنبئ الى مثل ذلك الخطر ، وبخاصة ونحن نعلم أن الاستعمار يستعين داعماً بالاجهزة الداخلية التي تتالف من جماعات وشخصيات تحمل في الفالب طابعاً بريئاً .

ولقد عرفنا من قبل أمثال جماعة اخوان الحرية والجمعية المصرية الانجليزية ، وجمعية نادي العلمين وجمعية نادي الجزيرة . وعليينا اليوم أن نعرف أن جمعية الفلاح ليست إلا واحدة من هذه الجمعيات البريئة .

• • •

# فرنسا أم الحرية !

هذه هي فرنسا .. أم الحرية .. كما يقول العبيد الكثيرون  
المنتشرون في مصر والشرق العربي !

هذه هي فرنسا بلا تزويق ولا تتميق . فرنسا كما هي بدون  
حالات مزورة ولا دعایات براقة . فرنسا كما تصفها أعلامها ، لا كما  
تصفها الأقلام الخائنة ، والآلسنة الخادعة ، أقلام العبيد ، وألسنة  
العبيد ، المنتشرين في مصر والشرق العربي !

هذه هي فرنسا .. عصابة من قططاع الطرق .. عصابة  
متبررة متوجهة ، تترصد للزعماء السياسيين فقتلهم غيلة وغدرًا ،  
وتشل يحيتهم في نذالة وخسة .. ثم تقف لتتبعج على ملأ من  
الدنيا كلها : بأن هذه الجرائم مسألة داخلية لا يجوز أن يسألها  
أحد عنها !

هذه هي فرنسا تتفنّف كاللبؤة ، فها يقططر من دم الزعيم البطل  
«فرحات حشاد» ، والدنيا كلها ترقبها وهي تلغ في الدم ولكنها  
لا تخجل ، لأن فرنسا «الحرة !» قد ضيّعت دم الحياة ، وهي  
تلغ في دم الشهداء !

هذه هي فرنسا التي تهجد بذكرها، وسبع بمحدها وصلَّى،  
رجال من يقال عنهم أو عن بعضهم أنهم من قادة الفكر !  
ومنذ قرن وربع قرن، وفرنسا قاتل مسرحيتها الوحشية هذه  
على مسرح الشمال الإفريقي، منذ احتلالها للجزائر في عام 1830،  
وفي خلال تأثير هذه المسرحية البشعة كان العبيد ينشدون  
نشيدم الدائم باسم فرنسا، فرنسا حامية الحرية ...

وفرنسا تكرم هؤلاء العبيد الذين يخدعون شعوبهم، ويخونون  
أوطانهم، ويخذرون جاهيرهم، ويسخون عن فم فرنسا الفنر  
آثار الدماء ... ومن العجب أننا نحن أيضاً كنا نكرهم كلما  
كرمتهم فرنسا، وترفع أقدارهم كلما رفعتها فرنسا، هي، لهم  
المناصب والماكز، التي تذكرهم من خدمة أمتهم فرنسا !

ونبحث اليوم عن هؤلاء العبيد، من قادة الفكر، نبحث  
عنهم ليقولوا كلمة واحدة عن الجريمة الوحشية الجديدة، فلا نجد  
لهم أثراً، لا يثور ضمير واحد منهم فيقول كلمة، ولا يرتعش  
قلب واحد منهم أمام الجثة المشوهة المعامِل، جثة البطل الذي  
جربت فرنسا عن مواجهته، فقتلتة غيلة وغدرًا !

• • •

إن جريمة فرنسا الجديدة هي جريمة الضمير الغربي كله.  
فرنسا لا ترتكب جرائمها إلا وهي منسوبة الظاهر بالمعسكر  
الغربي، لا ترتكبها إلا وهي تستند إلى الجيلز وألى أمريكا.  
إن الضمير الغربي كله - بكل مآفيه من وحشية عبقة

الجدور - ليتمثل بوضوح في تلك الجريمة. إنها جريمة الديقراطية، جريمة «العالم الحر» جريمة الحضارة التي يدعونا العبيد الكثيرون - المتشرون في مصر والشرق العربي - من قادة الفحكر أن ترك عقائدها وتقاليدها وتاريخنا وأمجادنا، لتلبت وراءها، كيما نرتقي ونتحضر، ونلتحق بركب العالم المتحضر ! العالم الذي يقتل الزعماء الوطنيين غيلة وغدرًا، ويقتل يختهم في نذالة وخسة !

إن هذا الضمير الذي أوحى لفرنسا بأن تقتل الزعيم التونسي وقتل يخته، هو ذات الضمير الذي أوحى إلى الجلالة أن تلقي بالجرحى من القذائيين في القناة إلى الكلاب المتوجحة، لتنشم وهم بعد أحياء، لا يملكون دفعها عن أجسامهم لأنهم جرحى .

وهو ذاته الضمير الذي شاهدته بعيوني في أمريكا، والبيض يتجمعون على شاب زنجي يغفرده، ليضربوه ويركلوه ويدهسوه بكعبوب ناعالم حق يخلطوا عظمه بالحeme، في الطريق العام، والبوليس لا يحضر أبداً إلا بعد إقام الجريمة، وتفرق الجماهير المتوجحة المائحة كوحوش الغابة .

إنه هو هو ضمير العالم المتحضر، العالم الذي تسبح بمحده أفلام خائنة، وألسنة خادعة، ومن هذه الأفلام أفلام قادة الفحكر . ونحن ببلادة منقطعة النظير نصفق للخونة ونهاض للخادعين، ونرفعهم مكاناً علينا . . . وهي لهم المناصب والماضي التي يتمكرون بها من تنفيذ جريمة الخداع والخيانة !

ولدينا في مصر والشرق من عبيد فرنسا من يقولون لنا :  
لا تكتبوا هكذا ، للا نخسر صداقه فرنسا ونحن - كصريين -  
لا بد أن نلاحظ مصالحنا القومية ، وألا نندفع مع حماسة العاطفة !  
إلى هؤلاء العبيد أوجه سؤالي : متى كانت فرنسا صديقتنا ؟  
متى وقفت في صفنا مرة واحدة في التاريخ كله ؟ وفي أي مظاهر  
من المظاهر تثبت لنا صداقه فرنسا ؟

فرنسا هي التي قادت الحملات الصليبية على الشرق العربي  
منذ تسع قرون ، وكانت جيوشها الصليبية أشدّ جيوش  
الصلبيين ضراوة وإجراماً وفتكاً .

وفرنسا هي التي خانت مصر في قناة السويس ، فاستغلت « محمد سعيد » والي مصر بطبق من « الماكرونة » ، بواسطة ديليسين المحتال الذي تحفظ مصر بتمثاله على مدخل قناة السويس ، الى هذه اللحظة . وسرقت ملكية القناة من مصر ، وقد أنسأتها في أرضها ياباها وعمالها ونصبها من الربح ، وحقها في الإشراف . وهي تعمل اليوم جاهدة لإنقاذ سرقة القناة في نهاية مدة الامتياز بوسائل شق .

وفرنسا هي التي خانت عراقياً ، ومهدت للاحتلال الإنجليزي  
ومعركة التل الكبير ما كانت لتقع لو لا خيانة ديلبيس لعراقياً ،  
وما كانت الجيوش الإنجليزية بقداره على هزيمة مصر في معارك  
تقع من الغرب في الدلتا . ولكن الخيانة الفرنسية قد آتت  
ثمارها ، وما زلت نعملك هذه الشمرة المرة حتى يومنا هذا ..

وفرنسا هي التي قاومت كل المقاومة إلقاء الامتيازات في مؤتمر مونتريه . وعوقلت جهود مصر في إزالة آثارها النهائية . وكانت تعض على هذه الامتيازات بعنف ، فلا تدعها تفلت إلا بعد معارك حامية في المؤتمر لا تزال نذكرها .

وفرنسا هي التي وقفت تسد إنجلترا بعنف في مجلس الأمن ضدنا ، وكان لسان مندوها في المجلس هو أقسى الآلة علينا ، وقد تجاوز حد الجدل السياسي إلى الوقاحة والسباب والتهكم . وهذه عاضر مجلس الأمن بخصوص قضية مصر القومية الكبرى تشهد ب مدى صداقتها فرنسا !

وفرنسا هي التي تحارب ثقافتنا ، وكتبتنا وصحافتنا في الشمال الأفريقي كله . ولقد عجز الدكتور طه حسين وهو في وزارة المعارف – وهو أصدق أصدقاء فرنسا – أن يفتح مهداً لمصر في الجزائر ، أو حق في طنجة التي تحكم دولياً ، بسبب تعصب صديقه الكبيرة فرنسا !

وفرنسا هي التي تحارب جلاء الجيوش الإنجليزية الآت عن مصر ، وتكافح كل حركات التحرير لا في الشرق العربي وحده ، بل كذلك في جميع أطراف الدنيا – ومع هذا كله فإن فرنسا هي حامية الحرية الكبيرة !

هذه هي صيغة « صداقتها فرنسا » فأي سطر فيها هو الذي تخشى أن نشوهد أو نطمئن ، ومتى وأين وكيف كانت هذه الصداقات التي تخشى عليها ؟

وبعد، فإن الكلمات لم تعد تجدي. إنه لا بد من إجراء يتخذه كل بلد عربي - بل كل بلد إسلامي - لكافح فرنسا، وكفاح «العالم الاستعماري» الذي يسندها.

وأول إجراء في نظري يجب أن يتخذ هو إقصاء المستعين بمحم هذا العالم من حياتنا الفكرية والشعرية، إن لم يكن إقصاؤهم من حياتنا السياسية والاقتصادية. لأن قوى الاستعمار تندم، وتكن لهم من وظائف الدولة وفي الأسواق ودوائر الاعمال.

إنه لا بد أن تتحرر فكريأً وشعوريأً من عبادة «العالم الحر»، العالم المتحضر، العالم الذي يفتال الزعماء ويمثل يحيثهم في نذالة، والذي يلقي بالجرحى إلى الكلاب المتوجحة لتنهشها، والذي يتجمع كالوحش الجائع على شاب ملؤن فلا يترکه حتى الدماء الغزيرة تتفجر من فمه وأفنه ورأسه.

وحيث تتحرر مثاعرنا من عبادة هذا العالم المتعفن، وحيث تتجمع أحقادنا المقدسة ضد هذا العالم، حين نسي ونصلح وهذه الأحقاد المقدسة تفلي في عروقنا.. حينئذ سنعرف كيف تخلص من العبودية. إن عبودية الضمير هي التي تخضتنا. فلتتحرر منها أولاً، ولنخرس كل صوت، ولنكر كل قلم يحدثنا حديث العبيد، العبيد الكثيرين المتشرين في مصر والعالم العربي.

## يا بحر احات الوطن الإسلامي !

تمثل فرنسا على مسرح الشمال الأفريقي في هذه الأيام أبغض مأسى « الرجل الأبيض » حتى إذا تحركت الكتلة العربية الآسيوية لتحول بين فرنسا وبعض شناعاتها في هذه الرقعة من الأرض ، وقف مسيو روبيرو شومان وزير الخارجية الفرنسية ينذر وزير الخارجية الأمريكية ؟ بأن فرنسا سترفض التصديق على معاهدة الصلح الالمانية وتوقيع ميثاق الدفاع عن غرب أوروبا ، كما ستنسحب من حلف الأطلنطي ، إذا أيدت الولايات المتحدة التونسيين والراكيشين في الأمم المتحدة .

وحق لفرنسا أن تهدد أمريكا ، فهي تعلم أن أمريكا غير جادة في نصرة قضية تونس وراكيش ، ولكنها تضحك على ذقون العرب والمسلمين ، حين تظاهرة بتأييدهم في قضائهم ضد الاستعمار الأوروبي . ولو كانت جادة لوجدت الوسيلة ، فإن فرنسا والإنجليز لا تعيشان عالة على أمريكا . ولو أمسكت عنها المدد لأفلستا ، فهي بذلك أذن أن تصنع شيئاً لو أرادت ، ولكنها لا تزيد .

واللعبة الأمريكية في موقفها هذا مكتوفة ، إنها تدع فرنسا تهدد وتخضع لهذا التهديد الوهمي ، الذي ما كانت فرنسا تقدم

عليه لو أنها تعلم أن أمريكا صادقة النية . كذلك تستخدم دول أمريكا اللاتينية للغرض نفسه ، فتوحي إليها أن تعارض أي نص قاطع يؤكد حقوق التونسيين والراشبيين في الاستقلال ، ليكون ذلك تكاء لا أمريكا في التراجع !

وقد صرخ رئيس الوفد الاندونيسي ، بأن أعضاء المكتبة العربية الآسيوية التي تعمل لوضع مشروع قرار بتشكيل لجنة معظم أعضائها منهم ، قد تخلوا عن الفكرة الأولى التي تقضي بأن يتضمن مشروع القرار فقرة تؤكد حقوق التونسيين والراشبيين في الاستقلال ، وذلك خشية عدم تأييد دول أمريكا اللاتينية للقرار ، إذا قدّم متضمناً هذه الفقرة .

وراء هذا كله أمريكا . فقد صرخ متر فيليب جيسوب رئيس الوفد الأمريكي في هيئة الأمم : بأن الولايات المتحدة تحارب إقناع المكتبة العربية الآسيوية بعدم التطرف في عداء فرنسا ، وأنه « سعيد » لأن أعضاء هذه المكتبة قد بدأوا يترجمون عن موقف التطرف الشديد في عدائهم لفرنسا ! وقال كذلك ، إن الولايات المتحدة ت يريد أن يكون مشروع القرار الذي سيقدم إلى الأمم المتحدة معتدلاً بحيث يقتصر على مطالبة الفريقين باستئناف المفاوضات .

هذه هي المأساة التي تثل في هذه الأيام ، على مسرح هيئة الأمم بمعونة أمريكا والاستعمار الأوروبي . ومع ذلك فنحن ببلادة منقطعة النظير نقف لنتظير العون الأمريكي الذي يخلصنا

من الاستهار الأوروبي .

إننا ننسى أن العالم الأوروبي والعالم الأمريكي يقفلان صناعاً واحداً بازاء العالم الإسلامي . والروح الصليبية القديمة هي هي ما تزال . إننا ننسى هذا ، لأنَّ فينا مغفلين كثيرين ومغرضين كثيرين يضللونا ، ويتشارون دعاية مغرضة عن رغبة أمريكا في إنصاف الشعوب المستعبدة ، ومساعدة الشعوب المتأخرة . ومع أننا ذقنا الويل من أمريكا في فلسطين ، فإنَّ أجهزة الدعاية الأمريكية تعمل . و « جمجمة الفلاح » تظهر في الميدان ، وتقوم بواجبها .

إن جراحات العالم الإسلامي تبصُّ بالدم في كل مكان ، وأمريكا واقفة تترفرج ، بل تساعد المستعمر الأوروبي القذر . ومع هذا توجد صحف ويوجد ناس : ناس مصريون ومسلمون ، يتسمون بأحد ، وحسين ، وحسن ، وعلي ... يتحدثون عن ثمال الحرية في ميناء نيويورك ، وعن فرنسا أيام الحرية .

وأحياناً يسأل لك بعض المتخاذلين أو بعض المدسوسين : وماذا نملك أن نصنع ونحن ضعفاء ؟

ماذا نصنع ؟ إذا لم نستطع أن نحطم الكف الذي تند إلينا بالسوء ، فلا يجوز أن نقبلها ونحن نقبل الكف الذي تصفعنا .

إذا لم نستطع أن نصنع شيئاً ، فلنحتفظ على الأقل بأحقادنا المقدسة ، ولنورتها أبناءنا ، فقد يكونون في ظروف تكتّفهم من رد الجميل للرجل الأبيض .

إن الرجل الأبيض يدوسنا بقدميه ، بينما نحن نحدث أولادنا  
في المدارس عن حضارته ، ومبادئه العالية ، ومثله السامية .  
إننا نغرس في نفوس أبنائنا عاطفة الإعجاب والإحترام  
للسيد الذي يدوس كرامتنا ويستعبدنا .

فلتحاول أن تغرس بذور الكراهية والخذل والانتقام في  
نفوس الملايين من أبنائنا ، وتلهمهم منذ نعومة أظفارهم أن  
الرجل الأبيض هو عدو البشرية ، وأن عليهم أن يحظوا في  
أول فرصة تعرض ، ولتكن واثقين أن الاستعمار الغربي سيرجف  
حين يرما نبذرة هذه البذور .

إن هذا الاستعمار هو الذي حاول أن يغرس في نفوسنا حبه  
واحترامه . فلما خشي اليوم أن تستيقظ أخترع حكاية  
«يونسكو» . ودعا هذه «يونسكو» إلى حذف كل ما يشير  
إلى الأحقاد القومية في دراسة التاريخ ، وذلك باسم الإنسانية  
والأخاء البشري .

وهذه لعبة استعمارية جديدة يجب أن تنتبه إليها . إننا إذا  
اتبعنا تعاليم اليونسكو فسنخدر كل شعور قومي تاهض . ولن  
يستفيد من هذا التخدير سوى الاستعمار . وهذا ما تقصد به  
هيئة اليونسكو .

إن أوروبا وأمريكا دول مستمرة ، فماذا عليها من حذف  
كل ما يشير إلى الأحقاد القومية في دراسة التاريخ ؟ إنها تكتب بهذا  
ولا تخسر شيئاً . أما نحن فإن الاستعمار يخنقنا ، فإذا لم ننتبه

شعور الحقد عليه فقد خسروا السلاح الأول وخسروا المعركة كلها.  
ومع هذا فإن عند مصر بين مسلمين يتسمون : أحد ،  
وحسين ، وحسن ، وعلي ، يعملون في مصر باسم « اليونسكو »  
وينشرون الأضاليل ، ويخدعون أمتهم ويحاولون تسييدها باسم  
الإخاء الإنساني !

إن جراحات الوطن الإسلامي دامية في كل مكان ، فلا أقل  
من أن نحتفظ بالكرامة والLCD لن يدميها . أما مبادئ  
اليونسكو الجلية فتحن على استعداد لاعتقابها يوم يتغلص ظل  
الاستهار الأسود عن أوطاننا الدامية الجريحة .

لقد عرفنا نحن مبادئ ، الإخاء ، الإنساني ، قبل اليونسكو  
بأربعة عشر قرناً . عرفناها وطبقناها على أنفسنا وعلى سواها .  
ولم نجعلها خدعة ولا فخاً ، كما يجعلها الرجل الأبيض . فهذه  
المبادئ ليست جديدة علينا . ولكن ديننا الذي جاء مبكرًا  
جداً علّمنا كذلك أن نقاتل من يعتدي علينا ، وألا نأمن له  
ولا نستئم ، وأن لا نسامح أحداً يعتدي على شبر واحد من  
الوطن الإسلامي ، أو يناهض العقيدة الإسلامية ويؤذى معتنقيها:  
« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخري جوكم من  
دياركم وظاهروا على إخراجكم أن ترثوهم . ومن يتوظم فاؤنك  
هم الظالمون <sup>(1)</sup> » .

---

(1) سورة المائدة ٩ .

والرجل الأبيض - سواء كان ذلك في أوروبا أو أمريكا أو روسيا - يقانلنا في الدين « ويخرجنا من ديارنا » ويظاهر على إخراجنا . ومع هذا يوجد ذات مسلمون يتسمون : أحد ، وحسين ، وحسن ، وعلي . . . يوالوهم ، ويروجون دعائهم ، ويكتنون لهم في رقابنا . ثم يحاولون أخيراً أن يخدرروا أحقادنا المقدسة ، حق هذه الأحقاد التي يجب أن تورثها أبناءنا على الأقل مع العار الذي سرورته إيه ، لو تركنا جراحات الوطن الإسلامي تدنس في كل مكان ، ونحن لا نصنع شيئاً .

إذ فرنسا تزرق جسم الوطن الإسلامي في تونس والجزائر ومراكن ، والإنجليز تقوم بدورها في موضع أخرى ، وأمريكا من خلفها تبدو نارة وتتوارى . . . هذا ما يجب أن نذكره صباح مساء ، وما يجب أن نلقنه أبناءنا بكرة وعشياً .

• • •

# الملعون متّصّبون ...

- ١ -

الدعوة الى كتلة إسلامية تنقذ الوطن الإسلامي من الاستهانة  
والغريّة الائتمان ، وتنقف في وجه موجة الإلحاد المادية الفندرة . . .  
هذه الدعوة يعدها بعضهم تعصيّاً دينياً يبرأون منه ، ويحاولون  
التنصل من تبعاته !

والوطن الإسلامي الذي يدعوه الداعون الى إعادة وحدته  
واستعادة قوته . . . هو الوطن الوحيد في تاريخ البشرية الذي  
كان التسامح الديني طابعه الأصيل ، والذي عامل الأقليات فيه  
بالروح الإنساني الحاصلص ، والذي حفظ هذه الأقليات حتّها في  
حرية العبادة وحرية الاعتقاد ، وحرية الكسب ، وحرية العمل ،  
وسائل الحرريات التي لا تعرف المجتمعات غير الإسلامية بها الى  
هذه اللحظة لبعض الملايين ، ولبعض أتباع الديانات المختلفة ، في  
كل مكان .

ومع ذلك كله فالملعون متّصّبون !  
فللتسمع البيانات التي تشقق من الدعوة الى الكتلة الإسلامية

ومن الدعوة الى النظم الإسلامية ، لتمعن هذه البقاعات شيئاً  
ما يصنع غير المسلمين في كل مكان على ظهر هذه الأرض.  
في القرن العشرين ..

ولنبدأ بالجستة . الجستة جارتنا القريبة التي أثثنا اللجان  
لتعاونها وأرسلنا البعثات الطبية إليها عندما غزاها الطليان في  
سنة ١٩٣٥ وخصصنا لها أثراً كاملاً في صحافتنا ، وعددنا  
قضيتها يومذاك قضيتنا . لتمعن ، ولتمعن البقاعات ماذا يلقى  
الملعون في الجستة في هذا الزمان .

سافرت بعثة من الأزهر مؤلفة من الاستاذين الفاضلين :  
عبد الله المشد وعمود خليفة الاستاذين بكلية الشريعة إلى بلاد  
الصومال وأريتريا وعدن والجستة لدراسة أحوال المسلمين بهذه  
البلاد ، واستغرقت رحلة البعثة ثلاثة أشهر ما بين يوم ٢٦ من  
شعبان سنة ١٣٧٠ الموافق أول يونيو سنة ١٩٥١ و يوم ٢٩ من  
ذى القعدة الموافق أول سبتمبر سنة ١٩٥١ و كتبت تقريراً مفصلاً  
يقع في مائة وستين صفحة كبيرة ، يتم بالدقة والاعتدال  
والواقعية .. ومع هذا فقد حوى ذلك التقرير عجائب عجائب عن  
الاضطهاد الديني في القرن العشرين .

وهذه براعة الاستهلال :

«عقب انتهاء من زيارة بورما من أعمال الصومال البريطاني ،  
رأينا أن نواصل الرحلة إلى الجستة نظراً لأن المعياد المحدد  
لدخولنا فيها قد أوشك أن ينتهي ، فسافرنا يوم ٢٦ من يونيو

سنة ١٩٥١ بالزيارة الى جيبوتي وهي أول مدينة من مدنت  
الجبلة في جنوب الشرقي ، وتعتبر عاصمة الصومال الوجاديفي .

وبعد أن ترلنا الفندق ومكثنا فيه ساعة ونصف الساعة  
أمرنا بزيارة المدينة ، ولم يسمح لنا بالإقامة ، فاضطررنا للعودة  
إلى هر جبلة في مساء اليوم الذي دخلنا فيه ، ثم برهننا على  
عدن ، ثم منها إلى أسمرة . وبعد أن أقمنا عشرة أيام ، أخذنا  
من السفارة المصرية بأديس أبابا بأن وزارة خارجية أثيوبيا  
سمحت لنا من جديد بدخول الجبلة . فما فرنا بالطائرة إلى  
أديس أبابا يوم الخميس ١٦ من أغسطس سنة ١٩٥١ ، وأقمنا بها  
اثني عشر يوماً ، حاولنا خلالها أن نقوم بزيارة معاهد التعليم في  
العاصمة والمدن الكبيرة ، وأن نتصل بالسلفين ، فلم نستطع إلى  
ذلك سيراً لأسباب خارجية عن أرادتنا .

ولم يمنعنا ذلك من الوقوف على كثير من شؤون المسلمين في  
الجبلة . وسنذكر بعض ما يمكننا ذكره منها في هذا التقرير ،  
متوكلاً على الحقائق التي يهم أولى الأمر الإطلاع عليها » .

ثم يمضي التقرير في ذكر هذه الحقيقة الغربية التي لا يكاد يعرفها  
أحد ، وهي أن نسبة المسلمين في الجبلة بصفة عامة لا تقل عن  
٦٥ في المائة من مجموع السكان ، وأنها ترتفع في بعض المناطق  
إلى ٨٥٪ وتحيط في بعضها إلى ٢٥ في المائة ، وهي في عمومها  
أغلبية أكيدة ، مع اقسام البقية من السكان إلى مسيحيين  
ويهود ووثنيين .. ويعتمد التقرير في هذا على الاحصاء الإيطالي

الدقيق ، الذي قام به الإيطاليون في سنة ١٩٣٦ ، وإحصاءات  
القنصليات الأجنبية في الحبشه .. وهي حقيقة غريبة كما قلت ،  
ويزيدها غرابة ما سمعته من إهمال العنصر الإسلامي إهالاً تماماً  
في الوظائف والتعلم والعيشة وتجريده من سائر حقوق المواطنين !

ثم يذكر التقرير هذه الحقائق الموجعة العجيبة :

أولاً : إن الحكومة الحبشه بعد انتهاء الاستعمار الإيطالي ،  
قد اغتصبت من المسلمين ثلثي أملاكهم العقارية وسلّمتهما  
للمسيحيين من الرعايا ، معبقاء الضريبة الفادحة على الرعايا  
المسلمين ، حرصاً على إفقارهم والخلالهم .

ثانياً : إن الحكومة الحبشه تمنع إرسالات التبشير المسيحية  
كل العناية والرعاية ، في الوقت الذي تحرم فيه على المسلم أن  
ينتقل من محلته الى محلة أخرى لإرشاد المسلمين ووعظهم وتقضي  
على كل محاولة ترمي الى ذلك ، وقد جاء في تقرير هذه الإرسالات  
أنه يمكن تنصير جميع المسلمين في هذه المناطق خلال خمس  
سنوات نظراً لجهلهم وفقرهم ، وعدم وجود من يعلمهم دينهم ،  
أو يحثهم على التمسك بعقيدتهم .

ثالثاً - إن أكثر المسلمين في الحبشه اهتماماً بنشر علوم الدين ،  
هم مسلمو مقاطعات كفا - جيما - وللو وهرر ، وانه كان في جيما  
ووحدها أكثر من سبعين مدرسة لتعليم أبناء المسلمين ، ولكن بعد  
أن أعلن عنها الى الامبراطورية الحبشه ، واعتقلا سلطاناها  
الامير عبد الله بن السلطان محمود بن داود المشهور باسم أبا جعفر

وزج به في غيابة السجن .. استولت الحكومة الجبشتية على هذه المدارس ثم أغلقت أكثرها ، وغيرت مناهج ما بقي منها ، ولم تجعل للفة العربية ولا للدين الإسلامي أثراً فيها ..

رابعاً : إن السلطة الجبشتية جاءت في سبيل نشر التعليم بين أبناء المسيحيين في البلاد يقدر ما تمحق لها مواردها ، وأنها انشأت لذلك حوالي مائة مدرسة ابتدائية وثانوية للبنين والبنات ، ليس بين تلاميذها وتلبذاتها أكثر من ثلاثة في المائة من مللي الجبشتية ، الذين لم تجده الحكومة يبدأ من قبولهم لظروف خاصة .. وأنه على الرغم من زيادة عدد المسلمين عن المسيحيين لا تقوم الحكومة بالانتقاص على تعليمهم بأكثر من خمسة في المائة من ميزانية التعليم . هذا بالإضافة إلى أن برنامج المدارس الحكومية ليس للفة العربية ولا للدين الإسلامي نصيب منها ، حق في المناطق الإسلامية المضطهدة .

خامساً : إن المسلمين قد ألحوا على وزارة المعارف في هذه المناطق بتقرير دراسة الدين الإسلامي ، واللغة العربية في المدارس التي بها . فعینت مدربين في بعض هذه المدارس باسم تعلم الدين الإسلامي ، ورفضت طلب تدريس اللغة العربية ، واختارت مدرس الدين الإسلامي من بعض الجهة الذين لا يدرؤون شيئاً من تعاليم الإسلام ، ولم تحدد لحصة الدين زماناً كثيراًها من حصص الأشهرية ، والإنجليزية وأساليب العلوم ، التي تعلم في المدرسة بل كلفت مدرس الدين الإسلامي أن يجمع التلاميذ في

الاوقات المخصصة لاحتياجاتهم ليعدهم فيها المبادىء التي لا تخرج عن  
أوقات الصلة المفروضة وعدد ركعاتها وأركانها وشروطها ،  
وما شاكل ذلك ، فكان ذلك المدرس لا يجد من أوقات راحة  
اللاميذ ما يسمح بتعليمهم ، وغير العام كله دون أن يلتقي عليهم  
درساً واحداً .

سادساً : إن الحكومة اختارت في العام الماضي بعثات من  
المخرجين في بعض المدارس ، وأوفدتتها إلى المعاهد المختلفة في  
الخارج ليعودوا فيتولوا المناصب الكبيرة في الدولة ، وقد كان  
من بين المبعوثين آثنان من المسلمين بحكم تفوقها البارز ، ولكن  
بعد أن قت إجراءات سفرها حيل بينها وبين السفر لأسباب  
غير معروفة .

سابعاً : إنه كان لل المسلمين ثانوي مدارس ، وكانت الدراسة  
فيها قائمة على أساس اللغة العربية والدين الإسلامي .. ومواردها  
تأتي من التبرعات والهبات بواسطة جماعات لهذا الفرض ، وكانت  
تقوم بتعليم ثلاثة آلاف من أبناء المسلمين ، وقد ظلت تؤدي  
مهتمتها رغم جياع التابع إلى سنة ١٩٤٩ .. ولكن الحكومة  
أرادت إخضاعها لبراعتها الحالية من اللغة العربية والدين ، فلما  
رفض القائمون عليها هذا الأمر سلكت الحكومة مع هذه الجماعات  
سلكًا اضطر أعضاؤها بسببه إلى التخلي عن مساعدة هذه  
المدارس والتنازل للمعارف عن ثلث مدارس منها ، وعندئذ  
حذفت منها مادتي اللغة العربية والدين الإسلامي .

ثامناً : إن المدارس الباقية في طريقها إلى هذا المصير البائس لأن الوسائل التي اتبعت بشأن المدارس الثلاث ماضية في طريقها وقد تركت البعثة الحبشة ومدرسة رابعة تلقي مصيرها !

ناسعاً : إن إحدى المدارس الباقية ، طلبت من المدارف أن تسمح لبعض المدرسين المصريين بالحبشة ، أن يقوموا بتدريس بعض العلوم في أثناء فراغهم نظراً لحاجة المدرسة إلى بعض المدرسين الأكفاء ، ولكن المدارف الحبشية رفضت هذا الطلب.

عاشرأ : إن الكتب العربية لا يسمح بدخولها إلى أثيوبيا ، ولا تداورها ، أما الجرائد والمجلات العربية فيسمح بدخولها تحت المراقبة الشديدة .

هذه هي الحقائق المفجعة في القرن العشرين ، وهذه هي الأحوال التي يعيش في ظلها خمسة وستون في المائة من سكان الحبشة لا لسبب إلا أهتم مسلون .

فإذا أضفنا إليها ما أعلته عن ثقة من أن المسلمين محرومون من وظائف الدولة جيماً في الحكومة الحبشية ، ومن الخدمة العسكرية كي لا يكون منهم جنود ، وأنهم إلى عهد قريب جداً كان المدين المعاشر منهم يصبح رقيناً بيعاً ويشترى إذا كان دينه لسيحي ، ولم تبطل هذه الشناعة إلا على يد الطليان عام ١٩٣٦ .

إذا عرفنا هذه الحقائق المفجعة تبين لنا بما لا مجال للشك فيه ، أن المسلمين متغصبون متغصبون !

أليس كذلك أيتها البيضاوات ! التي تخشى من تكثيل المسلمين تحت راية الدين ؟

## المسلون متعصبون ...

- ٣ -

في رسالة لبعثة جريدة المصري في استانبول وردت هذه  
الافتراضات :

ولا يشغل أذهان أقطاب تركيا سوى أمرين : أولهما تقوية  
أسباب التعاون العسكري بينها وبين جيرانها في أروبا وأسيا .  
والثاني أن توجه سياستها الخارجية توجهاً صحيحاً جديداً نحو  
العرب ، ولا سيما مصر ، بطريقة تجعل من عهور أنقره - القاهرة  
أقوى الاحلاف العسكرية والسياسية في الشرق الأوسط إن لم  
يكن في العالم كله .

غير أن تركيا تفتقر نفوراً شديداً من إنشاء كتلة عسكرية  
في الشرق الأوسط على أساس الدين الإسلامي . فهي ترى أن  
الدين أعني من أن يزج به أحد في السياسة ، ولهذا لم تصل  
عائدات السيد ظفر افخان وزير خارجية الباكستان ومشروعاته  
هوى في نفس أقطاب تركيا ، وإن كان قد استقبل وودع فيها  
بحفاوة بالغة وأكرام عظيم .

ولم أدهش وأنا أقرأ عن نفور أقطاب تركيا الشديد من إنشاء كتلة عسكرية على أساس الدين الإسلامي ، فلدينا في مصر كثيرون من نوع هؤلاء الأقطاب ، ربما الاستعمار ، ودس ” في أرواحهم وأفكارهم ذلك التفور ، لأن الاستعمار كان يعرف أن لا بقاء له في أرض الإسلام ، ولا حياة إذا هو لم يقتل بذور الاستعلاء الذي يبشر الإسلام في نفوس المسلمين ، ولم يفرق هذا الوطن الإسلامي الكبير إلى دوليات قائمة على النعرة القومية المهزولة ، والحدود الجغرافية الوهبة .

إنما دهشت وسخرت من ذلك التعليل المهزيل التافه لاستبعاد الإسلام من الميدان ... وهو أن الدين أسمى من أن يزج به أحد في السياسة ! ، فلما يتصوره أولئك الأقطاب ؟ إنه إسلام لا يعرفه الإسلام ، فالإسلام ، - كما عرفه أهله - شيء آخر غير هذا التصور المضحك العجيب ، إنه عقيدة تجمع بين قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ونظام اجتماعي ينسق مصالح المسلمين وأوضاعهم ، ونظام سياسي يوحد المهد الأسلامي ، والجيش الإسلامي ، والكتلة الإسلامية .

هذا هو الإسلام في حقيقته . لا كما يتصور الذين استعمروا أقذتهم وأرواحهم ، ومن خسروا أنفسهم ودينيهم ، ومن ارتفعوا أن يصبحوا ذريلاً ذليلة لا حول لها ولا قوة ، ودينيهم يأبى عليهم أن يكونوا للكافرين أولياء ، وأن يكونوا للمعتدين ببطانة ، وأن يواحدوا من حاد الله ورسوله ، ومن قاتلوا

المسلمين وأخرجوهم من ديارهم أو ظاهروهم على إخراجهم .  
كنت أفهم أن يكون أقطاب تركيا صرحاء - كما كانوا في  
يوم ما - فيقولوا : إننا لا نؤمن بهذا الاسلام ، ولا نتق به .  
ولا ينفي أن تقوم بيننا وبين المسلمين صلة ولا تعامل . وأننا  
ننفي أن نلحق بالقافلة الغربية ، ولن فوجه وجهنا شطر هذا  
الشرق ومن فيه .

لقد قالوها يوماً . أما اليوم فعادتهم الامريكان يتوجهون الى  
الوطن الاسلامي وإلى المسلمين ، وهم تبع للسادة أطوع من  
الخادم الأمين .. وإن ذنونهم يوصون بأذنائهم نحو العرب ،  
ونحو مصر ، ويرجعون على أعقاهم تفورةً من رابطة الاسلام التي  
يعتز بها المسلمين .. وهو موقف باطن ذليل ، لا يحتمد عليه  
أحد ، ولا يقبله إلا الأقطاب الذين استعمرت أقذتهم  
وأرواهم للغربين ..

إن الكتلة الغربية اليوم في أمس الحاجة الى المسلمين بصفة  
عامة ، وإلى العرب بصفة خاصة ؛ إنها في حاجة الى مليون مجند  
من العرب في الحرب القادمة ، تجرب عليهم تجربة القنبلة الذرية  
الروسية ، أو تجرب عليهم حرب الميكروبات ، لتنتفع بهذه  
التجربة في وقاية الجنود البيض من ويلات هذه الأسلحة  
الجهنية الجديدة .

ولقد كان الجنودون الهنود وجنود المستعمرات يقومون  
بهذا الدور في الحربين الماضيتين ، ولكن الهند قد استقلت ،

وأستراليا وجنوب إفريقيا لن ترسل جنوداً إلى الشرق الأوسط، وإنذن فلا بد من مليون مجند عربي لهذا الغرض الإنساني النبيل! وعندين ينشط علاء الكتلة الغربية في الضحك على ذقون العرب: تنشط تركيا، وتنشط العراق، وتنشط إسبانيا، وتنشط الصحف المصرية التي تحررها أفلام الخبراء وتونها بالمال والمطابع والورق والأخبار. ويضرب كل وسيط على نفمة.. تركيا يضرب على نفمة عور أنقرة - القاهرة مع التحرر الشديد من التكبيل على أساس الدين. وفوري العيد يضرب على نفمة الحلف الدفاعي العربي تحت وصاية الكتلة الغربية. وإسبانيا تضرب على نفمة حلف البحر الأبيض المتوسط، والتقارب بين الإسلام والكتلتين. ويضرب معها - مع الأسف - رجال مصريون كانوا يوماً ما فوق مستوى الشبهات! وصحف تعلن عن مسابقات التعارض بين الإسلام والشيوعية، وصحف تتهم دعاء الكتلة الإسلامية، وصحف تتحدث عن اهتمام أمريكا بالاسلام.

إنها المسيرة التي يقوم بها « الشرفاء » !

وبينما يجري هذا كلّه ، يجري اضطهاد المسلمين في كلّ مكان على ظهر هذه الأرض : يجري في العالم المسيحي ، والعالم الشيوعي والعالم الوثني .. كأنّا هنا نحن حلف أعظم مقدس ضد المسلمين . ولقد تحدّث في الأسبوع الماضي عن ذلك الأسلوب المفجع في اضطهاد المسلمين في الحبّة - ومُغلبة السكان ، ذلك

الاضطهاد الذي لو وقع منه لم يحي واحد لارجع الأرض  
واندك الجبال ، واتهم المسلمين بالتوحش والهمجية في  
القرن العشرين .

ومثل هذا الاضطهاد بل أشنع منه يتم في روسيا ، ويمتاز  
بأنه عملية إفقاء منظمة تتم بمعرفة الدولة منذ ربع قرن ، وقد  
اتجع تناقض المسلمين من اثنين وأربعين مليونا إلى ست  
وعشرين .

وبتم في ( يوغوسلافيا ) حيث تتعرض حياة مليوني مسلم  
ووجودهم للزوال ، وبختافة العنصر الألباني المسلم الذي اغتصب  
يوغوسلافيا أرضه بالتعاون بين روسيا والإنجليز وفرنسا وأمريكا  
في أثناء الحرب العالمية الثانية .

ولعل من الطريف أن نذكر أن الإنجليز والأمريكان في  
أثناء حربهم مع دول المور كانوا يسلحون العناصر الشيوعية في  
اليابان لتكوين عصابات ضد المور ، ولا يسلحون العناصر المسلمة  
المستعدة للقيام بنفس المهمة ! لماذا ؟ لأن الدماء الصليبية تجري  
في عروقهم . وحين لا يكون هناك مفر من تليح أحد  
الفربيين فهم يسلحون الشيوعيين .

أما « الأقطاب » في تركيا ، والأنطب في مصر ، والأقطاب  
في البلاد العربية ، فهم ينفرون من التكتل على أساس الإسلام  
لأن المسلمين مت指控ون !

إن الاستهار لم يكن يلعب . لند كان يعد عذته لليوم الذي

ترحل فيه جنوده عن الوطن الإسلامي . وكانت عدته هي هؤلاء الأقطاب الذين ينفرون من الدين .

إن بريطانيا حينما أرادت أن تختار مستشاراً بريطانياً لوزارة المعارف المصرية ؛ اختارت قيساً ، فلم يكن « دنلوب » إلا رجلاً من رجال الكنيسة المتعصبين .

اختارتة وتركته ينشيء عقليات ، ويكونون شخصيات تتولى الإشراف فيما بعد على وزارة المعارف المصرية ، وعلى حركة الثقافة المصرية .. لتؤدي للاستعمران تلك الخدمة التي لا يستطيعها الانجليز البيض كاً يستطيعها الانجليز السمر في المجتمع والدواوين . وكذلك صنع الاستعمر في كل مكان .. ولو لا قوة كامنة في الإسلام ، تتحطى الحدود والسدود ، ما أمكن أن تتبثق النسبة من جديد .

ولكن ها نحن أولاً نعيش ، لنرى المد الإسلامي تظهر بوادره من جديد . ونرى الحواجز والسدود التي وضعها الاستعمر في الطريق . ونرى القردة التي صنعتها الاستعمر على عينه تقف طرافة السدود ...

ثم ماذا ؟ ...

ثم لا بد للدّد أن يفيض ، ولا بد للسدود أن تنهار ، ولا بد للقردة أن يطمرها الموج والرّكام ، وعندئذ تتم كلّة الله . وتعلو راية الإسلام ، الإسلام الصحيح ، الإسلام الذي يصرّف الحياة كلها .

## السلمون متعصبون ...

- ٣ -

كانت روسيا القيصرية في خلال القرون الأربعة الماضية ، من أشد الدول عداء الإسلام والملائين ، ومن أشدها تكيراً وأعنفها حريراً وأكثرها إلحاداً في الصلبية المتعصبة الذميمة .

« كان الاضطهاد في عهد القياصرة تائراً جناحيه ، في كتف الموظفين الروسيين (بروكاز) والمبشرين المسيحيين » ، بتأييد رسمي من الدولة القيصرية ، لذلك لا يعتبر الاضطهاد الديني في روسيا أمراً حل بها حديثاً ، إنما الاضطهاد الشيعي المرعب الذي هز العالم الإسلامي والإنساني قاطبة ، ضرب من برنامج موافقة القضاء على الدين الحمدي ، مع عظيم الفارق بين اضطهاده واضطهاد الدين المسيحي في روسيا الهراء .

« رفع هير ماهان أسقف قازان في بداية العصر السادس عشر تقريراً إلى أعتاب مولاه القيصر تيودور » يسرد فيه - بلسان عرق بالغ الأثر - حوادث فشل التبشير المسيحي .. وارتداد المسيحيين الجدد إلى دينهم الأصلي الإسلامي ، وجرائمهم في إقامة

شائعهم الدينية بمساجد أقاموها من جديد . وبناء على هذا التقرير الاسقفي قام القيصر المذكور بأخذ تدابير صارمة ضده، وأبلغهم حرمانهم من أملاكهم مع إجبارهم على الإقامة في حي أنشئ خاصه لهم بـ دينية فازان ، تحت إشراف أحد أمراء الروس . ثم كلف الشبان تكليفاً بالزواج من روسيات ، والبنات من روسين . ومن خالف الأمر كان مصيره إلى السجن وتعذيبه فيه بوضع القيد في يديه ورجليه وضرره بالسياط . وكما لو كان هذا التعذيب غير كاف لإشباع نفسيه القيصر أمر فوق ذلك بهدم المساجد التي بنيت من عصور ، وبطرد المسلمين من مدينتهم ، وكان له ما أراد .

« وأما البلاشفة فقد كتموا بعباره خططهم السرية ، وحقيقة موقفهم من الدين ، وعكروا من الظهور أمام الشعوب – إلى حين تركيز القوة في يدهم – يظهر محظوظاً إلى التفوس . وعلى أثر اطمئنانهم لل موقف الخارجي ، بدأ الحزب الشيوعي ينتشر خلاياه المنظمة أدق تنظيم في أرجاء الاتحاد السوفيتي ، فعمدت هذه الخلايا الإلحادية إلى استئصال شأفة الدين ، أولاً : بالقضاء على القضاة ، والملقين ، والمدرسين ، والوعاظ ، والخطباء ، والأئمة والمؤذنين . واحتلوا المدارس ، والجواع ، والمساجد . وألدوا في القرم والبلاد الإسلامية الأخرى المهاكم الشرعية وديار الافتاء . وقد أصبح كل ذلك أثراً بعد عين . ثم حولوا المساجد والجواع إلى مسارح واصطبلات لخيول فولخوز . أو عازن لمؤن وذخائر ، أو إلى أندية ، أو إلى دور للسيقا وما إلى ذلك من أشياء لا يقرهم

عليها شرع ولا قانون . وقد جمع البلاشفة نسخ القرآن والكتب الدينية وأحرقوها حرقاً . لم يشهد الإنسان هذا الانحطاط الخلقي حتى في القرون المبكرة الأولى ، ونجمت من أيدي الملحدين بعض الجرائم النادرة التي اعتبرت آثاراً عمرانية ، أو أمرت موسكو بعدم مسامتها لتخذلها عند اللزوم دليلاً ضد ما قد يتسلل إلى البلاد الخارجية من ( أخبار مزورة وكاذبة ) ! في نظرها . وبذلك انقطع الأذان الحمدي في أنحاء القرم ، والبلاد الإسلامية السوفيتية ، ولا أحد يجرؤ على اداء شعائر الدينية فيها لما فيه من خطر هلاكه .

وصل الاضطهاد الديني في القرم ذروته عام ١٩٣٨ حيث لم يعد الناس يشاهدون فيها شيئاً باسم الدين بعد إحراء نسخ القرآن والكتب الدينية ، وقلب المدارس والمساجد إلى مؤسسات شيوعية ، وقتل العلماء والمعظماء ، أو نفيهم إلى سيربيا . وقد حدث في – كوزلو – أن اعتقل في ليلة من ليالي عام ١٩٣٨ آخر من يقى من العلماء ، وبعد التعذيب أتى الشيوعيون بهم منهوكين القوى إلى مبني تكريير مياه المدينة لقائهم على شاطئ البحر الأسود ، وأسموه ( فودا فنال ) ثم زجوا بهم في سكون الليل وعلى الانفراد في عجلات الماكينات الخلفية المعدة بطريقة خاصة من قبل الإدارة الشيوعية ، لتكون مذبحه للإنسان في ( الفردوس الشيوعي ) على أرض القرم . وأما العمال المكرهون على القيام بهذه العملية الشنيعة فلا يزالون على قيد الحياة لاجئين إلى أوروبا وتركيا ، والى غيرها .

هذه الصورة البشعة المروعة في القرم لا تبلغ بشاعة الصورة الوحشية التي تمتلت في التركستان الغربية والشرقية حيث يقطن او كان يقطن - أربعة وأربعون مليوناً من المسلمين ، تناقض عددهم الآن على يد آلة الإبادة السوفيتية الشديدة إلى ستة وعشرين مليوناً فقط .

فلندع كأننا أخذنا بحديثنا عن وسائل التعذيب الجهنمية ، التي سلطت على العنصر الإسلامي في التركستان الغربية الخامسة لروسيا ، والتركستان الشرقية التابعة للصين الشيوعية آسيا لروسيا الشيوعية فعلاً .

إن الاستاذ ( عيسى يوسف آلب تكين ) الذي قدرت له الحياة من جديد بعد فراره من الإدارة الجهنمية الرهيبة ، يكتب كتابه « المسلمين وراء ستار الحديدي » يحدثنا فيه عن ( صور من التعذيب والقتل ) ، وستضطر أن تغفل ذكر بعضها هنا لأنها من القذارة بحيث يخرب من ذكرها كل أدب إنساني . مكتفين بما تطيق الآداب الإنسانية أن نذكره للناس ... وهذه هي :

- ١ - دق مسامير طويلة في الرأس حتى تصل إلى المخ .
- ٢ - إحراق المجنون بعد صبُّ البنزول عليه وإشعال النار فيه .
- ٣ - جعل المجنون هدفاً لرصاص الجنود يتمنون عليه .
- ٤ - حبس المجنونين في سجون لا ينفذ إليها هواء ولا نور وتجويعهم إلى أن يموتاً .

٥ - وضع خودات معدنية على الرأس وإزار التيار الكهربائي فيها .

٦ -ربط الرأس في طرف آلة ميكانيكية وباقى الجسم في ماكينة أخرى ، ثم تدار كل من الملاكتين في اتجاهات متضادة ، فتعمل كل واحدة مقتربة من أختها حيناً ومتباعدة حيناً آخر حتى يتعدد الجزء من الجسم الذي بين الآلتين ، فلماما أن يقترب العذب وإما أن يموت .

٧ - كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد مسخنة إلى درجة الاحرار .

٨ - صب زيت مقللي على جسم العذب .

٩ - دق مسحار حديدي أو إبر الجراموفون في الجسم .

١٠ - تسمير الأظافر بمسحار حديدي حتى يخرج من الجانب الآخر .

١١ - ربط المجنون على سرير ربطاً عكماً ثم تركه لأيام عديدة .

١٢ - إجبار المجنون على أن ينام عارياً فوق قطعة من التلخ أيام الشتاء .

١٣ - تف كتل من شعر الرأس بعنف ، مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس .

١٤ - تشويط جسم المجنون بأمشاط حديدية حادة .

١٥ - صب المواد الحارقة والكافرية في فم المجنونين وأنوفهم وعيونهم بعد ربطهم ربطاً محكماً .

١٦ - وضع صخرة على ظهر المجنون بعد أن قوّق يداه إلى ظهره .

١٧ - ربط يدي المجنون وتعليقها إلى السقف وتركه ليلة كاملة أو أكثر .

١٨ - ضرب أجزاء الجسم بعصا فيها مسامير حادة .

١٩ - ضرب الجسم بالكرجاج حتى يدميه ، ثم يقطع الجسم إلى قطع بالسيف أو بالسكين .

٢٠ - إحداث ثقب في الجسم وإدخال حبل ذي عقد واستعماله بعد يومين لكتشاف لقطع من أطراف الجرح الشائكة .

٢١ - ولكي يضمنوا أن يظل المجنون واقفاً على قدميه طويلاً يلتجأون إلى تسمير أذنيه في الجدار .

٢٢ - وضع المجنون في برميل مملوء بالملاء في فصل الشتاء .

٢٣ - خياطة أصابع اليدين والرجلين وشبك بعضها إلى بعض .

٢٤ - والنساء حظهن من مثل هذا العذاب أثنتين يعرين ويضربن ضرباً مبرحاً على ثديهن وصدورهن . أما بقية تعذيب النساء فاتنا غسل عنده . لأن الواقع التي اختاروها من أجسامهن

والطرق الدينية التي استعملوها تجعلنا نستحب من ذكرها  
وكتابتها .

ثم يتطرق المتشدقون هنا بالمادة ١٢٤ من الدستور السوفييتي  
الذي عدله ستالين سنة ١٩٣٦ لأنما يقول « صيانة حرريات اعتقاد  
جميع المواطنين يعلن أن الدين في روسيا السوفيتية يفصل عن  
الدولة والمدرسة عن الكتبة » فلنجتمع جميع المواطنين حررتهم « في  
ممارسة الشعائر الدينية او في الدعوة الى الاخلاق » .

فاما تعلم الاخلاق للتلاميذ الصغار فتولاه الدولة بكل  
أجهزتها ، وأما تعلم الدين فتنص الفقرة ١٢٢ من قانون العقوبات  
لروسيا السوفيتية المطبوع عام ١٩٣٨ في موسكو على ما يلي :  
« .. إن تعلم الدين للأحداث في مدارس الدولة او المدارس  
الخاصة لو في المعاهد الشبيهة بها يعاقب عليه القائمون بأمره  
بالحبس لمدة أقصاها سنة مع الشغل » .

وفي أثناء الحبس تم وسائل التعذيب الوحشية التي سبقت  
الإشارة اليها .

وبعد ، فقد عرضنا من قبل صور الاضطهاد الوحشي للإسلام  
وال المسلمين في الجبهة المسبحية ، وفي يوغوسلافيا الشيوعية المعادية  
لروسيا في هذه الأيام . وها نحن أولاء أيام الشناعة الروسية في  
أيام القيصرية وأيام السوفيت على السواء .. وسنمضي في استعراض  
هذه الاضطهادات في بلاد أخرى من العالم المسيحي والعالم  
الشيوعي والعالم الوثني ، كي تثبت « أن المسلمين متهمون » لأنهم  
يفكرون في تكمل إسلامي تعيش في ظله الأقليات غير المسلمة  
في سلام و حرية و اطمئنان ..

## السلون متعصبون ...

- ٤ -

آية تعصبهم تلك الاضطهادات المفجعة التي تقع عليهم في كل مكان ، والتي رسمنا منها صوراً سريعة في كلمات ماضية ثلاثة .. آية تعصبهم ذلك الظلم الشنيع الذي يعانونه في الحبطة المسيحية وفي يوغوسلافيا الشيوعية الحاصلة لروسيا ، ثم في روسيا نفسها ، وفي الصين قديماً وحديثاً ، وما يلقونه على أيدي الاستعمار الغربي في كل مكان .

ولقد صوراً في مقال مضى بعض ما ناقبه المسلمين في القرم ، مقتبساً عن كتاب : «كارثة القرم الإسلامية في الاتحاد السوفيتي» ملؤلله الاستاذ يوسف ولی شاه اورالكيري «وفي التركستان الغربية في روسيا ، والتركستان الشرقية الخاضعة للصين الشيوعية ، مقتبساً عن كتاب : «المسلمون وراء السار الحديدي » ملؤلله الاستاذ عيسى يوسف آلب تكين » ، وكلها من منكوبى الوحشية الشيوعية ضد العنصر المسلم ضد الإسلام . فالآن نضي في هذا الاستعراض الأيام ، نضي مع آلام المسلمين في هذه الأرض ، نضي ، لعلم المسلمين مدى حاجتهم الى

تكتل إسلامي صحيح يحميه من هذا العذاب ، ويرد عليهم  
هزتهم وكرامتهم وأوطانهم . نضي رغم «البيانات» التي ترى  
في الدعوة إلى التكتل الإسلامي تهضباً لا يليق بالقرن العشرين !  
وتحثني أن يقول العالم «المتحضر» إن المسلمين متّصّبون !

إن هناك عملية افذاً منظمة تزاوّلها الدولة الروسية للقضاء  
على العنصر الإسلامي فيها ، وقد بلغت نسبة الفناء في بعض  
المدن ٤٤٪ باعتراف جريدة برافدا الرسية ، وإن كانت قد  
نسبت هذا إلى الجماعة التي حلّت بالقرم . ولكن هذه الجماعة لم تصنّع  
في المدن المعاورة – غير الإسلامية – شيئاً ! فكأنما كانت تختار  
المسلمين وتحدم تحصدهم ، وهو أمر في روسيا السوفيتية معقول !

ثم نضي مع الزمن فتجد أهل القرم المسلمين يكتون لروسيا  
السوفيتية بالقضاء ويتربيون بها الدوائر ، حتى إذا كانت الحرب  
العالمية الثانية وزاحت المعاوّل الألمانيّة إلى الأرض الروسية ،  
تخيل المسلمون أن العداء المستحكم بين الروس والألمان سيعنفهم  
فرصة ينتعشون فيها ، فاسين أن الروح الصليبية هي التي تسيطر  
على الروس وعلى الألمان سواء تجاه المسلمين . وأن الأوروبيين قد  
يعادي بعضهم بعضاً ، وقد يقتل بعضهم بعضاً ، وقد ينقسمون  
إلى مسّكريات شق .. ولكتهم سوءاً عندما يواجهون المسلمين !

فلتندع الاستاذ يوسف ولی شاه يحدّثنا عن مأساة المسلمين  
على أيدي الألمان في القرم ، كي لا يقول أحد : إن الروس إنما  
كانوا يحزنون المسلمين على عدائهم للشيوعية ، فهـا هـم الألـمان –

أعداء الروس - لا يجوز لهم على عداهم للشيوخية إلا شرأ  
ونكلا لأنهم مسلون !

«ألف مؤلفة . من أبناء المسلمين الذين ألقوا السلاح ببعض  
إرادتهم قاركين صفوف الجيش الأخر ومرضين أسرم للخطر .  
سيقولوا إلى ما وراء خطوط النار مئات الكيلومترات حكم قطع  
القلم . حفاة الأقدام ، وعراء الأجسام والرؤوس ، دون أن  
يقدم إليهم طعام ولا شراب أو غطاء ، ومن تأخر منهم بعض  
خطوات - ولو لمنبر قاهر كالمرهن أو التعب - كان نصيبه  
رصاصة ترديه قتيلاً دون سؤال أو جواب ! وأقل احتجاج أو  
تدمر من المعاملة الالمانية القاسية ، كان كافياً للجندي أن يودع  
هذه الدنيا إلى الأبد » .

وكانَت الادارة الالمانية تقوم بهذه العملية ضد الأسرى  
المسلمين الأبرياء بعد فرزهم من بين عموم الأسرى .

ما كان الأهالي والأسرى يطلبون من الالمان شيئاً أكثر من  
الاعتراف باستقلالهم ولو مبدئياً ، ثم ترکهم أحرازاً في تأليف  
جيشهم ليحاربوا به الشيوعيين ، وبطردوم بأسلحة موسکو  
نفسها دون الحاجة إلى عتاد المان ، كان زعاؤهم الذين يتفاوضون  
مع الالمان يضيقون إلى ما يقولون : إن القيادة الالمانية لو أنها  
تشك في أمرهم أو تخشى الأمان أو الاضطراب في مؤخرة الجيش ،  
فليس عليها إلا أن تحفظ بقواتها المسلحة في الاحتياط وأن  
ترابط وراء الخطوط مع احتلال النقط والقلاع التي ترى من

صالها احتلالها للاظستان على نفسها ، حق تتأكد من حس  
نبات الاهالي الذين يريدون تزويق موسكو الشيوعية . ولكن  
النفس الالمانية أبى إلا أن تجبرهم : بأن المانيا تستولي على  
الاتحاد السوفيتي بدماء الالمان الطاهرة النقية !

ولعل القراء يذكرون ما قلناه من قبل ، عن موقف الالفاء  
من المصايبات الالبانية المسلحه في يوغوسلافيا ، وقد كانت تطلب  
السلاح ل تقوم لهم بحرب الالمان وطردهم ، ولكنهم وقفوا منها  
الموقف ذاته ، فلم يأمنوا المسلمين ولم يعطهم السلاح ، بينما أعطوه  
للمسيحيين ليقوموا بنفس المهمة وراء الخطوط الالمانية .

وهكذا يتعدد موقف الالمان في روسيا مع موقف الالفاء  
في يوغوسلافيا . كلها يخص العنصر المسلم بألوان ممتازة من  
الاضطهاد والعنف ، وكلها يأبى أن يعيّن هذا العنصر او  
يستعين به حق في أخرج الظروف .

لماذا ؟

لأن الدماء الصليبية لا تزال تجري في عروق الجميع . يستوي  
في ذلك الالفاء الذين يلبسون رداء المسيحية والمبغية منهم  
براء ، والشيوعيون الذين ينبذون الأديان جميعا ، والنازيون الذين  
يعلنون موت الاله القديم ! ويتفنون بحياة الزعم .

إنهم يختلفون فيما بينهم ويتناخرون . فاما حين يواجهون  
المسلمين ويواجهون الاسلام ، فإنهم يواجهونه عصبة واحدة وملة  
واحدة ، في مشارق الارض ومغاربها .

فإذا نحن قلنا : إن المسلمين يجب أن يتضامنوا لواجهوا العاصفة السلطنة عليهم من العالم المسيحي ، والعالم الشيوعي ، والعالم الوثني على السواء أنفصن قوم رؤوسهم ، وقالوا : أنها دعوة متعصبة فات عليها الأولى .

دعوة متعصبة ، لأن العالم الإسلامي هو الوحيد في تاريخ البشرية ، الذي سمح للمخالفين له في العقيدة أن يعيشوا في ظله ممتنعين بكل حقوق والضمانات . ولأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يكلف أتباعه حرية العبادة للمخالفين له قبل حرية العبادة لأنصاره ، فيقول القرآن الكريم ، بعد إذنه للMuslimين أن يقاتلوا دفاعاً عن حرية العقيدة :

«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض هدمت صوامعه  
وبساع وصلواته ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً .  
فلا يجيء ذكر المساجد إلا في النهاية ، بعد الاشارة الى  
الصومام والسبع والصلوات ، أمكنته العبادة والصلة للنصارى  
واليهود ، قبل مساجد المسلمين .

أليس كذلك أجيال المسلمين ؟

## الملعون متعصبون ...

- ٥ -

نختتم اليوم بهذه الكلمة سلسلة الصور المقمعة ، التي رسمتها  
حياة المسلمين المضطهدين في مشارق الارض ومحاجرها ، وفي ظلال  
جميع العقائد والنظم في الارض : في الجبنة الميسجية ، وفي  
بروغلافيا ، وفي روسيا ، وفي الصين .

والى يوم هانحن أولاء مع المسلمين في الهند ، حيث نطلع على  
صورة بشعة من صور الاضطهاد والإففاء ، لا ندرى إلام تؤدي  
بالأربعين مليونا من المسلمين الذين لا يزالون يعيشون في  
الهندستان .

عندما تم تقسيم شبه جزيرة الهند الى هندستان وباكستان ،  
أصدر الزعيم غاندي والقائد الاعظم محمد علي جناح بياناً مشتركاً  
 جاء فيه :

« تعلن كل من الحكومتين أنها ترمع صيانة المصالح المشروعة  
لجميع مواطنيها بغض النظر عن أديانهم وطبقاتهم وأجناسهم .  
وستعتبر جميع المواطنين مت Garrison في الحقوق ، فتضمن كل من

الحكومتين لجميع الشعب حريةه بما فيها حرية الكلام ، وحرية  
تأليف الجمعيات ، وحرية العبادة – كلّ وفق طريقةه – وحياة  
للقائهم وثقافتهم .

وتعمد كل من الحكومتين بأن لا تسيء معاملة من كانوا  
معارضين سياسيين قبل الخامس عشر من شهر أغسطس – يوم  
القسم » .

كذلك أعلن رئيس المجلس التأسيسي الهندي ، في أثناء  
انعقاد الجلسة التاريخية في منتصف ليلة ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧  
بياناً جاء فيه :

« إننا نؤكد لجميع الأقليات في الهند بأنهم يعاملون بالحسنى  
ولن يساء إليهم بأي صورة من الصور ، ولن يتعرض بسوء  
لدينهم وثقافتهم . والمنتظر منهم في مقابل ذلك أن  
يبيدوا إخلاصهم للبلاد التي يقيمون فيها ولدستورها » .

وبالفعل تضمن الدستور الهندي الذي وضعه المجلس التأسيسي  
تحت عنوان « الحقوق الأساسية » نصوصاً على حقوق الأقليات  
في الفقرات التاسعة والعشرة والتاسعة عشرة والعشرين جاء فيها:  
مادة ٩ – على الدولة ألا تسيء لأي مواطن لأسباب تتعلق  
باليدين أو العنصر أو الطبقة أو الجنس .

مادة ١٠ – لجميع المواطنين فرص متساوية فيما يختص بأمور  
الخدمة في الدولة ، ولن يحال دون أي مواطن وتولي أي منصب  
في الحكومة ، بغير أسباب ترجع إلى الدين ، أو الطبقة ، أو

الجنس ، أو النسب ، أو المولد .

مادة ١٩ - تكفل بجميع الاشخاص حرية الاعتقاد وحق اتباع الاديان ومارستها ونشرها .

مادة عشرين - تخوّل كل ملة أو طائفة دينية أو فرقه منها أن تؤسس المعاهد ، وتدبرها لاغراض دينية خيرية وأن تدير ثروتها الدينية بنفسها .

كل هذه النصوص الجليلة ماذا كان مصيرها عند التطبيق العملي ؟

لقد بدأت الهند حياتها المستقلة باحتيال زعيمها العظيم (غاندي) . اغتاله أحد الهندوس المتعصبين ، لأنّ كان يحاول تطبيق روح هذه النصوص ، في معاملة المسلمين بالهند وعدهم نحو أربعين مليوناً .

اغتاله شاب ينتمي الى جمعية (راشتريا سويف سانغ) ، وهي جمعية تضم فرقاً من الارهابيين الهندوس المتعصبين ، الذين لا يطليقون وجود العنصر المسلم في الهند ، ويعملون على إبادته بوحشية منقطعة النظير .

هذه الجمعية تولت إبادة المسلمين إبادة شاملة في ولايات (بهرات بور) و (الوار) و (كابور غالا) .

وكان عددهم في هذه الولايات على التوالي : ١١٥٤٠٠٠ و ٢٥٠٤٠٠٠ و ٢١٣٦٧٠٤ فلم يعد أحد منهم يرى النور .

كذلك قامت هذه الفرق ، هي وفرق الشيخ الملحقة  
بعدابع يشتبه لها ولدان ، في دهلي وبعض أقسام البنجاب ،  
حيث قتل مئات الآلاف من المسلمين العزل ، واضطر من نجا  
منهم الى الهجرة ، فبلغ عدد من وصل الى باكستان من هؤلاء  
المهاجرين حوالي سبعة ملايين ، مات ضعفهم في الطريق من الجوع  
والعطش والاغتيالات . ووصل من وصل منهم الى باكستان في  
حالة يرثى لها ، مجردین من كل ما يملكون ، لأن حكومة الهند  
لم تستطع حياتهم أو لم ترد حياتهم ، وقد استولت على أملاكهم  
بمحنة أنهم نزحوا عن البلاد !

لقد بلغ قتل المسلمين خلال المذابح ، التي جرت في شرق البنجاب في شهر أغسطس سنة ۱۹۴۷ ، وفقاً لمعداد رسمي ۴۷۲۶۰۰۰ نسمة ، ومع هذا يصرخ رئيس المجلس التشريعي في إقليم المقاطعات المتحدة بالهند – في خطاب ألقاه بعدينة على كركرة – بقوله :

«ليس للسلميين حق في البقاء في الهند بعد أن ذبحوا الهندوس والسيخ في البنجاب»، فخير لهم أن يقادروا الهند في أقرب وقت، والواقع، أن فرق الارهابيين الهندوس والسيخ، ما كانت لتراءى شناعتها في هذه المذابح، لو لا أنها تعتمد على تشجيع كثير من الرجال المسؤولين في الهند أمثال هذا الرئيس.

وعلى الرغم من أن زعاء الهند يعرفون أن هذه الفرق تتبع  
النظام الفاشي المتطرف ، ولا تؤمن بالنظام الديمقراطي ، فانهم لم

يتخذوا أي إجراء للعجلة دون أعمالها البشرة، بل على العكس من ذلك نرى أن السردار بالإهابي باتيل، وكيل رئيس وزارة الهند ينصح رجال حزب المؤتمر: بأن لا يسيروا إلى أعضاء فرق (راشتريا سويف سونغ)، بمحجة أن أتباع هذه الفرق ليسوا مجردين، وإنما هم وطنيون متخصصون لوطفهم!

والحكومة الهندية تقوم بتجريد المسلمين من السلاح، وبذلك يصبحون فريسة سهلة لهذه العصابات المسلحة، التي لا يحاول أحد تحفيض سلطتها، بل تجد المساعدات السرية والعلنية من كثير من الرجال المسؤولين، الذين لا يخفون حقدهم على المسلمين ب مجرد كونهم مسلمين.

وهذه صورة مظلمة لأحوال المسلمين الباقيين في الهند، يرسمها السيد عبدالله دهلوبي في رسالة يعنوان: «المسلمون في الهند تحت حكم الإرهاب»، نقتطف منها هذه السطور:

يختلف مصير المسلمين في الهند بعد التقسيم باختلاف المقاطعات. حقاً إن نيران الاضطراب قد ثبتت أول ما ثبت، بعد التقسيم مباشرة في شرق البنجاب، وقد ثبتت بصورة لا تقبل الشك - بشهادة كثير من المراقبين السياسيين والنشرات العديدة - أن السكان المسلمين في هذا الأقليم، إما أن يكونوا قد أبىدوا عن بكرة أبיהם، أو طوردوا من مساكنهم حتى خلت البلاد تماماً من أي أثر لهم.

لقد بدأت الاضطرابات في قلب البنجاب، ثم انتشرت

بسرعة حق التهمت ثارها كل بقعة في الهند بدرجات متفاوتة . وبالرغم من أن طبيعة المدوان وطريقة إعداده ضد المسلمين ، سارت على وثيرة واحدة ، منها تفاوت المقاطعات ، فقد بدأه أولاً بتجريد جميع السكان المسلمين من السلاح ، لدرجة أن أصبح هذا العمل هدف رجال التواير الهندية الوحيدة . وكل بيت من بيوت المسلمين ، بغض النظر عن سلوك صاحبه وميله السياسي ، وكل مؤسسة من المؤسسات القومية للمسلمين والمساجد والمقابر ، وكل ماله علاقة بال المسلمين ، أصبح عرضة لتفتيش وحشى عن السلاح والذخيرة . أما أولئك الذين أدر كوا ماقدي يتعرضون له من ظروف قاسية نتيجة التقسيم وحاولوا النجاة بأرواحهم ، فقد كانوا عرضة لعامة البواليس القاسية ، وكثير من النظريات العسكرية الهندية ، خفت لمعونة الشرطة في هذا الطراد الوحشى القظيع .

وهنا استطاع الشرطة ، بمعونة الأهمالى من تجريد المسلمين حق من متعتهم الشخصى ، ولكي يبرر المندى بأعمالم الاجرامية هذه ، إدعوا بأنّ المفرين المتوجهين الى باكستان كانوا يهرّبون النساء الهنديات ! ومنعاً لوقوع مثل هذا العمل قررت السلطات اجراء تفتيش كامل لمجتمع النساء المسلمات ، اللواتي حاولن الزواج الى باكستان .

وهناك كثير من الحوادث الشاهدة بفضل كثير من العائلات عن رجالها ، وعدم السماح لها باستئناف السير يزعم أنّ على

أجاهن بعض علامات الوشم مما يدل على أنهم قد يكن غير مسلمات ! أما الملعون الذين قدر لهم البقاء في الهند ، فقد جردوا من كل شيء يستطيعون الانتفاع به في الدفاع عن أنفسهم . والمؤلم أن الهند لا يكتفون بما يفرضون من غرامات وسجن على المسلمين ، بدعوى أنهم هم الذين سبوا الاصطدامات ، بل حياة كل فرد منهم قد انحكت إلى أسوأ درك من درك المخوف ، والقلق في انتظار ما قد يأتي به القدر من عدوان جديد . هذه الصورة القاتمة يؤيدها تصرف الهند في ولاية حيدر آباد ، وفي ولاية كشمير . لقد كان حاكم الأولى مسلماً ، وأغلبها هندوسية ، فضلت إلى الهند بحسب أغلبها ، وقد كان حاكم الثانية هندوسياً وأغلبها مسلمة فافت الهند جوشها ، واحتلت أطرافها وهي إلى اليوم لا ترضى بترك الحرية لأهلها في استفتاء حر ليختاروا الدولة التي ينضمون إليها .

إن المسلمين يعانون الوبيلات في كل بقاع الأرض ، بينما الأقلية التي تعيش في الأمم المسلمة تستمتع بالأمن والطمأنينة ، والمساواة ثم تشكو !

إن النظام الإسلامي وحده ، دون الأنظمة التي عرفها العالم كله ، هو الذي يعامل الأقلية معاملة إنسانية . وسياسة هذا النظام في الأرض هي وحدتها التي تزيل تلك العنصرية البغيضة . فإذا نحن طالبنا بقيام هذا النظام على الأقل في الرقمة الإسلامية ، فإننا نطالب للبشرية كلها بعصر منير ، عصر كريم ، يليق بعالم الإنسان .

## كلمة الاسلام في الحرب والسلام

إن هذا الاسلام - عبادته الكلية عن الحياة ، وبفطرته العامة عن السلام - يلعن الحروب التي تخوضها البشرية في هذه الأيام ، ويلعن الأسباب التي تدفع بها الى الوجود ، ويلعن الداعين اليها والخائضين فيها . إنها حرب ملعونة المدّافع ، ملعونة النتائج .. لأنها كلها حرب على كلمة الله في الارض ، وحرب على المبادئ العليا التي أرادها .

ومن ثم ؟ فالإسلام يحرم علينا أن ننضم الى قوى الطاغوت في الأرض ، وأن نتعاون على الإثم والعدوان : « الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت » . وما من شّك ان يواعي هذه الحروب وأهدافها ليست في شيء من كلمة الله ، وليس بحال من الأحوال في سبيل الله .

وإن هذا الاسلام ، ليحرم علينا أن نتدبرنا الى الذين يؤذون المسلمين ، ويخرجونهم من ديارهم ، ويظاهرون على إخراجهم : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوك في الدين ، وأخرجوك من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان ترثونهم . ومن يتولهم فأنّهم هم الظالمون » .

ولقد اشتركت إنجلترا ، وأمريكا وعاصمتها روسيا ، في إخراجنا من ديارنا بفلسطين – وكل دار للسلطة دارنا – ولقد اشتركت فرنسا في إيداعنا ، ومقاتلتنا في الشهال الأفريقي كله وما تزال . ولقد قاتلوا جميعاً في الدين وما يزالون .

ومن ثم فكل معاهدة وكل تعاون ، مع واحدة أو أكثر من هذه الدول الأربع يحرمنا الإسلام تحريراً ، وبعد الدولة التي تعقدها خارجة على نص إسلامي صريح . فلا طاعة لهذه الدولة على رعایتها في التكير ، بل على الأمة أن ترد الدولة عن التكير بكل وسيلة وبكل طريق .

وإن هذا الإسلام ، ليحتم علينا أن ندفع عن البشرية الظلم وأن نبدأ بانفسنا في دفع الظلم عنا ، وليس ظلم على وجه الأرض أشع من الاستهانة ، وهو يتمثل بالقياس إلى الوطن الإسلامي اليوم في ثلاثة دول باغية ظالمة عادية: إنجلترا وفرنسا وإسرائيل .

ومن ثم ؛ فالإسلام يدعونا لأن نجاهد هذه الدول ، في كل ميدان ، وأن نفتتح في وجهها في أول فرصة تفتح لها ، وأن نعد أنفسنا في حالة حرب معها حتى تكف عن هذا العدوان : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

وما ينطبق على الدول والحكومات في هذا المجال ، ينطبق على الجماعات والأفراد ، فكل شركة وكل مؤسسة مالية أو تجارية ، وكل فرد ، يتعاون مع هذه الدول أي نوع من التعاون .. هو خارج على الإسلام ، مخالف عن أمر الله ، خارج

على الأمة الإسلامية ، مؤذ للمسلين في كل مكان .

وهؤلاء المقاتلون الذين يوردون الأطعمة او المهابات لجيوش هذه الدول في أي مكان ، وهؤلاء العمال الذين يعملون لهم في المسكرات ، او يقومون لهم بالشحن في الموانئ وسواها ، وهؤلاء الشيوخ المحترفون الذين يستخدمون ظاهر النصوص الدينية لإنقاذ المؤسسات الاستعمارية من ورطتها وتقديم العون لها ؟ إنما يخونون المسلمين . ويختانون أنفسهم . ويعصون الله ورسوله كلما امتدت أيديهم بلقمة او خدمة او معونة او فتوى !

إن الإسلام يحتم على كل فرد ، وكل هيئة ، وكل حكومة وكل دولة - في كل بلد إسلامي - أن يخاهم هذه القوى الباغية ، وأن يكافحها ، وأن يوجه إليها الطعنة التي يستطيعها بالطريق الذي يستطيعه . فتحن في حالة حرب دائمة معها حتى تكف عن المدوان علينا ، وتكتف عن البغي في الأرض كافة

هذه هي كامة الإسلام ، صريحة واضحة ، عالية مدوية ، تفتح لنا طريق الخلاص ، وترسم للبشرية كلها طريق السلام ، السلام الكامل الشامل ، المبرأ من البغي والفساد والمدوان .

إن الإسلام قوة تحريرية ، تطلق في الأرض لتحرير البشر من أغلالهم ، وتنعمهم الحرية والنور والكرامة ، دون نظر إلى عصبية دينية . فإذا اصطدمت هذه القوة المصلحة البانية بقوى الشر والطفيان ، كان عليها أن تكافح قوى الشر في الأرض حتى تمحوها .

وحين ينطلق الإسلام ليقوم بواجبه في التحرير والتطهير ، لا ينسى أن مصلحة البشرية العليا هي هدفه الأول ، لا مصلحة الفاقعين الشخصية ، ولا مصلحة المسلمين الخاصة . فلا مجال فيه لفكرة الدولة المقدسة ، التي تبيع المخطوط ، وتبرر المنكر ، وتصف الفدر والنفاق والكذب بالبراعة السياسية ، او تصف القسوة والجرحية والوحشية بالبطولة الحربية .

إن الحرب التي يخوضها الإسلام هي حرب التحرير البشرية : الحرب على النظم الاقطاعية والاستبدادية ، وعيوبية البشر لناس من البشر ، وعلى الطغيان والظلم والشطط ، وعلى المغافلات والأوهام والأساطير ، حرب التحرير بكل معاناتها وفي كل ميادينها . الحرب الحالمة من الهوى ، ومن الدوافع الاقتصادية ، والعنصرية ، والتحكمية ، الحرب التي يشرف الإنسانية أن تخوضها ، لأنها تقرير للصفات الإنسانية ، وللحقوق الإنسانية ، وللبادي الإنسانية .

إنما ليست الحرب التي تديرها رؤوس الأموال المجرمة ، لتربيح من وراء الصناعات الجهنمية التي تقتات بالأرواح والأجسام ، وتبتلع المضارعات والمدنیات . وتحطم النفوس والأخلاق . أو التي تديرها الشركات الاحتكارية ، لخيانة مصالحها في البلاد المستعمرة ، واستغلال خاماتها من الموارد الطبيعية والبشرية ، وفتح أسواقها للمنتجات والصناعات ، أو تديرها البيوت المالية الربوية ، لتحقيق أرباحها الفاحشة . وضمان

المكب الحرام ، واستغلال الفرص ، والصيد في الماء المكر .

إنها ليست الحرب التي تريد لضرب بسور فولاذي على الشعوب دون المعرفة والعلم والحضارة ؟ كي يبقى أبناء البلاد المختلفة عبئاً بما يكفي ، يساقون سوق الماشية إلى الذبح ، في ذلك وفي جهل وفي استسلام .

إنها ليست الحرب التي تخوضها الحضارة الفربية القدرة ضد الإنسانية ، جرياً وراء الربح المادي ، والاستعباد العنصري ، والتعصب الديني ، كذلك الحروب التي عرفها العالم العربي في كل تاريخه الملوث الطويل .

إنما هي الحرب التي تحمل معها المساواة ، والعدالة ، والكرامة ، لكل كائن بشري على سطح هذه الأرض ؛ وتحقيقها في عالم الواقع وعالم المثال .. تتحققها في التشريع وفي التنفيذ .. تتحققها للأسود والأبيض ، والسلم وغير السلم . تتحققها في صورة واحدة ، وبأداة واحدة ، وفي مستوى واحد لجميع الناس .

فإذا نحن ألقينا من هذه القيمة الشائكة – التي يقف عليها الإسلام وحده منفرداً – نظرة على المستنقع الآسن ، الذي تلغ فيه الحضارة الفربية ، أدركتنا بعد الشقة بين نظام ينزله الله للبشر ، ونظام يضعه الناس للناس . وأدركتنا كم خسرت البشرية يوم تذكرت لنظام الله ، وهي تتعازز في تكبر مضحكتك ؛ وفي تعلم مضحكتك ، تزيد أن تقول : إنها تريد لنفسها خيراً من ارادة الله . وإنها تلك لنفسها خيراً مما أعطاها الله !

وستظل هذه البشرية تطير في طريق كلها منحدرات وآكلام ، وتلعن في كل مستنقع آسن ، من صنع الحضارة الكافرة المفروضة الضالة عن الله ؛ إلى أن يتسلم الإسلام الزمام ، فيقود البشرية الحائرة إلى مثابة العدل والنظام والسلام .

• • •

## حسن البناء وعقبة البناء

في بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور ،  
وحكمة مدبرة في كتاب مطمور .. حسن « البناء » .. إنها  
 مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه .. ولكن من يقول : إنها  
 مصادفة ، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء ، وإحسان  
 البناء ، بل عقريمة البناء ؟

لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيراً من الدعاء .. ولكن  
 الدعاية غير البناء .. وما كل داعية يملك أن يكون بناء ، وما  
 كل بناء يرهب هذه العقريمة الضخمة في البناء ..

هذا البناء الضخم .. الإخوان الملعون .. إنه مظهر هذه  
 العقريمة الضخمة في بناء الجماعات .. إنهم ليسوا مجرد مجموعة من  
 الناس ، استجاش الداعية مثاعرهم ووجداداتهم ، فالتقوا حول  
 عقيدة .. إن عقريمة البناء تبدو في كل خطوة من خطوات  
 التنظيم .. من الأسرة إلى الشعبة ، إلى المنطقة ، إلى المركز  
 الإداري ، إلى الهيئة التأسيسية ، إلى مكتب الإرشاد ..

هذه من ناحية الشكل الخارجي ، - وهو أقل مظاهر هذه

العصرية - ولكن البناء الداخلي لهذه الجماعة أدق وأحكم ، وأكثر دلالة على عصرية التنظيم والبناء .. البناء الروحي .. هذا النظام الذي يربط أفراد الأسرة وأفراد الكتبية وأفراد الشعبة . هذه الدراسات المشتركة ، والصلوات المشتركة ، والتوجيهات المشتركة ، والرحلات المشتركة ، والمعسكرات المشتركة .. وفي النهاية هذه الاستجابات المشتركة والمشاعر المشتركة ، التي تجعل نظام الجماعة عقيدة تعمل في داخل النفس ، قبل أن تكون تعليمات وأوامر ونظمًا .

والعصرية في استخدام طاقة الأفراد ، طاقة المجموعات ، في نشاط لا يدع في نفوسهم ولا يدعهم يتلفتون هنا أو هناك يبحثون عما يلاؤن به الفراغ .. إن مجرد استشارة الوجдан الديني لا يكفي .. وإذا قصر الداعية منه على هذه الاستشارة فإنه سينتهي بالشباب خاصة إلى نوع من الهوس الديني ، الذي لا يبني شيئاً .. وإن مجرد الدراسة العلمية للعقيدة لا يكفي .. وإذا قصر الداعية منه على هذه الدراسة ، فإنه سينتهي إلى تجفيف النابع الروحية التي تكتب هذه الدراسة نداوتها وحرارتها وخصوصيتها . وإن مجرد استشارة الوجدان والدراسة معاً لا يستقران الطاقة ، فستبقى هنالك طاقة عضلية ، وطاقة عملية ، وطاقة فطرية أخرى في الكسب والمتاع والشهرة والعمل والفتال ..

وقد استطاع حسن البناء أن يفكر في هذا كله .. وأن يلهم هذا كله ، فيجعل نشاط الأخ المسلم يمتد - وهو يعمل في نطاق الجماعة - إلى هذه الحالات كلها ، بحكم نظام الجماعة ذاته .

وأن يستند الطاقات الفطرية كلها ، في أثناء العمل للجماعة ، وفي مجال بناء الجماعة .. استطاع ذلك في نظام الكتاب ، ونظام المskرات ونظام الشركات الإخوانية ، ونظام الدعاة ، ونظام القذائيين ، الذين شهدت معارك فلسطين ، و المعارك القتالى تماذج من آثاره ، تشهد بالعبرية لذلك النظام .

وعبرية البناء في تجميع الأذنات من النفوس ، ومن العقليات ومن الأعمار ، ومن البيئات .. تجمعها كلها في بناء واحد . كما تجمع التفهams المختلفة في اللحن العقري .. وطبعها كلها بطابع واحد يعرفون به جميعاً ، ودفعها كلها في اتجاه واحد .. على تابن المشاعر والإدراكات والأعمار والأساطير ، في ربع قرن من الزمان .

ترى أكانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه ؟ أم أنها الارادة العليا التي تنسق في كتابها المسطور بين أصغر المصادفات وأكبر المقدورات في توافق واتساق ؟

• • •

ويضي حسن البناء إلى جوار ربه ، يضي وقد استكمل البناء أسمه ، يضي فيكون استشهاده على النحو الذي أريد له : عملية جديدة من عمليات البناء .. عملية تعميق للأساس ، وتنمية للجدران . وما كانت ألف خطبة وخطبة ، ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهم الدعوة في نفوس الإخوان ، كما ألهبتها قطرات الدم الزكي المهرات .

إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع ، حق إذا متنا في سيلها  
دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة .

وحيثما سلط الطفأة الأقزام الحديد والنار على الأخوان ،  
كان الوقت قد فات ، كان البناء الذي أسره حسن البناء قد  
استطال على الهدم ، وتعمق على الاحتياط . كان قد استحال  
فكرة لا يدمها الحديد والنار ، فالحديد والنار لم يدمما فكرة في  
يوم من الأيام . واستعملت عقيرية البناء على الطفأة الأقزام ،  
فذهب الطفيان ، وبقي الأخوان .

ومرة بعد مرّة ، نزت في نفوس بعض الرجال — من  
الأخوان — نزوات .. وفي كل مرّة سقط أصحاب هذه النزوات  
كما تسقط الورقة الجافة من الشجرة الضخمة ، أو ازوت تلك  
الزوجة ، ولم تستطع أن تحدث حدثاً في الصفوف .

ومرة بعد مرّة ، استمسك أعداء الأخوان بفرع من تلك  
الشجرة ، يحبونه عميقاً في كيانها ، فإذا جذبوا إليهم جذبوا  
الشجرة ، أو اقتلعوا الشجرة ... حق إذا آن أو ان الشد خرج  
ذلك الفرع في أيديهم جافاً يابساً كالحطبة الناثفة ، لا ماء فيه  
ولا ورق ولا ثمار !

إنها عقيرية البناء ، تندى بعد ذهاب البناء ..

• • •

واليوم يواجه بناء الأخوان خليطاً ما واجهه في الماضي ..

ولتكن اليوم أعمق أساساً ، وأكثـر استطالة وأشد قواماً ..  
اليوم هو عقيدة في النفس ، وماض في التاريخ ، وأمل في  
المستقبل ومذهب في الحياة .. ووراء ذلك كلـه إرادة الله التي  
لا تُغلـب ، ودم الشـهدـى الذي لا ينسى .

فنـ كان يريد بهذا البناء سـواً ، فـ يـذكر أن طـفـان فـارـوقـ  
ـ وـ من خـلقـه إنـجـلـتراـ وأـمـريـكاـ لـم يـهـدمـ منهـ حـجـراـ ، وـ لم يـاتـرـكـ  
ـ فـيهـ ثـغـرـةـ .. إـنـ المـسـتـقـلـ بـهـ الـعـقـيـدـةـ الـقـيـدـةـ الـقـيـدـةـ ..  
ـ وـ فـيـ كـلـ أـرـضـ إـسـلـامـيـةـ الـيـوـمـ نـدـاءـ بـالـمـوـدـةـ إـلـىـ الـرـاـيـةـ الـوـاحـدـةـ ،  
ـ الـقـيـدـةـ الـقـيـدـةـ .. الـقـيـدـةـ الـقـيـدـةـ .. الـقـيـدـةـ الـقـيـدـةـ ..  
ـ وـ فـيـ كـلـ أـرـضـ إـسـلـامـيـةـ الـيـوـمـ نـدـاءـ بـالـمـوـدـةـ إـلـىـ الـرـاـيـةـ الـوـاحـدـةـ ،  
ـ الـقـيـدـةـ الـقـيـدـةـ .. الـقـيـدـةـ الـقـيـدـةـ .. الـقـيـدـةـ الـقـيـدـةـ ..  
ـ جـسـماـ حـيـاـ كـامـلاـ ، يـزـقـ الـاسـتـهـارـ .

ـ إـنـ طـبـائـعـ الـأـشـيـاءـ تـقـضـيـ اـنـتـصـارـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ ، فـلـقـدـ اـنـتـهـتـ  
ـ مـوـجـةـ التـفـكـكـ وـالـتـمـزـقـ .. وـلـمـ تـقـعـ الـفـكـرـةـ إـلـاـسـلـامـيـةـ فـيـ تـلـكـ  
ـ الـفـتـرـةـ الـمـظـلـةـ ، فـيـهـاـ إـذـ أـنـ غـوـتـ الـيـوـمـ فـيـ مـوـجـةـ الـبـيـقـظـةـ  
ـ وـالـأـنـقـاضـ وـالـإـحـيـاءـ ..

ـ وـلـقـدـ اـخـتـلـطـتـ الـفـكـرـةـ إـلـاـسـلـامـيـةـ بـنـاءـ الـأـخـوـانـ الـسـلـمـيـنـ ، فـلـيـعـدـ  
ـ مـمـكـنـاـ أـنـ يـفـصـلـ بـيـنـهـاـ التـارـيخـ ، وـمـنـ "ـتـمـ"ـ لـمـ يـعـدـ مـمـكـنـاـ أـنـ يـفـصـلـ  
ـ بـيـنـهـاـ أـحـدـ فـيـ الـيـوـمـ أـوـ الـقـدـ ..

ـ وـلـقـدـ كـانـ الـاسـتـهـارـ فـيـ الـمـاضـيـ يـسـتـخـدـمـ أـجـهـزةـ لـتـخـدـيرـ يـلـبـسـهاـ  
ـ نـوـبـ الدـيـنـ : اـسـتـخـدـمـ رـجـالـ الـطـرـقـ ، وـاسـتـخـدـمـ رـجـالـ الـأـزـهـرـ ،

كما استخدمهم طفيان السrai .. أما اليوم فلم يعد ذلك ممكناً .. إن الفكره الاسلامية اليوم ، يمثلها بناء الاخوان ثيشلا قويماً ، فلا سبيل الى التمويه باي جهاز .. والأزهر ذاته – وقد خضع للطفيان طويلاً ، وخضع للإستعمار – ها هؤذا أخذ في الاتفاض والتحرر ، وهؤلاء طلابه وأساتذته ، ينضمون جماعات وأفراداً الى صفوف الاخوان ، المحنن الأول للفكره الاسلامية كما يلبيني أن تكون .

« كتب الله لأغلبِنَا ورسلي ، إنَّ الله قويٌّ عزيزٌ »

• • •

# عَدَالَةُ الْأَرْضِ

## وَدَمَ الشَّهِيدِ حَسَنِ الْبَشَّارِ

قضية هذا الدم الزكي لا تزال بين يدي القضاء ، فلا تعليق  
لي عليها في موضوعها ووقائعها ؛ ولكنها تثير في النفس اشجاناً ،  
وتكشف في الوقت المناسب عن حقائق ، وتوجه النظر الى  
حقيقة عدالة الأرض ، وترفع البصر الى عدالة السماء ، وتغيير بين  
ما يصنعه البشر من القانون ، وما يصنعه الله من الشريعة ..  
«إن في ذلك لذكرى من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»  
إن مثل الاتهام يقول :

«وَبِعَا أَنَّ الْوَاقِعَةَ – كَمَا أَظْهَرَهَا التَّحْقِيقُ – تَتَلَغَّصُ ؛ فِي أَنَّ  
الْأَمِيرَ الْأَيِّ مُحَمَّدَ عَبْدَ الْجَيْدِ ، بِيَدِ النَّيْةِ عَلَى قَتْلِ الْأَرْشَدِ الْعَامِ  
بِجَمَاعَةِ الْأَخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ » الْمَرْحُومُ الشِّيْخُ حَسَنُ الْبَشَّارِ » إِنَّمَا  
يَصِلُّ التَّحْقِيقُ إِلَى تَحْدِيدِ إِنَّ كَانَ فِي ذَلِكَ مُتَفَقًا عَلَيْهِ مَعْ لَوَاءِ  
الْأَمْرُورِ فِي الدُّولَةِ – وَقَتْنَدَ – أَوْ أَنَّ كَانَ يَعْمَلُ هَذَا ، حَقَّ يَحْسُنُ  
بِتَقْدِيرِ لَوَاءِ الْأَمْرُورِ أَوْ لَيْكَ ، لِتَقْتَلَ فِي أَنَّهُمْ اهْدَرُوا دَمَ الْجَنَّى عَلَيْهِ ،  
فَبَاتَ تَفْعِيلُ قَتْلِهِ أُمْنِيَّةً يَتَوَقَّونَ إِلَيْهَا وَيَرْجُونَ لِتَحْقِيقِهِ .

وَتَتَفَيَّدُ لِمَا بَيْتَ الْأَمِيرَ الْأَيِّ مُحَمَّدَ عَبْدَ الْجَيْدَ النَّيْةَ عَلَيْهِ ،  
أَسْتَقْدِمُ إِلَيْهِ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَعْرَفُ فِيهِمُ الْإِسْتَعْدَادُ الْإِجْرَامِيُّ

لارتكاب هذه الجريمة ، والذين وقع اختياره عليهم لتدبرها وتنفيذها ، وهم الصاغ حسين كامل ، واليوزباني عبد ارمانيوس ، والأماشي أحد حسين جاد ، ووكيل الباشاويش محمد اسماعيل ، والأماشي حسين محمد بن رمضان ، والباجاويش محمد محفوظ محمد ، ومصطفى محمد أبو الليل ، ويوسف أبو غريب ...

الخ ..

وينتهي مثل الاتهام الى المطالبة برؤوس هؤلاء الذين حددتهم عريضة الاتهام ، ويقف مكتوف اليدين أمام « ولادة الأمور أولئك الذين أهدروا دم الجني عليه » ، لأن قانون الأرض الذي بين يديه ، لا يساعده ولا يساعد العدالة على الأخذ بتلبيةهم على الأقل بتهمة « إهدار دم الجني عليه » ، وهم المكلفوون حماية هذا الدم البري ..

والقضية بين يدي القضاء فيما يختص بالتهمين ، فلا تعلق لي على موضوع الدعوى ولا حوارتها ... ولكن لنفرض ان المحكمة قد أثبتت مثل الاتهام الى كل طلباته ، وسلفت اليه رؤوس هؤلاء المتهمن .. فماذا تساوي تلك الرؤوس بالقياس الى رأس حسن البناء ؟ وماذا تساوي تلك الدماء بالقياس الى ذلك الدم الذي أريق ؟

الا ما أعجز عدالة الأرض حينئذ وما أقصرها عن المعدل في أضيق معانيه !

إن أكبر الرؤوس في ذلك المهد الأثم ، رؤوس « ولادة الأمور أولئك » كما يعبر عنهم مثل الاتهام في احتقار . إن أكبر الرؤوس

يُوْمَ ذَلِكَ مُجْتَمِعَةٌ، لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ مُوْطَنًا لِقَدْمَ ذَلِكَ الشَّهِيدِ  
الْكَرِيمِ، وَلَا تَحْقِقُ ذَلِكَ الْقَسَاصُ الْعَادِلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَهْدِ الْفَاجِرِ  
وَمُمْثِلِهِ أَجْمَعِينَ.. فَكَيْفَ بِبَضْعَةِ رُؤُوسٍ صَغِيرَةٍ أَكْبَرُهَا رَأْسُ ذَلِكَ  
الْأَمْرِ الْأَيِّ الصَّغِيرِ؟

هنا تبدو عدالة الأرض قاصرة ، وينبئون بشرع الأرض  
هزيلا ، وينبئون بشرع الأرض أقزاما ..  
وهنا تبدو المسافة هائلة بين شرعي الله للبشرية وشرع  
الإنسان .

ما جزاء ولي الأمر الذي يهدى دم البراء الطاهر ؟  
 ماذا تقول عدالة الأرض في ذلك الاتهام الذي يذكّره مثل  
 الاتهام على سبيل الجزم والتأكيد ؟  
 لعل الحصانة الكاذبة « لولاة الأمور أو لئك » هي التي قيدت  
 بد مثل الاتهام ، فلم يستطع اليهم سبيلا !  
 فأيّ زيف زيف تلك الدساتير التي تسبح الحياة على  
 الجرمين ، وترفعهم فوق العدالة وفوق القانون ؟ وأيّ عجز في  
 عدالة الأرض كلها وأيّ قصور ؟

إن عدالة الأرض هذه ، لتعنّم محكمة النقض في مواطن كثيرة أن تحكم ببطلان الحكم الجائز ، إذا لم تجد سبيلاً لقبول الطعن فيه شكلاً ، فإذا كانت الإجراءات الشكلية كلها صحيحة ومستوفاة وفقت محكمة النقض عاجزة عن أن تنفذ إلى الموضوع ،

منوعة من إحقاق الحق الذي رأه ، مكتوفة عن رفع الظلم الذي تعتقده !

وحق حين تجده منفذًا في الشكل ، فإنها تقف مكتوفة اليدين إذا لم تجد في التطبيق القانوني الموضوعي خطأ . . . مهلا يكن الحكم مع ذلك جائزًا .

ولقد وقف القاضي عبد العزيز فهمي هذا الموقف ، في قضية البداري : لا يجد سبلاً إلى دفع الظلم وتحقيق العدل إلا صرخة يبشعها من أعماق ضميره ، صرخة في وجه قانون الأرض الذي يقف جامدًا مكتفلاً بالإجراءات !

وتخطىء ، المحكمة ذاتها ، ثم يتبعن لها الخطأ بعد أن تصدر حكمها ، فلا غلوك حيث إن ترجع إلى الصواب . . . لقد خرج الأمر من يدها ب مجرد اصدار الحكم !

هاها ! هاها لعنة الأرض التي ترى الحق واضحًا ، ولكنها لا تلتفت الرجوع إليه ، لأن الأمر خرج من يدها ( عاشرة على الإجراءات ) ! .

أما عدالة السهام فتقول : إن الرجوع إلى الحق فضيلة ولا تقع القاضي الذي يصدر الحكم ، ثم يتبعن له خطؤه أن ينقض حكمه بنفسه ، وأن يرتد إلى الحق ، لأن الحق أولى بالاتباع . وبالطبع لا تقف أمام محكمة أخرى أن ترد الحق إلى نصبه بمجرد أن يتبعن الحق ، غير مقيده بهذه ( الشكليات ) التي يؤورها

قانون الأرض على العدل ، ويصون اعتبارها ولو بإهدار دماء الأبرياء .

فأين عدالة الأرض من عدالة السهام ؟ !

إننا حين نطلب للإسلام أن يحكم ، وحين نطلب لشريعته أن تكون مصدر التشريع .. إنما نطالب بشرعية أرقى ، وبإجراءات أدق ، وبعدالة أكمل .

والجاهلون يقولون : أتريدوننا على أن نرتد إلى الوراء ، أربعة عشر قرنا ؟ !

يا للغرور ! يا للجهالة ! إن قانونكم هو القاصر العاجز ، وإن شريعكم هو المتأخر الخامد ..

إن شريعتنا التي ندعوك إليها لا تقبل بيد القاضي عن الموعدة إلى الحق ، في أي وقت ، وفي أي دور من أدوار المحاكمة ، حتى بعد الحكم ، له أن يعود إلى الحق الذي يراه .

إن شريعتنا لا تقف جامدة مثلاولة أمام القلم الواقع والعدل الصائغ ، لأنها تريد المحافظة على كرامة الإجراءات دون كرامة العدل والحق والقضاء .

إن شريعتنا لا تقتفي عاجزة أمام ملك ، ولا رئيس جمهورية ، ولا رئيس وزارة ، ولا وزير ولا كبار .. فحيثما كانت جريمة فشرعيتنا حاضرة لردع المجرم كائناً منصبه ما كان .

إن شريعتنا لا تسمي القاتل ولا المغرض على القتل صاحب

الجلالة ، ولا تصنون ذاته المقدسة ، ولا تضمه فوق القانون .  
إن شريعتنا لا تدع ولاة الأمور يدرون دم الأبرياء ، ثم  
يروحون ناجين لا تندى إليهم يد القانون الشلاء العزلاء .  
هذا نحن ندعوا إلى تحكيم شريعة الإسلام ، لأنها شريعة  
أكثر تقدماً ، وأوسع أفقاً ، وأكثر مرونة .. ولأن قانونك  
الأرضي قاصر جامد مختلف لا يلي داعي الزمن ، ولا يقتضي  
لدماء الأبرياء !

٠ ٠ ٠

تساوقت هذه الخواطر في نفسي وأنا أطالع صحفة الاتهام ،  
وأنا أبصر بيد العدالة الأرضية قصيرة عاجزة شلاء . وأنطلع إلى  
عدالة السماء فأراها شاهقة سامقة متوفقة شماء .  
وقلت : ألا يفتح الله على هذه البشرية فتخرج من مضيق  
الأرض إلى فسحة السماء ؟ ألا يكشف الله عن بصيرة النام  
فيصروا التور الذي يتخطبون دونه في دياجير الظلام ؟  
إن أشد ما يثير الضحك المر .. رجال القانون عندنا ،  
أولئك الذين يحسبون شرائهم عصرية تقدمية ، ويعدون شريعة  
الله قديمة ورجعية !

إنهم لا يكافون أنفسهم النظر في شرائهم وشريعة الله ،  
ليعلموا أن عقليه التشريع التي بين أيديهم جامدة قاصرة ، حين  
تقاس إلى الشريعة السمحنة الحرمة الدقيقة العادلة .  
إنهم جهلاء ويخسرون أنفسهم متحررين ؟ « وإذا قيل لهم :  
لا تقدروا في الأرض . قالوا : إنما نحن مصلحون ! ألا إنهم هم  
المفسدون ولكن لا يشعرون » .  
غفر الله لهم وهداهم إلى الحق . والحق منهم على قيد ذراع .

## دَعْوَتَنَا

دعوة الإخوان دعوة بسيطة واضحة ، لا تعقيد فيها ولا غموض . ومع هذا فقل "أن نجد من يفهمها فهماً صحيحاً في خارج عبiquit الإخوان .

إن دعوة الإخوان هي دعوة الإسلام .. دعوة إلى إقامة المجتمع على أسس إسلامية . فما هي هذه الأسس الإسلامية ؟

إن الإسلام عقيدة ، تنبثق منها شريعة ، ويقوم على هذه الشريعة نظام .. ولكن الأوطان الإسلامية تعيش فيها أقلية لا تؤمن بالإسلام ، وطاعقائد أخرى . فما يكون موقف هذه الأقلية من تطبيق النظام الإسلامي ؟

إن النظام الإسلامي ذاته يحيط على هذا السؤال ببساطة :

إن هذا النظام يكفل للأقلية حرية الاعتقاد كامنة ، فلا يمسها في عقيدتها ، ولا في عبادتها ، ولا في أحواها الشخصية . فهذه كلها تجري وفق عقيدة كل أقلية ، بدون تدخل من الدولة إلا في حدود الحياة المفروضة لجميع العقائد ، شأنها شأن العقيدة الإسلامية في هذا النظام .

فاما التشريعات التي تحكم المجتمع ، وتحدد علاقاته الأخرى -  
خارج دائرة الأحوال الشخصية - فهي التي يحتم فيها الإسلام  
أن تكون وفق الشريعة الإسلامية . و شأن هذه الشريعة بالنسبة  
للأقليات ، شأن أي تشريع آخر ينظم الحياة الاجتماعية . فهو  
تشريع جنائي ومدني وتجاري و دولي ، قائم على أساس أخلاقية  
ترتضىها جميع الديانات . وهو من هذه الناحية أقرب إلى روح  
المسيحية أو روح اليهودية من التشريع الفرنسي الذي يحكمنا ،  
والذي يستند إلى التشريع الروماني لوثني المادي أكثر مما يستند  
إلى روح المسيحية .

فما الذي يضرر أية أقلية ؟ في أن يكون التشريع المدني  
والتجاري والجنائي مستمدًا من الشريعة الإسلامية ، ما دامت  
حرية الاعتقاد وحرية العبادة وحرية الأحوال الشخصية مكفولة  
في النظام الإسلامي ، لأن حاليها جزء أساسي في هذا النظام ؟  
وما دامت مبادئ التشريع الإسلامية تتضمن أساساً التشريع  
الحديث ، يعترف الشرعون الحدوثون أنفسهم بأنها أرقى من  
التشريع المدني المستمد من التشريع الروماني .

أي فرق بين أن تستند الدولة تشريعاتها من الشريعة  
الإسلامية او من التشريع الفرنسي بالنسبة للمسيحي مثلاً ؟ إن  
القانون الفرنسي لا يكفل له ضمانات أوسع مما تكفل له الشريعة ،  
ولا ينبع في الدولة حقوقاً أكبر مما تمنحه الشريعة ، والشريعة لا  
تفس وجدانه الديني ولا عباداته الخاصة ولا أحواله الشخصية بل  
تكتفلها وتحميها حماية كاملة لا مزيد عليها .

وحق في التشريع الجنائي والتجاري والمدني فإن ما يتعلق بالعقيدة وبنبغي عليها يلاحظ النظام الإسلامي فيه إلا يجر الأقليات على تشريع يس عقيدتهم .

فالإسلام مثلاً يجرم شرب الخمر على المسلمين، ويعاقب الشراب عقوبة خاصة . ولكن اذا كانت هناك أقليات تتبع عقائدها فشرب الخمر . فإن الإسلام لا يعاقب هذه الأقلية .

والإسلام مثلاً لا يجرم الخمر او الخنزير ما لا مقوماً . فإذا كان الخمر او الخنزير ملكاً لسلم وأتلف ، لم يكن على متصفه عقوبة ولا تعويض . فاما اذا كان ملكاً لغير المسلم من يبيح لهم دينهم تجارة الخمر والخنزير ، فإن المعتدي عندئذ يغرم .

كذلك الزكاة ، فهي معتبرة في الإسلام ضريبة وعبادة في وقت واحد . ومن ثم لا يكلّفها أصحاب الديانات الأخرى – ما لم يرغبوها في أدائها – ولكنهم يدفعون مقابلها ضريبة لا تحمل معنى العبادة ، كي لا يجرروا على اداء عبادة إسلامية ، في الوقت الذي يجب أن يساهموا في التأمين الاجتماعي للأمة ، لأنهم يتمتعون بشارة التأمين الاجتماعي – الذي فرضت الزكاة من أجله – ويتمتعون بالضياءات الاجتماعية عن طريق هذا التأمين .

وهكذا نجد النظام الإسلامي يلاحظ أدق المشاعر الوجدانية لمعتقدات الديانات الأخرى ، لا في الأحوال الشخصية فحسب ، ولكن كذلك في دائرة التشريع الجنائي والمدني والتجاري . وهي فة لا يبلغ إليها أي تشريع أرضي من التشريعات الحديثة .

وهناك سحب من التضليل حول الحكم الإسلامي، فيما يختص بالعقوبات: فحكاية قطع يد السارق مثلاً تصاغ حولها أتعجب التصورات الساطلة !

إن الكثرين يتصررون عشرات الآلاف من مقطوعي الأيدي غداة تطبيق الشريعة الإسلامية .. وهذا وهم غريب .. إن الإسلام لا يقطع يد السارق ؛ إلا بعد أن يوفر للجميع كل ضمادات الحياة المادية ، ويكتفى لهم الكفاية من الطعام والشراب واللباس والسكنى وسائر الضروريات .. وبعد هذا لا قبله تقطع يد السارق . لأنه يسرق حينئذ بلا شبهة من حاجة أو ضرورة . وحين توجد الشبهة فإنها تمنع الحد ، وتعالج الحالة بالتعزير ، أي بالعقوبات الأخرى ، ومنها الحبس مثلًا .

فأي ضير يصيب مسلمًا أو غير مسلم في تطبيق نظام كهذا النظام؟ وأي فلق يحوز أن يساور ضيقاً إنسانياً، لأن شريعة بهذه الشرعية تستمد منها القوانين التي تحكم الحياة.

• • •

والآخر الملعون يدعون إلى تربية الناس على الأخلاق الفاضلة  
ليمكن أن ينفذوا التشريع بإخلاص ، ويراقبوا وجه الله في  
السر والعلن ، ويتبعوا بأعمالهم هدفًا أعلى من الأرض .. فإذا يضر  
الأقليات في هذه الدعوة ، وأدانيهم تدعوا إلى مثل ما يدعوا إليه  
الإسلام ، وتشترك معه في تهذيب الروح البشرية ورفعها إلى  
مستوى اللائق بعالٍ يصدر عن الله .

والإخوان المسلمون يدعون إلى تخلص الوطن الإسلامي كله من الاستهمار . وكل أهل رقة مكلفوون أولاً أن يخلصوا رقعتهم ، وأن يتعاونوا مع سواهم .. فماذا في هذا من ضير على الذين يدعون إلى القومية ، والإسلام يحقق أهدافهم القومية وزيادة ؟ وما الذي يضر الأقليات أو غير الأقليات في الناحية القومية أو غير القومية ، والإسلام يكافح لتحرير الجميع من كل استهمار .

وأعجب وهم يراود الكثرين حول دعوة الإسلام أنهم يطالبون بحكومة دينية ، أي بتحكيم الشيوخ المعممين في شؤون الحياة ! والإخوان المسلمون لم يقولوا يوماً مثل هذا الكلام . إنهم يطالبون بالحكم الإسلامي ، أي بتنفيذ الشريعة الإسلامية . والشريعة الإسلامية لا تقتضي عصائب وشيوخاً ، لأن الإسلام لا يعرف هيئة دينية معينة تتولى السلطة . ومتى نفذت الشريعة الإسلامية فقد تحقق الحكم الإسلامي .

وتكون هيئة الإخوان المسلمين ذاته ينفي فكرة حكومة رجال الدين – على الصورة الموهومة التي يظنها بعض الناس – فهم خليط من جميع طبقات الشعب ، ومن جميع أنواع الثقافات ، وليسوا هيئة دينية بالمعنى المفهوم من هذه الكلفة في أوروبا أو غيرها . فالتمسك بأن الحكم الإسلامي معناه حكم رجال الدين ، هو مجرد عملية تضليل وإيهام لا تستند إلى شيء من الواقع .

إن دعوة الإخوان دعوة واضحة صريحة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض . ولكن الجهل بحقيقة الإسلام هو الذي يسمح لذوي

الأغراض والمعصبين أن يطلقوا هذه الأوهام ، فتجد من  
يصدقها بحكم الجهل القاتل بين المسلمين أنفسهم في هذه البلاد .  
إن الإنصاف يقضي أن نقول : إن دعوة الإخوان المسلمين  
دعوة مجردة من التعصب ، وإن الذين يقاومونها هم المعصبون ،  
او هم الجهلاء الذين لا يعرفون ماذا يقولون .

• • •

## عقيدة وفتح

حيّا الله الإخوان المسلمين .. لقد تلقت مصر حين جدّ  
الجدّ ، وخرجّ الأمر ، ولم يعدّ الجهاد هنافاً وتصفيقاً ، بل علا  
وتصفيقاً ، ولم يعد الكفاح دعابة وتهريجاً ، بل فداء واستشهاداً .  
لقد تلقت مصر ، فلم تجد إلا الإخوان حاضرين للعمل ،  
مثلي للبذل ، مستعدّين للداء ، مدربين للكفاح ، معتزمين  
الاستشهاد .

لقد تركوا غيرهم يخطبون ويكتبون، أما هم فذهبوا فعلاً  
إلى ساحات الجهاد. ولقد تركوا غيرهم يجتمعون وينقضون،  
أما هم فقد حلوا سلاحهم ومضوا صامتين... .

غيرهم يحاول أن يأخذ طريقه الى العمل ، ويحاول أن يبدأ بالفعل في التدريب . أما هم فكانوا وحدهم عدة مصر المهاة ، عدة مصر الحاضرة ، عدة مصر العاملة ، عدة مصر التي أعدت نفسها للجهاد ، فلبت منذ اليوم الأول داعي الجهاد .

ومع بروز هذه الحقيقة ، فإن بعض السفاه شرعوا أفلامهم ليحاربوا الإسلام . وبعض التافهين شرعوا أستههم للنيل منهم .

ومن عجب أن تكون دعوى السفهاء والتافهين أن الإخوان يتحدون عن القرآن والمركة قاترة في الميدان، الميدان الذي لم يقتسمه حق اللحظة إلا الإخوان!

إن الصفار المزولين لا يدركون روح الإسلام، التي يسير على هديها الإخوان. إن أرواحهم المزيفة الفضيحة المدغولة لا يمكن أن ترتفع وتتسع لشرف على تلك الآفاق العالية. انهم لا يؤمنون بأن لا كفاح بلا عقيدة، وإن أصحاب العقيدة هم الذين يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطبع. وإن الواقع العملي يؤيد هذه الحقيقة. وإن الإخوان هم وحدهم اليوم في الميدان، لأنهم هم وحدهم أصحاب أضخم عقيدة تدفع بالمؤمنين دفعاً إلى الميدان.

إن الوطنية الحارة المتحمسة قد تدفع ب أصحابها إلى النضال، وإن العدالة الاجتماعية الثائرة قد تدفع ب أصحابها إلى الكفاح.. ولكن هذه أو تلك لا تزيد على أن مطلبها قريب، وأفقها محدود، أما أصحاب العقيدة في الله - على طريقة الإخوان - فمطالبهم أكبر وأفقهم أشمل.

إنهم يطلبون المزة للإنسان كافة، فهم أشد حماسة للوطن من حماسة الوطنين المحدودين، وإنهم يطلبون العدالة في كل مجال، فهم أشد حماسة للعدل الاجتماعي من كل إنسان.

ثم إن لهم بعد هذا وذلك، أفقهم الأعلى والأكرم والأشمل، لأنهم يصلون لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولأنهم يصلون أنفسهم

باه في كل خالجة ، ولأنهم يرجون عند الله أكبر مما ينفقون في سهل الله : أكبر من المال ، وأكبر من النفس وأكبر من الحياة . إنهم جنود الفداء ، كلها دعائم داعي الفداء ... وحيثما دعائم داعي الفداء .. إنهم باعوا أنفسهم الله منذ اشتري نفوسهم الله . « إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون . وعداً عليه حقاً في التوازنة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بهمده من الله ؟ »

وما كان لسفاهة سفيه ، ولا للمرأة جاهل ، أن تقال من أصحاب عقيدة في الله ، حاربتهم ملة الكفر كلها ، وحاربهم الاستعمار متعيناً ، وحاربتهم الاقطاعية متكتلة ، وحاربهم الحبيب الرأسمالية ظالمة ، وحاربتهم الشيوعية متجمبة ، وحاربهم الحبيب والفساد والشر والرذيلة جيماً .. ثم ارتدت عنهم جيماً: ارتدت محظمة خالية خاسرة ، لأنها كلها من قوى الأرض ، وهم عائذون بقدرة السماء . ولأنها كلها من عالم الفناء وهم عائذون بعالم البقاء . لقد صحت الأمة الإسلامية بعد طول سبات ، ولو كانت إلى فناء وموت ما استيقظت من سبات . لقد صحت بعد نوم طويل ، فليس من سنة الحياة أن تناه من جديد . لقد صحت لتحيا وصحت لتنمو ، وصحت لتنقض عنها الأوثاب والاختلاط .

وإذا كانت الأمة الإسلامية ما تزال تتعثر ، وما تزال تكتبو وما تزال تضطرب . فتلك هي اختلاجة الحياة الجديدة ، لا سكرات الموت ، ولا صرعبات الداء . تلك هي علام الصحو

والحقيقة بعد فرم طويل وهو ، المستقبل لها ، والدلائل كها  
تشير الى هذا المستقبل .

إنه لا كفاح بلا عقيدة ، ولا حياة بلا عقيدة ، ولا إنسانية بلا عقيدة . ولقد كنا نقول لها كلمات فيتخدنا السفهاء الصغار لعباً ولهواً . أما اليوم فنقول لها الواقع ، ونقول لها الأحداث . فإذا تصدق لسان فافه ، وإذا تلاعب قلم هزيل ، فتكلك همم التأهفين المهزولين في كل زمان وفي كل مكان .

والله أكبير ، والمتقبل للإسلام

## يا شباب

هأنذا - اللحظة عائد من سوريا ولبنان أحل إليكم تحيات إخوانكم هناك ، وأحل معها تبعات جساماً يلقها الناس كلهم على عاتقكم هناك . الناس الذين جربوا كل حزب ، وجربوا كل سياسة وجربوا كل وسيلة ، ثم انتهوا الى أن طريقكم أنت هو الطريق .. وانتهوا الى تحملكم أعباء المستقبل كلها : مستقبل هذه الأوطان المكافحة في سبيل الحرية ، وفي سبيل حياة أفضل « حياة لانقة بالأمة التي قال الله فيها : كنتم خير أمة أخرجت للناس . »

## يا شباب الاخوان ..

إن الناس في كل مكان يسألون عنكم ، وعن سياستكم ، وعن جهودكم ، وعن اتجاهاتكم .. فاعلوا إذن أن العيون كلها مفتوحة عليكم ، وأن الانظار كلها متوجهة إليكم ، وأن كل صغيرة وكبيرة عليكم محصاة . وأنكم لا تعيشون لأنفسكم ولا لوطنكم

الصغير - مصر - إنما تعيشون لهذا العالم المترامي الأطراف :  
العالم الإسلامي .

يا شباب الأخوان ... إنكم أنتم رجال المستقبل .

وإن المستقبل لكم أنتم في المعركة القادمة الفاصلة ، معركة  
التحرير الكبرى التي لا بد أن تخوضها الوطن الإسلامي ، والتي  
يخوض أطرافاً منها اليوم في تونس وفي مراكش وفي غيرها من  
بقاع الأرض . المعركة مع الاستعمار في كل صوره وأشكاله ،  
سواء جاء في صورة مدافن وديبات ، أم في صورة معاهدات  
واتفاقات ، أم في صورة جماعات وجماعات ، تختر لها أجهزة  
الدول وصحابتها وإذا ثقلاً كاترون في هذه الأيام !

إن تونس ومراكش لتشتبكان في هذه الأيام في طرف من  
المعركة الحاسمة القادمة التي لا شك فيها . وأنتم تعرفون  
أن فرنسا لا تخوض هذه المعركة وحدها . ولكن تخوضها وخلف  
ظهورها الاستعمار الغربي كله ، بما فيه ذلك الاستعمار الجديد الذي  
لا يبدو للشعوب بوجهه السافر ؟ إنما يتدسّس إليهم في صورة  
جماعات وجماعات تنفق بلا حساب ، وتعان عن نفسها بلا  
حساب ، ولا تتقى أن يسأل الناس من أين لها هذا المال ؟

يا شباب الأخوان

إن واجبكم في المعركة الفاصلة لا يقف عند حد المقاومة لتونس  
ومراكش ، ولا عند حد لعن فرنسا وغزير إهاب السمعة الكاذبة  
التي ظل عبيد فرنسا يصوغونها لها في مصر ولبنان وفي كل مكان .

كلا كلا . إن واجبكم ليتعدى هذا الاطار الضيق ، يمتدءا إلى  
غزير إهاب الاستعمار كله ، وإهاب الجمادات والجماعات التي  
تعمل حساب الاستعمار الجديد ، وتتفق لا بلا حساب فقط ،  
ولكن بلا خجل ولا حياء ..

إن الصحف تشتري بالجملة في كل مكان – فواجبكم أنتم –  
 وأنتم في كل مدينة ألف . وفي كل قرية مئات – أن تكونوا  
السنة الدعوة ضد الاستعمار كله ، ضد علاته الاستعمار . واجبكم  
أن تمووا عمل الصحف التي تشتري بالجملة في هذه الأيام .  
وواجبكم في الجامعة في وسط الشباب المثقف ، وواجبكم في  
المجالس العامة ، وواجبكم في الطرقات ، وواجبكم في القرى  
والكفور .

وأنتم يا شباب الاخوان ، ، أنتم وحدكم ، الذين تملكون أن  
تكونوا منشورات حية تذهب إلى كل مكان ، وتدخل إلى كل  
بيت ، وتعي إلى كل مدرسة ، وتنشر الوعي الشعبي ، وتفضح  
المؤامرات الاستعمارية ، وتكشف عن المؤامرة البشعة على تونس  
ومراكش ، وسائر الشعوب المبتلة بالاستعمار وبعهده الاستعمار .

يا شباب الاخوان .. يا من تصل إليهم هذه الكلمات في مجلة  
الدعوة .. إن في عنق كل واحد منكم أن يقرأ هذه الكلمات  
لعشرة من الناس على الأقل ، عشرة من الناس في أي مكان ،  
فتعن في موقف فاصل مع علاته الاستعمار ، لا في مصر وحدها  
ولكن في العالم كله . ولا بد أن تقضي على الاستعمار ، وأن

نفصح علـاء الاستهـار ،  
يا شـباب الـاخـوان

هذه دعـوة عـاجـلة أـلـقـيـها إـلـيـكـم عـلـى أـثـرـيـعـونـيـ : أـحـلـها إـلـيـكـم  
معـ حـيـاتـ اـخـوانـكـ فيـ كـلـ مـكـانـ .. حـتـىـ أـلـقـيـكـ فيـ اـجـتـاعـاتـكـ  
وـحـقـ تـسـتـدـرـ مـعـاـ كـيـفـ نـكـافـحـ ، لـأـمـرـ وـحـدـهـ ، وـلـاـ لـتـونـسـ  
وـمـرـاـكـشـ وـحـدـهـاـ . وـلـكـنـ لـكـلـ شـبـرـ فيـ هـذـهـ الـأـرـضـ تـدـنـهـ  
أـفـدـامـ الـاستـهـارـ ، وـيـعـمـلـ فـيـهـ عـلـاءـ الـاستـهـارـ .

وـالـسـلـامـ عـلـيـكـ وـرـحـمـةـ اللهـ

أـخـوـنـمـ  
سـيـدـ قـطـبـ

# بصدير عن دار الشروق

في شرعة قانونية كاملة

## مكتبة الاستاذ سيد قطب

- دراسات إسلامية
- نحو مجتمع إسلامي
- في التاريخ فكراً ومنهج
- التصور الفي في القرآن
- تفسير آيات الربا
- الإسلام ومشكلات الحضارة
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته
- النقد الأدبي أصوله ومت هجه
- كتب وشخصيات
- المستقبل لهذا الدين
- مهنة الشاعر في الحياة
- هذا الدين
- معركتنا مع اليهود
- معركة الإسلام والرأسمالية
- العدالة الاجتماعية في الإسلام
- معلم في الطريق
- في ظلال القرآن

## مكتبة الاستاذ محمد قطب

- الإنسان بين المادية والإسلام
- منهاج الفن الإسلامي
- شبهات حول الإسلام
- منهاج التربية الإسلامية (الجزء الأول)
- جاهلية القرن العشرين
- منهاج التربية الإسلامية (الجزء الثاني)
- دراسات قرآنية
- معرفة التقليد
- تحت الطبع
- في النفس والمجتمع
- كيف نكتب التاريخ الإسلامي
- الطور والثبات في حياة البشرية
- المشرقيون والإسلام
- دراسات في النفس الإنسانية
- مفاهيم ينبغي أن تصحح
- هل نحن مسلمون

## من كتب دار الشروق الإسلامية

الفكر الإسلامي بين العقل والوسي

الدكتور عبد العال سالم مكرم

على مشارف القرن الخامس عشر الهجري

الأستاذ ابراهيم بن علي الوزير

الرسالة الخالدة

الأستاذ عبد الرحمن عزام

محمد رسولًا نبيًا

الأستاذ عبد الرزاق نوافل

مسلمون بلا مذاكيل

الأستاذ عبد الرزاق نوافل

الإسلام في مفترق الطرق

الدكتور أحمد عروة

الغلوية في الفقه الإسلامي

الدكتور أحمد فتحي بسي

مؤلف الشرعية من نظرية الدافع الاجتماعي

الدكتور أحمد فتحي بسي

الجرائم في الفقه الإسلامي

الدكتور أحمد فتحي بسي

مدخل الفقه الجنائي الإسلامي

الدكتور أحمد فتحي بسي

القصاص في الفقه الإسلامي

الدكتور أحمد فتحي بسي

الدبة في الشريعة الإسلامية

الدكتور أحمد فتحي بسي

الإسراء والمعراج

فصلة الشيخ متولى الشعراوي

مصحف الشروق المهر المبر

مختصر تفسير الإمام الطبرى

تحفة المصاحد وقمة التأثير

في أحجاج مختلفة وطبعات متصلة لبعض الأجزاء

تفسير القرآن الكريم

الإمام الأكابر محمود شلتوت

الإسلام عليهذه وشريعة

الإمام الأكابر محمود شلتوت

الفتاوی

الإمام الأكابر محمود شلتوت

من توجيهات الإسلام

الإمام الأكابر محمود شلتوت

إلى القرآن الكريم

الإمام الأكابر محمود شلتوت

الوصايا العشر

الإمام الأكابر محمود شلتوت

السلم في عالم الاقتصاد

الأستاذ مالك بن نبي

أنباء الله

الأستاذ أحمد بحث

نبي الإنسانية

الأستاذ أحمد حسين

ربانية لا رهابية

أبو الحسن علي الحسين التدويني

الحججة في القراءات السبع

تحقيق وتقديم الدكتور عبد العال سالم مكرم

القضاء والقدر  
فضيلة الشيخ متول الشعراوي

لضايا إسلامية  
فضيلة الشيخ متول الشعراوي

الغیر الفنی فی القرآن  
الدکتور بکری الشیخ أمین

أدب الحديث البوی  
الدکتور بکری الشیخ أمین

الإسلام فی مواجهة الماديين والملحدین  
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

اليهود فی القرآن  
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

أیام الله  
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

مسلمون وکفی  
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

الدعاوة الوهابیة  
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

قال الأولون - أدب ودين  
الأستاذ السيد أبو ضیف المدنی

قل يا رب  
الأستاذ السيد أبو ضیف المدنی

الإیمان الحق  
المشار على جریشة

الجديد حول أسماء الله الحسنى  
الأستاذ عبد الفتی سعید

الجالز والمنزع فی العیام  
الدکتور عبد العظیم المطعنی

سماکت الحج و العمرۃ فی ضوء المذاہب الأربعة  
الدکتور عبد العظیم المطعنی

أیها الولد الحب  
الإمام الغزالی

الأدب فی الدين  
الإمام الغزالی

شرح الوصایا العشر  
الإمام حسن الب

القرآن والسلطان  
الأستاذ فهمی هوییدی

خطایا الإسراء والمعراج  
الأستاذ مصطفی الکیت

الخطابة وإعداد الخطیب  
الدکتور عبد الجلیل شلی

تأریخ القرآن  
الأستاذ إبراهیم الأیاری

الإسلام والبادی المسوّدة  
الدکتور عبد النعم السر

سلسلة أعلام الإسلام ١٦/١  
سلسلة أهل البيت ٦/١

إیهام علماء المسلمين فی الرياضيات  
تألیف الدکتور علی عبد الله المفague

تعریف وتعليق الدکتور جلال شرقی

مراجعة الدکتور عبد العزیز السيد

الغیر الواحد فی السنة والتراث وأثره فی الفقه  
الإسلامی

الدکتوره سهیر رشاد مهنا

الأدیان القديمة فی الشرق  
دکتور رفوف شلی